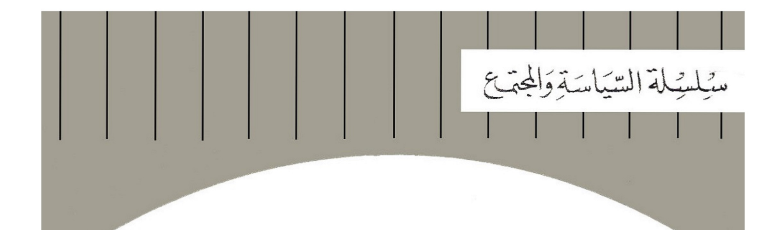


في الجبهة الوطنية الموحدة

جورجي ديميتروف

دار الطليعة - بيروت



جورجي ديمتروف

جورجي ديميتروف

في الجبهة الوطنية الموحدة

ترجم عن اللغة البلغارية بواسطة
المجلس المركزي لاتحاد النقابات البلغارية

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

بيروت - ص.ب ١١١٨١٣

الطبعة الثالثة

كانون الثاني (يناير) ١٩٧٨

جورجي ديمتروف والجبهة الوطنية المتحدة

لماذا هذا الكتاب ؟

ان جورجي ديمتروف ، علم من اعلام النضال البروليتاري الثوري الاممي وبالتالي فهو اشهر من ان يعرف ، وابرز من ان يقدم ، فهذه المقدمة ، اذن ، لا تسعى لان تبجله او تطريه ، لانه ألمع صيتا من الاطراء واسمى مكانة من التبجيل.

وبعد تسجيلنا لهذه الحقيقة العامة علينا ان نعترف بان المكانة المرموقة التي يحتلها ديمتروف ، على صعيد عالمي كان نصيب شعبنا العربي ، منها نصيبا ضئيلا ، ودائرة معارفه بين جماهيرنا ، هي دائرة محدودة ، وحيزها محصور في اوساط المثقفين ، وبعض من جماهير الاحزاب الشيوعية العربية عرفته عن طريق التثقيف الحزبي ، وحتى هذه الجماهير قد حرمت هي الاخرى في فترة الخمسة عشر سنة الماضية من الاطلاع على تراث ديمتروف لاعتبارات عديدة لسنا بصدد التعرض لها الان .

ان عدم نقل تراث ديمتروف الى اللغة العربية قد جعله غير معروف من قبل جماهيرنا العربية . الامر الذي يجعل من اصدار هذا الكتاب امرا ملحا لكي لا تفقد جماهيرنا صلتها بجزء من التراث الثوري للماركسية ـ اللينينية . ذلك ان اعمال ديمتروف والامثلة الحسية التي صنعها تشكل جزءا من الماركسية ـ اللينينية اذ انه اسهم بموضوعات عديدة في هذا المجال كموضوعة جبهة العمل الموحد بقيادة الطبقة العاملة للنضال ضد الفاشية ، وموضوعة بناء الحزب وصيانته من اندساس الاعداء في صفوفه ، وخبرته الواسعة في خوض مختلف اساليب النضال ابتداء من العمل النقابي والسياسي التقليدي وانتهاء بأسلوب الكفاح المسلح الذي له فيه خبرة ودراية . والى جانب كل هذا فان ديمتروف قائد بارع في ممارسة التكتيك اللينيني مع التزام شديد بخط العنف الثوري سعيا لتحقيق الهدف الستراتيجي.

لقد استطاع ديمتروف على الصعيدين العملي والنظري ان يبرهن على قدرته الفائقة وفهمه العميق لستراتيجية وتكتيك الحركة اسيوعية البلغارية والعالمية .

وان كانت الستراتيجية والتكتيك تمثلان وحدة لا تنفصم على الرغم من انهما مفهومان غير مترادفين باعتبار ان اتجاهات الستراتيجية الاساسية وقضاياها ،

هي اتجاهات وقضايا تحدد نضال الطبقة العاملة ، لفترات تاريخية كبيرة وبعيدة، مثل تعيين اتجاه القوة الرئيسية الاساسية للطبقة العاملة وتوجيهها ضد العدو الطبقي الرئيسي ، وتحديد الحلفاء لها وموقفها من الفئات غير الثابتة ولكنها اساسية بالنسبة لتلك الاتجاهات والقضايا الكبيرة والبعيدة ، في وقت يمثل فيه التكتيك وهو مكون من مكونات الستراتيجية ، الخط السياسي لفترة زمنية قصيرة غرضه ارباك العدو واضعافه وعزله بغية دحره وتدميره ، عبر كسب اوسع الحلفاء للطبقة العاملة وتعبئتهم حولها ، وحشدهم للنضال في سبيل حل قضايا واهداف مرحلية قريبة لخدمة قضايا الستراتيجية واهدافها الكبيرة والبعيدة ، بواسطة تحديده لطرائق ووسائل نضال الطبقة العاملة ، بشكل يجعل مفعولها حاسما في الظروف الراهنة المعينة وبتعيين لمختلف اشكال التنظيم في الظروف ذاتها ، والجمع بين شتى انماط النضال واستخدامها لاحراز النصر في هذه المعركة او تلك مع الاعداء الطبقيين للبروليتاريا من اجل توفير مقومات النجاح للنضال الستراتيجي .

وبتعبير اخر اذا كان جهد الحزب الشيوعي لدى صياغته لاستراتيجيته ينصب على تركيز الحقد الطبقي ، وحشد القوة الضاربة للطبقة العاملة وحلفائها الفلاحين الفقراء وسائر المعدمين ضد الاعداء الرئيسيين في كل مرحلة من المراحل التاريخية الكبيرة ، اي ان يوجه نضاله الدائب والدائم ، بهدف تحقيق المهمات والقضايا الرئيسية لمرحلة تاريخية معينة تمهيدا للانتقال الى مرحلة اخرى تالية من مراحل الثورة ، على اعتبار ان تطور الثورة من مرحلة لاخرى هو القانون الموضوعي الذي لا يسمح لعملية الانتقال الى المرحلة الثانية ان تتحقق قبل ان تحل تلك المهمات والقضايا الاساسية للمرحلة الاولى مثلا :

فبدون ان تحل المهمات والقضايا الاساسية للثورة الوطنية الديمقراطية ، تصبح عملية الانتقال للشروع في انجاز مهمات الثورة الاشتراكية ، عملية غير ممكنة ، بحكم كون انجاز مهمات الثورة الاولى هو الذي يوفر القاعدة المادية والتكنيكية التي يمكن مع توفرها ان يعاد تجميع القوى الطبقية والاقتصادية والاجتماعية والايديولوجية والسياسية والعسكرية والتكنيكية والثقافية اعادة تمكن من توظيفها لخدمة الاهداف المعينة للمرحلة الجديدة ، التي نشأت في احشاء المرحلة السابقة ونضجت ظروفها الموضوعية والذاتية ، نتيجة انجاز المهمات الاساسية للمرحلة القديمة .

اذا كانت مهمة التكتيك ، هي مراعاة الاوضاع وتغيير اساليب النضال واشكال التنظيم بما يتلاءم وطبيعة الظروف الراهنة او الجديدة ومقتضيات امكانية استمرار العمل باتجاه الهدف الستراتيجي .

اذا كانت هذه هي الستراتيجية والتكتيك للحركة الشيوعية العالمية ، فان ديمتروف قد برهن باعماله الملموسة على انه استاذ من الاساتذة الضليعين بهذا الميدان ، لانه تلميذ جيد من تلاميذ لينين ، وقائد من قادة الماركسية ـ اللينينية،

وقد كان تثمينه لانتفاضة ايلول عام ١٩٢٣ حينما سئل عن اسباب عدم نجاحها ، بعد مضي عشر سنوات عليها :

«انني افتخر بانتفاضتنا البطولية هذه وانني آسف فقط لاننا لم نكن قد اصبحنا بعد ـ آنذاك ـ بلاشفة حقيقيين . ولهذا السبب لم نستطع ان ننتصر في هذه الانتفاضة الشعبية التاريخية بقيادة الطبقة العاملة» .

فديمتروف اذن لينيني حقيقي واستاذ ضليع بقضايا اللينينية ، واستراتيجية وتاكتيك الحركة الشيوعية العالمية .

واذا كانت مسألة امتلاك ناصية فن القيادة الناجحة في ممارسة مختلف اشكال وانواع النضال والعمل الثوري ، هي مهمة كبيرة بل من ابرز المهمات التي تواجه الحزب الشيوعي الثوري ، فان الطبقة العاملة البلغارية وحزبها الشيوعي والامة البلغارية ، بل ان البروليتاريا العالمية ، والاحزاب الشيوعية قد وجدت في شخص ديمتروف حلا لمسالة القيادة وامتلاك ناصيتها . اذ كان واحدا من ابناء الطبقة العاملة الافذاذ الذين وعوا مضمون انتمائهم الطبقي في سن مبكرة، وادركوا واجبهم الطبقي والقومي ، وكان مناضلا عنيدا بل واحدا من ابرز اولئك المناضلين الذين دوخوا الفاشية واحبطوا خططها واطاحوا بها .

ومثلما كان ديمتروف مناضلا يقرن النظرية بالممارسة العملية ، وبذلك ، يستطيع حشد الجماهير باعطائها المثل الحسي الملموس لتقتدي به على طريق الكفاح وتحدي اعدائها ، فانه كان وبالقدر نفسه سياسيا محنكا ومفكرا حصيفا بارعا في الحسابات الدقيقة للقوى المتصارعة والوضع الناجم عن صراعها وتعيين مقتضيات تطور المجتمع ومستلزمات نضج الظروف الموضوعية والذاتية ومعرفة مزاج الجماهير ووسائل النضال القادر على تامين النجاح واحراز النصر . ويكفي ان نعرف انه كان عاملا بسيطا فاصبح سكرتيرا للحزب الشيوعي البلغاري فقائدا لكفاح الشعب البلغاري المسلح ، وبانيا لجبهة العمل الشعبية والوطنية وسكرتيرا للاتحاد الشيوعي البلقاني، ونقابيا عالميا وسكرتيرا عاما للاممية الشيوعية في احلك الظروف واصعب مراحل مجابهة الفاشية العالمية وادقها ، وكان دوره بارزا في وضع المخططات الهادفة لتعبئة الجماهير ضد الفاشية والراسمالية والاقطاعية وقيادتها في القضاء على خصومها .

من هنا تتضح اهمية نقل تراث ديمتروف الى جماهيرنا العربية ، ومع هذا فاننا لم نكن مدفوعين عندما اقدمنا على تقديم موضوعات وابحاث ديمتروف في الجبهة الشعبية والوطنية بدافع هذه الرغبة وهذه الحيثيات فقط . فمع اهتمامنا الكبير بموضوع الصلة بين جماهيرنا وبين تراث ديمتروف ، فاننا نعتقد ان الموضوع الذي نقدمه في هذا الكتاب والذي يعد اول كتاب لديمتروف يصبح في متناول ايدي الجماهير العربية بدون تخصيص او تعيين .

ان هذا الموضوع يكتسب اهمية خاصة في ظروفنا الراهنة . فموضوعة

الجبهة الوطنية تبلغ اليوم من الاهمية درجة تجعلها تحتل المكان الاول وتستحق ان تعطى الاولوية لدى ترتيب موضوعات الساعة الملحة والمطروحة على جماهيرنا وقواها الوطنيةوالتقدمية ليس لخطورة التآمر الامبريالي – الصهيوني – الرجعي – اليميني الذي تتعرض له امتنا العربية والذي يبلغ ذروته اليوم بتهديده لقضايانا المصيرية القومية والطبقية وقواها الطليعية الفلسطينية والعربية، وليس كون هذا التآمر قد بلغ ذروته، في مرحلتنا فقط، بل ولأن الموضوعات المطروحة على القوى الوطنية عامة والقوى اليسارية على وجه الخصوص على درجة من التعقيد والصعوبة لا يمكن ان ترتقي قوى الثورة العربية الى مستوى التغلب عليها الا اذا اتحدت وتضافرت جهودها على اساس الحد الادنى من الاتفاق على القضايا الآنية والمرحلية وجعل القضايا الاخرى موضع الاختلاف والتباين في وجهات النظر مطروحة للمناقشة والبحث لتأتي الوقائع فيما بعد كاشفة للخاطىء من المواقف والتصورات والحلول ومدعمة الصائب منها ، وعند ذاك تصبح الممارسة المشتركة والعمل الموحد عاملا ايجابيا في تقريب وجهات النظر وتلاقي القوى بهدف تمكين الطبقة العاملة العربية وقواها السياسية من تحقيق وحدتها واقامة سلطتها وقيادة ثورتها الوطنية الديمقراطية ، تمهيدا للانتقال بها الى المرحلة القادمة .

ففي هذه المرحلة اذن تبرز قضية الجبهة الوطنية التقدمية ، باعتبارها اكثر القضايا الملحة التي تطرح نفسها ، بكونها حلا من الحلول الكفيلة بتمكين حركة التحرر الوطني العربية من الوقوف بوجه الهجمة الامبريالية الصهيونية الرجعية التي تتعرض لها في هذه الايام العصيبة ، وبكونها مدخلا وحيدا لتجديد النضال العربي الثوري على اساس يمكن للثورة العربية معه ان تتجاوز ازمتها تجاوزا يدفع بها خطوات الى أمام لمجابهة تحديات اعداء الشعب القوميين والطبقيين ، والتصدي لمهمات الثورة الوطنية الديمقراطية التي اصبحت مثقلة بترهل قياداتها البرجوازية الصغيرة ، وعجزها عن استكمال انجاز مهمات الثورة وقيادتها الى نهاياتها الحاسمة .

واذن ، فهذا الكتاب سيكون الخطوة الاولى على طريق نقل تراث ديمتروف الى لغتنا وجماهيرنا العربية ، ليجعل ما هو شائع عنه مقرونا بالكلمة المكتوبة الصادرة عن هذا الرجل العظيم .

اننا نأمل ، ان يكون الاهتمام بهذا الكتاب الذي يضم بعض مقالات وابحاث ديمتروف عن الموضوع الذي تخصص به، والذي يعتبر مرجعا موثوقا من مراجعه، حافزا لنا لنقل ما تبقى من تراثه الى القارىء العربي ، وليملأ فراغا في مكتبتنا العربية ما يزال كبيرا مع الاسف الشديد .

ان هذا الكتاب الذي يضم بعض موضوعات وابحاث ديمتروف ، عن هذا الموضوع الهام والدقيق الذي يعتبر ديمتروف متخصصا به ، لدرجة اصبح معها مرجعا لكل الاحزاب الشيوعية ، ومعلما لقادتها بهذا الشأن ، ويكفي ان نرجع الى العديد من القادة الشيوعيين الثوريين المعاصرين ، لنطلع على ثقتهم وافادتهم

من افكار وموضوعات ديمتروف في كيفية النضال من اجل تحقيق فكرة الجبهة الوطنية الموحدة واصول بنائها وطرائق تحقيقها .

واذا كان لينين قد صاغ فكرة الجبهة فان ديمتروف قد طورها ونقلها من حيز التفكير الى ميدان التجسيد العملي ليس في بلغاريا وحدها بل وعلى صعيد العالم كله .

لقد بقي ديمتروف يلاحق فكرة الجبهة ملاحقة عالجت الاخطاء وصححتها واجتثت السلبيات واقتلعتها من جذورها ، فكانت توجيهاته وابحاثه هي الترجمة الخلاّقة لهذه الفكرة على صعيد النضال من اجلها والتطبيق الناجح لتجسيدها . فهو القائل : (علينا ان نستأصل بلا رحمة ميلنا الى الانماط الجامدة والصيغ البالية والقوالب الجاهزة ، ذلك الميل الذي غالبا ما يعيق رفاقنا) .
لهذا السبب يصبح الكتاب ذو اهمية بالغة ..

مولد جورجي ديمتروف

ولد جورجي ديمتروف في ١٨-٦-١٨٨٢ وعائلته بروليتارية ومعروفة بكفاح ابنائها وتضحياتهم في سبيل انتصار قضية شعبهم البلغاري ، وقد قضى اخوة جورجي نحبهم في السجون والاعدام رميا بالرصاص بسبب نضالهم الثوري ومقاومتهم العنيدة للفاشست .

في معترك الحياة العملية

كانت ظروف عائلته الفقيرة صعبة لدرجة لم تسمح له بمواصلة الدراسة اذ كان عليه وهو لما يزل في احضان السنة الثانية عشرة ، ان يترك المدرسة رغم تعطشه للدراسة واغتراف المعرفة ، فتركها في عام ١٨٩٤ ، قبل ان يكمل الصف الثاني لكي يساعد في اطعام اسرته الكبيرة العدد .

وكان هذا هو كل ما لديه من التحصيل العلمي الدراسي حين دخل معترك الحياة وانخرط في صفوف الطبقة العاملة ، وبدأ العمل في احدى المطابع حيث تعلم مهنة تنضيد الحروف بسرعة فائقة . وقد اتاحت له هذه الحرفة ان يشبع تعطشه الى المعرفة ، وان يعوض النقص في دراسته . فحرفته تساعده على مطالعة ما يرد للمطبعة من نتاج فكري وادبي وسياسي وعسكري ، وبذلك توفر لتكوين شخصيته عدد من العوامل والحوافز :

المناخ النضالي الثوري الذي كان اخوانه يشيعونه في اوساط العائلة ، والمآسي والنكبات التي كانت عائلته تتعرض لها من جراء مطاردة الفاشست لافرادها اولا ، ولشعوره بالحرمان نتيجة عدم استطاعته اكمال دراسته ثانيا ، وحرفة تنضيد الحروف وترتيبها التي تقتضي من المنضدين ان يكونوا على درجة

من الثقافة لكي يتقنوها ويمتلكون ناصيتها ثالثا .

لهذه الاسباب كلها كان على جورجي ان يسهر الليالي في مطالعة العديد من المؤلفات التي كانت تطبع في المطبعة ، الامر الذي أعدّه واهلّه لان يستجيب للمناخ الثوري الذي كانت بلده بلغاريا وبلدان اوروبا كلها تعيشه ، استجابة دفعته لان يدخل في دائرة العمال الثوريين . ويعوض عن الدراسة بالتربية والتثقيف الذاتيين (فكان المصباح الغازي يشتعل طوال الليل في الغرفة العمالية) (١) .

بدء حياته النقابية

كان العقد التاسع من القرن التاسع عشر ، حيث انضم جورجي الى صفوف العمال الثوريين ، عقد تفتح ذهنيته وتعاظم وعيه ، نتيجة ازدياد اهتمامه بمطالعة الكتب الفلسفية والفكرية مما مكنه من ان يتقدم الى صفوف منظمي الحركة النقابية لعمال الطباعة . ومنذ السادسة عشرة من عمره اصبح عضوا نشيطا في نقابة عمال الطباعة . ومنذ عام ١٨٩٧ بدأ بكتابة مقالات يعالج فيها قضايا عمال الطباعة ونضالهم ، واقرن نشاطه هذا بممارسات نضالية جعلته يتقدم الى مواقع الطليعة النقابية باعتباره عاملا جيدا ومدافعا قوي الحجة عن اخوانه وابناء طبقته العاملة ضد ارباب العمل والراسماليين ، فبرز في اوساط العمال البلغاريين ، ليلعب دورا كبيرا في نقابة عمال الطباعة ، مكنه من ان يحظى بثقة العمال حظوة اصبح معها سكرتيرا لنقابة عمال الطباعة في صوفيا وهو لما يزل ابن الثامنة عشرة. وبحكم مركزه الجديد استطاع ان يشق طريقه الى صفوف البارزين من منظمي حركة عمال الطباعة خاصة والحركة النقابية عامة .

وهكذا اصبح جورجي ديمتروف مناضلا نقابيا شهدت معامل بلغاريا ومصانعها ومؤسساتها ، قدرته الفذة على تنظيم الاضرابات وقيادتها ، شهادة مكنته من ان يصبح في عام ١٩٠٤ سكرتيرا للاتحاد النقابي البلغاري .

بدء حياته السياسية

لم يكن انخراط ديمتروف في النضال النقابي منعزلا ومنفصلا عن النضال السياسي فهو لا يرى النقابات الا واجهة من واجهات الاقتصاد والسياسة وما هي الا وسيلة من الوسائل التي افرزتها حاجة العمال للتكتل ضد الراسماليين ليتخذ منها الطليعيون من ابناء الطبقة العاملة ميدانا لتسعير الصراعات الطبقية وتعبئة جماهير العمال للنضال ضد الراسمال والراسماليين . فالعمل النقابي ، وبالتالي الكفاح الذي يخوضونه من اجل الحصول على زيادة في الاجور او تخفيض في ساعات العمل ، هو جزء ومدخل لبلورة موضوعة من موضوعات الصراع الطبقي

---

(١) جورجي ديمتروف سيرته وحياته . اصدار دار النشر في صوفيا .

الذي تخوضه جماهير الطبقة العاملة ضد مستغليها .

وانطلاقا من وعي جورجي لارتباط العمل النقابي بالعمل السياسي ، فقد انخرط في العمل الحزبي وبفضل النشاط الثوري الذي تميز به فقد اصبح في عام ١٩٠٢ م عضوا في الحزب الاشتراكي الديمقراطي البلغاري .

جورجي ديمتروف ماركسيا ثوريا

وفي عام ١٩٠٣ اعلن فريق مؤلف من ٥٣ شخصا يمثلون الاتجاه الماركسي الثوري ، الانفصال عن الحزب الاشتراكي الديمقراطي ، وشكلوا منظمة حزبية بروليتارية اشتراكية متطرفة ، كان جورجي ديمتروف واحدا من اعضائها ، ثم اصبح سكرتيرا لمنظمة صوفيا الحزبية التابعة لها ثم اصبح ممثلا للحزب في الحركة النقابية ودخل مرات عديدة للسجن وتعرض للملاحقة والمطاردة والاعتقال ، وفي عام ١٩١٩ ساهمت منظمة الاشتراكيين المتطرفين بانشاء الاممية الشيوعية الثالثة ، واصبحت منذ ذلك التاريخ تعرف باسم حزب العمال (الحزب الشيوعي) البلغاري .

تحت راية الشيوعية

وفي ٢٣ — ١٢ — ١٩١٩ ، نظم الحزب مظاهرة تحولت في اليوم التالي الى اضراب استمر ٥٥ يوما ، (وكان اول اضراب سياسي في بلغاريا ينظم جوابا على ملاحظات الحكومة الائتلافية التي كان يقف على راسها الاتحاد الزراعي) (١) وعجز الحزب عن تحويل الاضراب الى حركة جماهيرية شعبية واسعة ، الامر الذي حفز جورجي ديمتروف الى ان يسجل تجربة الاضراب هذه في كراس خاص ، تحت عنوان (من الفشل الى النصر) اوضح فيه الاهمية (والضرورة الحتمية للتنظيم الطبقي الموحد لبروليتاريا النقل كي تسير قدما في طريق الحركة العمالية الشيوعية ، وعلى البروليتاريا في جميع ميادين الانتاج والمهن ان تجابه البرجوازية المتراصة ودولتها العسكرية البوليسية باتحادها الطبقي في نقابات موحدة وفي حزب سياسي موحد تحت راية الشيوعيين) (٢) .

في معترك الحياة النيابية

برز جورجي ديمتروف في الاوساط الشعبية ، بروزا ، مكنه من خوض

---

(١) المصدر السابق نفسه .

(٢) المصدر السابق نفسه .

الانتخابات والدخول في معترك الحياة النيابية وقد بقي طيلة الفترة الممتدة من ١٩١٣ ـ ١٩٢٣ نائبا في المجلس النيابي دون انقطاع ، اذ كان يفوز في الانتخابات في كل مرة على الرغم من محاربة القوى الرجعية له. مما اتاح له ان يتخذ من البرلمان منبرا للتعبير عن معتقداته الشيوعية .

في سجون رومانيا

وفي عام ١٩٢٠ م كان في سجون رومانيا مع اعضاء وفد الحزب الشيوعي البلغاري الذين كانوا يتسللون سرا الى المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية فألقت الشرطة الرومانية القبض عليه وأودعته الاعتقال .

ديمتروف داعيا للجبهة الوطنية وقائدا للانتفاضة المسلحة

وبفضل مبادرته ونهجه البروليتاري الجبهوي اصبح (الحزب الشيوعي والاتحاد الزراعي الشعبي حزبين جماهيريين تعتبرهما الجماهير الشعبية الواسعة قائدين لها في النضال من اجل حياة افضل) (١) .

ففي ٩ حزيران عام ١٩٢٣ قاد الفاشيون انقلابا عسكريا دمويا واطاحوا بحكومة الفلاحين . واحدثوا مجزرة رهيبة استشهد بسببها ثلاثون الفا من اعضاء الاتحاد الزراعي الشعبي البلغاري وعموم الجماهير وقتلوا ستامبوليسكي رئيس الحكومة ورئيس الاتحاد ومثلوا فيه بوحشية لا نظير لها ، ووضعت بلغاريا تحت حكم ديكتاتورية فاشية دامت عشرين سنة .

وبعد ان تمكنت الفاشية من الاطاحة بحكومة ونظام الفلاحين بدأت توجه ضربتها للحزب الشيوعي ، الامر الذي ادى الى قيام جبهة بين الحزب الشيوعي والاتحاد الزراعي .

وفي ٢٣ ـ ٩ ـ ١٩٢٣ قاد الحزب الشيوعي انتفاضة مسلحة ضد الفاشية ، وكانت الاولى في تاريخ مقاومة الفاشية ، وقد كان جورجي ديمتروف المسؤول المفوض من قبل اللجنة المركزية للحزب ، عن ادارة الانتفاضة .

وقد فشلت الانتفاضة ، بعد ان قدمت ثلاثين الف شهيد آخرين على طريق مقاومة الفاشية ، وعلى اثر فشلها غادر ديمتروف وطنه بقرار من الحزب وبقي بعيدا عن وطنه عدة اعوام .

في الحركة النقابية العالمية

كرس جورجي ديمتروف كل خبرته ومؤهلاته في سبيل بناء الحركة الشيوعية،

---

(١) المصدر السابق نفسه .

في البلدان البلقانية فاستحق عضوية اللجنة التنفيذية للكومنترن عام ١٩٢٣ ، كما لعب دورا بارزا في الحركة النقابية العالمية ، اذ كان احد مؤسسيها .

وقد اوضح في تقريره (للحزب الشيوعي البلغاري قرار الاممية حول مسألة الاتحاد النقابي ، اتحاد للنقابات على اساس النضال الطبقي بدون اية شروط اخرى مسبقة وعقد مؤتمر للاتحاد يحل مسألة الاختيار للاممية التي يجب ان تنتمي لها الاتحادات النقابية على ان تكون قرارات هذا المؤتمر الزامية) (١) للعمال الشيوعيين والمؤيدين لهم . وقد اتخذ مكانه القيادي في الحركة النقابة العالمية وكان عضوا بارزا فيها .

في الاتحاد الشيوعي البلقاني

ومثلما كان قائدا نقابيا عالميا فانه كان قائدا شيوعيا بارزا (وبصفته سكرتيرا للاتحاد الشيوعي البلقاني ، فقد قام باسداء مساعدة كبيرة للحزب الشيوعي اليوغسلافي ، وناضل من اجل انهاء المشاكل الانقسامية التي دامت سنين طويلة في اوساطه ومن اجل الحل الصحيح للقضايا الاساسية للحركة العمالية في ظل العقدة الكبيرة للمسألة الوطنية في البلاد) (٢) .

حكم آخر بالاعدام

وفي عام ١٩٢٦ صدر عليه الحكم الثاني بالاعدام باعتباره عضوا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البلغاري ، اذ منع الحزب الشيوعي من العمل واعتبر الانتماء له جريمة تعاقب عليها الحكومة الرجعية .

ديمتروف بطل محكمة لايبزيغ

وفي شهر تشرين الثاني عام ١٩٣٢ تسلم الفاشيون البلغاريون السلطة واضطلعت الفاشية الالمانية بمهمة تحطيم الحزب الشيوعي . وفي ٢٧ ـ ٢ ـ ١٩٣٣ ، دبرت الفاشية عملية احراق الرايخستاغ في برلين لتتهم الشيوعيين بها وتستغلها لتنفيذ مخططها المعد لتصفية الحركة الشيوعية ، وفي ٩ ـ ٣ ـ ١٩٣٣ تم اعتقال ديمتروف في برلين مع شيوعيين بلغاريين آخرين لتعم العالم كله حملة استنكار واحتجاج واسعة ، مما اضطر السلطات الفاشية الى اطلاق سراحه في ٢٧ ـ ٢ ـ ١٩٣٤ ، اي بعد عام تقريبا من اعتقاله . ومما هو جدير بالذكر ان المحكمة

---

(١) المصدر السابق نفسه .

(٢) المصدر السابق نفسه .

التي ارادت الفاشية ان تجعلها منبرا لادانة الشيوعيين استطاع ديمتروف ان يحولها الى منبر لادانة الفاشية وفضح مخططها ، الامر الذي اضطرها لاطلاق سراحه والقائه خارج الحدود في جنح الظلام ، لوضع حد لفضيحتها .

ومنذ ذلك التاريخ ، عرف ديمتروف ، بانه بطل محكمة لايبزيغ التي حولها الى منبر (للدفاع عن القضية التاريخية للطبقة العاملة وكيف يجب ان تنسجم الوطنية عمليا مع التضامن الاممي للشغيلة ، ولم تكن تصرفات جورجي ديمتروف في المحكمة كمذنب بل كمدع ، فكان يدافع عن كرامته ومعتقداته الشيوعية ، فهما اللتان تشكلان معنى ومحتوى حياته) (١) .

وقد جاء بخطابه الذي القاه في المحكمة يوم ١٦ ـ ١٢ ـ ١٩٣٣ بعد ان عرّى هيئة المحكمة وادان تصرفها ومحاولتها فرض محام للدفاع عنه لا يثق فيه في وقت رفضت فيه المحامين الذين رشحهم .. جاء في خطابه : (وبما ان المحكمة رفضت ايضا هذا الاقتراح ـ بتوكيل محام ـ فقد عزمت ان اقوم شخصيا بالدفاع عن نفسي وانا في غنى عن ذلك المحامي الذي فرض عليّ فرضا) (٢) .

وردا على اعتراض رئيس المحكمة على لهجته العنيفة اجاب ديمتروف : (انا اعترف باني اتكلم ببعض الخشونة ولكن نضالي وحياتي مفعمين بالخشونة وكلامي كلام صريح وصادق وقد تعودت ان اسمي الاشياء باسمائها الحقيقية ، فانا لست محاميا ملزما هنا بان يدافع عن موكله ، انا ادافع عن نفسي كشيوعي متهم ، انا ادافع عن كرامتي الشيوعية والثورية ، انا ادافع عن مبادئي ومعتقداتي الشيوعية ، لذا اقول ، ان كل كلمة قلتها امام المحكمة هي بمثابة قطرة من دمي وقطعة من لحمي، وكل كلمة اتفوه بها تعبر عن سخطي العميق ضد الادانة الباطلة) (٣) .

(اما بخصوص الحزب الذي انتمي اليه فهو اليوم خارج على القانون وقد رفضت مرارا ان اعطي اية معلومات عنه وان تصريحاتي كانت دائما وابدا جدية ومفعمة بالعمق العقائدي (٤) .

وردا على زعم رئيس المحكمة بان حديثه ودفاعه كان بمثابة دعاية للشيوعية قال ديمتروف : «انا اعارض بحزم الزعم القائل بان هدفي توجيه الدعاية ، فانا لا استبعد ان يكون دفاعي امام المحكمة قد ترك بعض الآثار للدعاية ، كما اعتقد ايضا ان تصرفي امام المحكمة قد خدم قضية المتهمين الشيوعيين واصبح قدوة لهم ، ولكن مهمتي الاولى هنا هي نفي التهمة ، ذلك ان ديمتروف وتورجلير وبوبوف والحزب الشيوعي الالماني والشيوعية الدولية ، لم يكن لهم اصبع في اشعال الحريق وانا على ثقة بانه لا يوجد بلغاري واحد يصدق الزعم باننا قد اشتركنا في حرق

---

(١) جورجي ديمتروف ، الخطاب الختامي امام محكمة لايبزغ .
(٢) المصدر السابق نفسه .
(٣) المصدر السابق نفسه .
(٤) المصدر السابق نفسه .

الرايخستاغ» (١) .

ولم يكن ديمتروف مشغولا بنفسه ودفع التهمة الباطلة عنــه وعن رفاقه بل كان مشغولا بسمعة شعبه لذلك فقد ضمن دفاعه امام المحكمة الهتلرية ردا لاذعا على الصحافة الالمانية التي وصفت الشعب البلغاري بانه شعب متخلف ومتوحش : (ان طبقتنا العاملة والفلاحين الذين يكافحون وما زالوا يكافحون ضد الفاشية البلغارية وفي سبيل الشيوعية لا يمكن ان يكونوا مطلقا من شعب متوحش وهمجي ان الهمج والمتوحشين في بلغاريا هم الفاشست فقط .

يا سيادة الرئيس هل لي ان اسألكم : في اي بلاد من بـــلاد العــالم لم يكن الفاشست برابرة ومتوحشين (٢) . وقاطع رئيس المحكمة ديمتروف متسائلا: «الا يعتبر هذا تدخلا في شؤون المانيا السياسية» (٣) .

وبعد ان سخر ديمتروف من تساؤل رئيس المحكمة قال : (ليس هناك ما يجعلني اخجل من ان اكــون بلغاريا بل بالعكس فانا فخــور بكوني من ابناء الطبقة العاملة البلغارية) (٤) .

وفي معرض دفاعه ورده على المحكمة بخصوص جماهيرية وشرعية الحزب الشيوعي قال : «ان حزبنا قد منع من ممارسة نشاطه العلني بعد قيام انتفاضة ايلول ١٩٢٣ . وبالرغم من ذلك المنع فان الحزب لم يوقف نشاطه وقد ضحى في سبيل ذلك كثيرا وكانت نتيجة ذلك .. ان اصبح الحزب اقوى مما كــان عليه عام ١٩٢٣ وكل انسان ذو فكر ثاقب ان يفهم هذه الحقيقة» (٥) .

الانتصار النهائي للشيوعية

كان ديمتروف يجد في فترة المحاكمة فرصة لشرح المبادىء الشيوعية لدرجة اغاظت الحكام الفاشيين وازعجتهم وكان ايمانه راسخا بانتصار الطبقة العاملة وثورتها الاشتراكية والشيوعية . وهذا الامر يتضح من دفاعه امــام المحكمة . لقــد طالب ببراءته ورفاقه وتقديم مقترفي جريمة اتهامهم للمحاكمة ، كما طالب بالتعويض عما لحق بهــم :

(سيأتي ذلك اليوم الذي ستدفع امثال هــذه التعويضات مــع الفائض واما بخصوص موضوع حرق الرايخستاغ والعثور على المتهمين الحقيقيين فستقوم بهذا العمل بدون شك المحكمة الشعبية للديكتاتورية البروليتارية القادمة . لقد مثل امام

---

(١) المصدر السابق نفسه .
(٢) المصدر السابق نفسه .
(٣) المصدر السابق نفسه .
(٤) المصدر السابق نفسه .
(٥) المصدر السابق نفسه .

محكمة التفتيش غاليلو مؤسس علم الفيزياء وبالرغم من ادانــة المحكمة له بالالحاد وحكمها عليه بالموت الا ان غاليلو نادى باعلى صوته في قاعــة المحكمة وباصرار «ان الارض تدور مــع ذلك !» فاصبحت هــذه الفرضية العالمية بعدئذ ملكا للانسانيــة بأسرها) (١) . وقد قاطع رئيس المحكمة ديمتروف بخشونة وقام من مجلسه وجمع اوراقه متأهبا للانصراف ، الا ان ديمتروف لم يعبأ بتصرف رئيس المحكمة فواصل كلامه :

(اننا معشر الشيوعيين يمكننا ان نقول بنفس اصرار غاليلو : ان الارض تتحرك مع ذلك ، ان عجلة التاريخ تتحرك وتتحرك الى الامام نحو اوروبا سوفياتية ، نحو جمهورية اشتراكية عالمية ، وهذه العجلة التي تدفعها البروليتاريا بقيادة الاممية لن يتمكن احد من ايقافها لا بتدابير الابادة الجماعية ولا باحكام الاعدام والسجون ، انها تدور وستظل تدور حتى الانتصار النهائي للشيوعية) (٢) .

وبعد ان نطق بهذه العبارة هجم عليــه البوليس ومسك بتلابيبه وارغمه على الجلوس وانسحب رئيس المحكمة وهيئة الدفاع ، وبعد المداولة اقرت هيئة المحكمة حرمان ديمتروف من حق الكلام نهائيا .

ديمتروف سكرتيرا عاما للاممية الشيوعية

كرس جورجي ديمتروف كل حياته وخبرته ومؤهلاته في سبيل بناء الحركة الشيوعية البلغارية والبلقانية والعالمية ، فكــان سكرتيرا للاتحاد الشيوعي البلقاني وسكرتيرا للحزب الشيوعــي البلغاري ، ثــم سكرتيرا للاممية الشيوعية الثالثــة (الكومنترن) .

وكان في اجتماعات (الكومنترن) يشيع مناخا ثوريا ، ويعلم الشيوعيين مضامين الستراتيجية الماركسية ــ اللينينية وتكتيكها . ففي تقريره الذي قدمه للمؤتمــر السابع للاممية الشيوعية ، في تموز ١٩٣٥ والذي انتخب علــى اثره سكرتيرا عاما (للكومنترن) طرح موضوعة الوحدة السياسية للطبقة العاملة ، والجبهة الوطنيــة الموحدة المناهضة للفاشية ، وفي رده على المتزمتين الفاقدين القدرة على ممارسة التكتيك ، بسبب انشدادهم الى المواقف الستراتيجية فقط ، رد ديمتروف بقوله :

(ان الناس في بلادنا بلغاريا يقولون ان الدجاجة الجوعانة تحلم بالشعير) ثــم علق هازئا بقوله : (فليفكر الدجاج السياسي كما يشاء ، اما نحن فما يهمنا هو ان تفهم احزابنا والجماهير الواسعة في العالم ما نسعى اليه فهما صحيحا) وهذا النهج السياسي ــ النضالي المرن الذي كان يدعو له ويمارسه ديمتروف ، كــان مقرونا ونابعا من نهج عرف به طيلة حياته السياسية فهو القائل :

---

(١) المصدر السابق نفسه .

(٢) المصدر السابق نفسه .

(انا نريد من شيوعيي كل البلدان ان يستخلصوا ويستفيدوا في الوقت المناسب من جميع العبر التي توفرها تجربتهم الخاصة باعتبارهم طليعة ثورية للبروليتاريا ، ونريد لهم ان يتعلموا باسرع ما يمكن كيف يخوضون غمار الصراع الطبقي . لا ان يقعدوا على الشاطيء ليراقبوا ، ويسجلوا تلاطم الامواج بانتظار الطقس الجميل) (١) .

بهذه الروح الثورية ظل ديمتروف يقود الحركة الشيوعية العالمية، باعتباره سكرتير لجنتها التنفيذية العام، منذ انتخابه عام ١٩٣٥ حتى عام ١٩٤٣ ، يوم انهى اعماله وانصرف الى العمل في قيادة ثورة شعبية .

ورئيسا لاول حكومة ثورية

وفي ٦ ـ ١١ ـ ١٩٤٥ دخل صوفيا من جديد ليصبح رئيسا لوزراء اول حكومة للثورة الوطنية الديمقراطية ـ الاشتراكية في بلغاريا .

وفي ٢ ـ ٧ ـ ١٩٤٩ مات جورجي بعد ان صدق حدسه . ودارت عجلة التاريخ دورتها ليتحقق معها حلمه ولتصبح بلغاريا بلد الاشتراكية والشيوعية .

بلغاريا بلد الانتفاضات والثورات

هذا هو جورجي ديمتروف سكرتير الاممية الشيوعية العام الذي نشا بين احضان عائلة بروليتارية ثائرة وفي ظل ظروف بلد على الرغم من صغر مساحته (١١١٠٠٠ كم) وقلة عدد سكانه (٨٠٥٠٠ مليون حاليا) يحتل صفحات مضيئة في سجل تاريخ النضال الثوري الطويل . منذ نشأة الدولة البلغارية الاولى ، تلك النشأة التي ترعرعت وسط الانتفاضات والثورات على مدى القرون التي تكون عمرها . والتي ظهرت في عام ٦٨١ الى الوجود . وفي الفترة من ٨٥٢ ـ ٨٨٩ . نجح الامير بوريس الاول في تنصير السكان البلغار والسلافيين الذين كانوا يدينون بالوثنية . وتمكن من توطيد مكانة بلغاريا بين الدول المسيحية الاخرى . وقد وصلت الدولة البلغارية الى اوج عظمتها السياسية واتساع اراضيها وتطورها الثقافي في عهد الملك سيميون (٨٩٨ ـ ٩٢٧) الذي يشتهر عصره باسم (العصر الذهبي) للثقافة البلغارية ، وبعد وفاة سيميون حل الانحطاط بالدولة البلغارية ، وتدهورت الحالة ، الامر الذي ادى الى ان تتولد بين الفلاحين والفئات الفقيرة من سكان المدن حركة موجهة ضد البلاط والنبلاء ورجال الدين .

وفي القرن العاشر عمت هذه الحركة البلاد باسرها وانطلقت خارج الحدود ايضا . وقد سميت هذه الحركة في حينه بحركة الرحمة الربانية ، وعلى الرغم من

---

(١) المصدر السابق نفسه .

مظهرها الديني فانهـا كانت حركة اجتماعية اقتصادية وذات اتجـاه محدد ضد الاقطاعية .

الثورة على الاحتلال البيزنطي

وفي عام ١٠١٨ وقعت بلغاريا تحت الاحتلال البيزنطي وبذلـك انتهت الدولة البلغارية الاولى. وفي عام ١١٨٥ تمكن اثنان من النبلاء هما الاخوان آسين وبيتر من جمع وتسليح جماهير كبيرة من الفلاحين وبالتالي مـن تحطيم الجيوش البيزنطية وبذلك افتتحت صفحة جديدة في تاريخ بلغاريا وبدات الدولة البلغارية الثانية . وفي الفترة من ١١٩٧ ـ ١٢٤١ اصبحت بلغاريا اكبر قوة في جنوب شرق اوروبا وازدهرت البلاد واقامت علاقات تجارية قوية مع جميع دول اوروبا ، وقد ساعدها على ذلك كونها تطل على ثلاثة بحار هي : الاسود ، والابيض ، والادرياتيك .

تحت الاستعمار التركي

وفي عام ١٣٩٦ احتل الاتراك بلغاريا ودام احتلالهم لها خمسة قرون تقريبا ، كانت مليئة بالانتفاضات والثورات التي كانت تسحق بوحشية وفظاظة ، وفي عام ١٨٧٨ تحررت من نير الاستعمار التركي بمساعـدة روسيا ومن ابرز ابناء بلغاريا الثوريين في النضال المنظم جورجي راكوفسكي وفاسيل ليفسكي وخريستو بوتينا ، ومن تلك الانتفاضات (انتفاضة ابريل) التي اغرقت بالدم والتي اندلعت عام ١٨٧٦ .

الفلاحون يحكمون بلغاريا

وعاشت الدولة الجديدة سنين عصيبة فقـد توج حكام من الامراء الالمان ، الكسندر باتمبرغ وبعد حربين (حرب البلقان عام ١٩١٢ والحرب بـين الحلفاء عام ١٩١٣) فقدت بلغاريا مساحات هامة من اراضيها وتدهورت الحالة الاقتصادية فيها ورغم مقاومة الشعب البلغاري تمكن فيرديناند من زج بلغاريا عام ١٩١٥ في رحى الحرب العالمية الاولى ، الى جانب المانيا والنمسا وهنغاريا وتركيا وانتهت الحرب بكارثة كبرى اخرى مما اضطر فيرديناند للتنازل عن العرش وحل محله ابنه بوريس الثالث .

وعلى اثر الانتخابات التشريعية عـام ١٩٢٠ وصل الى السلطة حزب الاتحاد الزراعي الشعبي البلغاري برئاسة القائد الفلاحي الشهير الكسندر ستامبولسكي ، الذي قتله الفاشيون في حزيران ١٩٢٣ .

الجبهة الوطنية تقود الكفاح المسلح ضد المحتلين الهتلريين

ومنذ هذا التاريخ بدات تندلع في بلغاريا نـيران انتفاضات مسلحة ونضالات

سياسية عنيفة، وعندما فتح ملكها الابواب امام الجيوش الهتلرية في ١٢ – ٦ – ١٩٤١ لدخول بلغاريا وجه حزب ديمتروف ، الحزب الشيوعي البلغاري نداء الى الشعب دعاه الى مقاومة المانيا الهتلرية ، وبعد مرور يومين على صدور ذلك النداء اي في ٢٤ – ٦ من العام نفسه اصدر المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي قراره التاريخي في اتباع طريقة الكفاح المسلح ضد المحتلين الهتلريين والملكيين الفاشيين البلغار . واحتلت اشكال الكفاح المسلح المكان الرئيسي في خطة الحزب النضالية وخلال سنة ونصف السنة تم تنفيذ اكثر من ٣٦٠ عملية عسكرية بنجاح ، الامر الذي زرع البلبلة والذعر في صفوف الغزاة المحتلين وفي صيف عام ١٩٤١ واواخره وبداية عام ١٩٤٢ لم تبق منطقة في بلغاريا خالية من فصائل الانصار ومن المناضلين السريين الصداميين وشكلت الجبهة الوطنية الشعبية في عام ١٩٤٢ المنظمة الكفاحية لجميع القوى الوطنية المعادية للفاشست وبات برنامجها الذي وضع باشراف جورجي ديمتروف برنامجا عمليا للحزب الشيوعي في ظروف الكفاح المسلح ضد الفاشية ، وقد غطيت البلاد بشبكة من لجان الجبهة الوطنية ، وقوات الانصار ، وفي التاسع من ايلول عام ١٩٤٤ تكلل نضال الشعب البلغاري بالنصر واتخذت الاجراءات الكفيلة بسحقبقايا الفاشية وتشكيل السلطة الشعبية الديمقراطية التي تسمىاليوم بجمهورية بلغاريا الشعبية . وهي احدى بلدان المعسكر الاشتراكي السائرة نحو الشيوعية ، والواضعة برنامجها المرحلي على اساس ان يتم انتقالها الى الشيوعية في عام ١٩٨٠ .

ديمتروف يؤمن بالجماهير

هذه هي الظروف البلغارية التي عاش جورجي ديمتروف في كنفها واسهم في انضاجها ليحتل شعبه الذي حقق ثورته الوطنية الديمقراطية واستكمل مهمات ثورته الاشتراكية لارساء القاعدة المادية والتكنيكية التي يقتضيها البناء الشيوعي ، الذي كان ايمان ديمتروف بحتمية وصول شعبه اليهايمانا مطلقا وقد عبر عنه فيمحكمة لايبزيغ .

كان ديمتروف يؤمن بان قوة الحزب الثوري تكمن في متانة علاقته بالجماهير وقدرته على تعبئتها وتجنيدها للنضال في سبيل قضاياها الآنية واهدافها ومطامحها الكبرى .

واذا كان مصدر نجاح الحزب الشيوعي ينبعث من نوعية وكثافة نشاطه ومن استيعابه واسترشاده بنظرية الطبقة العاملة العلمية فان الحزب الشيوعي البلغاري قد وجد بزعامة ديمتروف قائدا فذا ومناضلا صلبا شهدت له العهود والمحاكم الفاشية جولات وصولات ومواقف كانت المثل الحي لكل المناضلين الشيوعيين كما كانت المشعل الذي اضاء الطريق امام جماهير الطبقة العاملة العالمية وعين آفاق النضال ومراميه لطليعتها الاحزاب الشيوعية . وكان قادة احزاب الاممية الشيوعية يتلقون تعليماته وتوجيهاته الخلاقة التي كانت ترشدهم وتحفزهم للسير الحثيث نحو

اهداف طبقتهم العاملة في بناء اوطان حرة وحياة سعيدة لشعوبهم .

الظروف العالمية التي اسهمت في تكوين شخصية ديمتروف

برز جورجي ديمتروف على المسرح النقابي والسياسي وهو لما يزل شابا يافعا ، واستطاع ان يحتل مكانا مرموقا ويلعب دورا قياديا على الصعيدين النقابي والسياسي ، ومثلما اسهمت البيئة العائلية البروليتارية الكادحة الكفاحية التي نشأ وترعرع في احضانها . مثلما اسهمت هذه البيئة في توجيه نشأته الاولى ، ومثلما لعبت ظروف بلاده بلغاريا دورا في تكوين شخصيته النقابية والسياسية والنضالية فان ظروف عصره العالمية هي الاخرى كان لها نصيبها في تكوين شخصيته القيادية .

انتشار افكار ماركس ـ انجلز

ففي عصر بلغت فيه النظرية الماركسية العلمية درجة اصبح واضحا تماما معها الدور التاريخي للطبقة العاملة العالمية ، الامر الذي جعل افكار ماركس وانجلز الثورية ترتبط بالنضال الطبقي للبروليتاريا ارتباطا لبى حاجة البروليتاريا الماسة للنظرية العلمية ، كما ان انتشار النظرية الماركسية في اوساط العمال ، قد ادخل الوعي العلمي الى حركتهم ، دخولا حول الاشتراكية من الطوباوية الى العلمية ، وبذلك انفتح طريق الخلاص امام الطبقة العاملة واصبح صراعها مع الراسمالية صراعا هادفا لاستلام السلطة . فالاشتراكية لم تعد ثمرة خيال خصب ، وانما هي نتيجة لتطور المجتمع الراسمالي ، وان نضال الطبقة العاملة سيقود حتما الى الثورة البروليتارية ، وديكتاتورية البروليتاريا .

كان ظهور الشيوعية العلمية اهم احداث التاريخ البشري اذ اوضح معلما الطبقة العاملة ، ماركس وانجلز بشكل علمي بان الطبقة العاملة هي فقط الطبقة التي باستطاعتها ان تحقق الاشتراكية وبان طريقها الوحيد لتحقيق الهدف الكبير هو النضال الثوري ، وعلى هذا الاساس ، قامت الاممية الاولى ، التي لعب فيها ماركس دور المنظر والقائد الحقيقي لها . اذ كتب بيانها التأسيسي ونظامها الداخلي ، وضمن البيان موضوعات بيان الحزب الشيوعي الصادر عام ١٨٤٨ . وقد ناضل مع رفيقه انجلز نضالا دؤوبا ضد التيارات التحريفية ، المتمثلة في عناصر ومنظمات البورجوازية الصغيرة، التي كانت تدعي الاشتراكية، بينما هي تعمل على ابعاد العمال عن السياسة. وكان ابرز رموزها البشرية هم (اللاساليين) في المانيا و (التريديونيين) في انجلترا و (البرودونيين) في فرنسا .

وكانت المهمة التاريخية الملقاة على عاتق الاممية الاولى هي ان تقوم بارساء نضال الطبقة العاملة العالمية ، على اسس تنظيمية تؤهلها لان تحتل مكان المنظمات الاشتراكية المزيفة ومن هنا تم تأسيسها على اساس المركزية الديمقراطية .

كومونة باريس

وقد تعاظم كفاح العمال تعاظما عبر عن نفسه بقيام اول ديكتاتورية للعمال في

١٨٧١ في فرنسا اذ نظمت كومونة باريس اول سلطة حكومية من طراز جديد وكانت الهيئة العليا لها هي مجلس الكومونة المؤلف من ٨٥ عضوا بينهم ٢٨ عاملا . وقد عبر ماركس عن اعجابه بالكومونيين بقوله : لقد هبـوا لاقتحام السماء . وكانت الاحداث التي سبقت قيام الكومونة والتي اعقبتها مفيـــدة جدا للعمال اذ اغنت بدروسها حركتهم الاممية وصلبتها .

الاممية الثانية

وفي ١٤ تموز ١٨٨٩ في يوم الذكرى السنوية المئة لتحطيم الباستيل وبمبادرة من الحزب الاشتراكي الفرنسي عقد مؤتمر عالمي حضره ممثلين عن(٢٢) بلدا وساهم فيه الاشتراكيون البلغار بممثل واحد عنهم وكان شعار المؤتمر الرئيسي الذي كتب بحروف مذهبة هو الشعار الذي حدده معلما الطبقة العاملة في البيان الشيوعي: يا عمال العالم اتحدوا . وقد اختتم المؤتمر اعماله بمظاهرة زارت مقبرة شهـداء الكومونة. وباعلان تأسيس الاممية الثانيةالذي جاء انشاؤها تعبيرا عنتنامي الحركة العمالية ليلهم الكادحين ويدفعهم لتصعيد نضالهم الثوري من اجل استلام السلطة . وقد خاض الماركسيون نضالا سجالا ضد التيارات الفكرية التحريفية والانتهازية . بيد ان التيارات الغريبة عن الماركسية قد تغلغلت في الاممية الثانية لدرجة كان معها لينين يسمي المكتب الاشتراكي العالمي الذي انتخب عام١٩٠٠ (بصندوقبريد الاممية الثانية) وقد جرت محاولة اولى لدحض هذه الآراء والرد عليها في مؤتمر امستردام عام ١٩٠٤ الذي انعقد بعد نشوب الحرب اليابانية ــ الروسية واتخذ المؤتمر قرارات جيدة وساهم البلاشفة لاول مرة في اجتماعات الاممية الثانية .

اللينينية والاممية الثانية

وخلال احداث ثورة ١٩٠٥ و ١٩٠٧ انتشرت افكار لينين بخصوص استراتيجية وتكتيك النضال الثوري ضد السيطرة الرأسمالية مما جعلهـــا تتعزز في اوساط الحركة العمالية الروسية والعالمية ، كما ضرب البلاشفة اروع الامثلـــة في ضرب التحريفية والانتهازية الامر الذي جعل مركز الثقل ينتقل الى روسيا لتحتل اللينينية مركزا مرموقا في الحركة العماليــة وليبرز الحزب الاشتراكي الديمقراطي العمالي الروسي ، حزب لينين باعتباره حزبا بروليتاريا من طراز جديد ، حزبا ثوريا صداميا جريئا ، وليلعب دورا حاسما في انتشار اللينينية وتطورها . وبذلـــك انقسمت الاممية الثانية الى ثلاثة تيارات فكريـــة : الانتهازيون المكشوفون بتحريفهم بقيادة برنشتاين وكان هذا التيار اوضح اعداء الماركسية الثورية . والانتهازيون المركزيون اي الوسطيين بقيادة كارل كاوتسكي . اما التيار الثالث فهو تيار اليسار الذي تشكل في مجرى النضـــال ضد التحريفية والانتهازية والذي كـان يضـم اصدق

الماركسيين واكثرهم ثباتا بقيادة لينين .

سقوط الاممية الثانية

لعبت الاممية الثانية الدور المنوط بها اذ ساعدت في البداية على توحيد الحركة العمالية بيد ان تغلغل التحريفية والانتهازية فيها جعلها تتحول الى عقبة في طريق النضال الثوري للطبقة العاملة وقد سقطت سياسيا وفكريا نهائيا بموقفها من الحرب العالمية الاولى وتنكرها لبياناتها التي التزمت بموجبها بمناهضة الحرب والانتصار لقضية الطبقة العاملة وقد جاء موقف البلاشفة وسعيهم الثوري لفضح خيانة زعماء الاممية الثانية من جهة ، ونجاحهم في تجسيد شعار تحويل الحرب الاستعمارية الى حرب اهلية ، ومساندتهم للنضال الثوري النشيط من اجل السلم ودك حكم البرجوازية الاستعمارية الغارقة في لجة الحرب . جاء ذلك الموقف المستند الى افكار لينين في الحروب العادلة التي تخوضها الشعوب ضد المستعمرين والحروب غير العادلة التي يؤججها الاستعماريون لمآربهم الطبقية الخاصة ليترك اثره الفعال في اعطاء الشعوب الاساس النظري لحربها ضد الامبريالية والراسمالية (ان لينين قد بعث بالفعل المحتوى الماركسي الثوري الذي وأده انتهازيو الاممية الثانية وطور الماركسية خاطيا بها فوق ذلك خطوة الى الامام في الظروف الجديدة للراسمالية والنضال البروليتاريا الطبقي) (١) .

ثورة اكتوبر الاشتراكية والنهوض الثوري للبروليتاريا العالمية

ومع اشتداد الازمة الثورية وازدياد حالة العمال وسائر الكادحين سوءا بسبب الغلاء وانخفاض الاجور، تعاظم الشعور المناهض للحرب لدى الجماهير في العالم كله بوجه عام وفي روسيا خاصة ، وقد تأكدت نظرية لينين القائلة ، بان الامبريالية هي عشية الثورة الاجتماعية للبروليتاريا وامكان انتصار الاشتراكية في بلد واحد ، بنجاح البروليتاريا الروسية، باحداث ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى التي سجلت انتصارا باهرا للماركسية الثورية على الاصلاحية والتي ارتفعت بتأثيرها (موجة الحركة الثورية في العالم باسره ففي كانون الثاني ١٩١٨ انفجرت الثورة العمالية في فنلندا وفي اب ١٩١٩ عرفت اليابان «انتفاضات الرز» وفي تشرين الثاني ١٩١٨ سقطت ملكية هبسبورغ في النمسا ــ المجر وكانت ثورة تشرين الثاني ١٩١٨ البرجوازية في المانيا على جانب عظيم من الاهمية بالنسبة لتطور الازمة الثورية في اوروبا ، وفي فرنسا وايطاليا وبلغاريا ، وفي البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة

---

(١) اسس اللينينية .

اتسع القتـــال الثوري اتساعا كبيرا وفي عـــدة بلدان اوروبيـــة ظهرت مجالس السوفييتات (١) .

الامية الشيوعية الثالثة

وفي المؤتمر التأسيسي للاممية الثالثة (الشيوعية) الذي انعقد في الفترة من ٢ ـ ٦ آذار ١٩١٩ ، وحضره مندوبون عن الاحزاب الشيوعية ، والمنظمات الاشتراكية اليسارية من ثلاثين بلدا وخاصة من جمهورية السوفييت والمانيا ، والنمسا والمجر وبولونيا وفنلندا وفرنسا وبلغاريا والولايات المتحدة الامريكية والصين وكوريا ، وكان المؤتمر تحت قيـــادة لينين الذي قدم تقريـــره بمسألة الديمقراطية البرجوازية وديكتاتورية البروليتاريا فأقره مع الابحاث الاخرى التي شكلت بمجموعها البرنامج الرئيسي للاممية الثالثة الذي مثل نقيضا لبرنامج الاممية الثانيـــة . وباستمرار واتساع الاممية الثالثة نمت الحركة الشيوعية وتبلورت احزابها بالعديد من البلدان ومنها بلغاريا . وفي مثل تلك الاوضاع الدولية النضاليـــة والايديولوجية ، اختار جورجي ديمتروف السير في الطريق اللينيني ، طريق الاممية الشيوعية ليكون رائدا من روادها وبطلا مناضلا من ابطالها ، وليقود الكفـــاح المسلح في بلغاريا وليضرب اروع الامثال في الصلابة وتحدي الفاشية في محكمة لايبزغ ويقود بنجاح الجبهة الشعبية المناهضة للفاشية ويوجه الجبهة الوطنية التي قادت حرب الانصار والثورة على الفاشية في سبيل التحرر والديمقراطية والاشتراكية .

دور الطبقة العاملة في الجبهة الوطنية الموحدة والثورة الوطنية

ان دور الطبقة العاملة لا يقاس بنسبة عددها الى السكان على الرغم من اهمية هذا الموضوع بل انه يتحدد بكونها مسلحة باكثر الايديولوجيات تقدمية وثورية وبكونها تمتلك الاستعداد للانضباط الحديدي الثوري بمنتهى السهولة وانطلاقا من طبيعتها هذه تستطيع ان توحد بقية طبقات المجتمع وفئاته وعناصره الوطنية الثورية في جبهة وطنية تحريرية تقدمية مناوئة للامبريالية والرأسمالية وكل اعوانهما . وقـد نجح المؤتمر السابع للاممية الشيوعية بقيادة ديمتروف بانه يستخدم من جديد الموضوعة اللينينية بخصوص تشكيل الجبهة الموحدة المعادية للفاشية ولعبت الاحزاب الشيوعية بفضل توجيهات ديمتروف دورا واسعا في تشكيل الجبهات الوطنية والشعبية وفي الدفاع عن الاستقلال الوطني وعن مصالح مختلف الامم .

لقد صاغ ماركس وانجلز موضوعة التضامن البروليتاري الاممي ، بيد ان لينين قد طور هذه الموضوعة ووسعها بالتأكيد على التحالف بـين العمال والفلاحين

---

(١) الامميات الثلاث .

بوجه خاص ومع كل الثوريين على وجه العمـوم ، وجاءت ثـورة اكتوبر الاشتراكية العظمى لتعطي النموذج المحسوس لامكانية الانتقال بالقوة الوطنيـة الديمقراطية الى الاشتراكية دون المرور بمرحلـة التطور الراسمالي ، واصبحت الثورة الوطنيـة الديمقراطيةمرتبطة بالثورة الاشتراكية ومتداخلة معها، ارتباطا وتداخلا جعلمسألة قيادة الطبقة العاملة لها امرا ضروريا تحتمه طبيعة الثـورة الديمقراطية واتجاهها الحتمي الذي هو الاشتراكية .

وقد تأكدت هذه الموضوعة بشكل حاسم ونهائي سواء بالنسبة لاساسها النظري الذي صاغه لينين او بالنسبة للظروف الموضوعية التـي اصبحت متوفرة بنضج الراسمالية وبلوغها اخر مراحلها التي هي الامبريالية وصيرورتها ظاهرة عالمية الامر الذي ادى الى انغلاق طريق التطور الراسمالي بوجـه شعوب البلدان المستعمرة والتابعة للاستعمار وفي ظل ظروف السيطرة الامبريالية والحرب العالمية الاولى وقيام ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى اصبحت الثورة الوطنية الديمقراطية جزءا من الثورة البروليتارية العالمية ولم تعد جزءا من الثورة البرجوازية العالمية منذ ذلك التاريخ .

وفي هذه الظروف الدولية الجديدة برز ديمتروف باعتباره ماركسيا-لينينيا ثوريا وجدت فكرة جبهة العمل الموحد على يده تجسيدها العملي حيث نجح في ربط فكرة الجبهةربطا وثيقا مع تجسيدها العملي وبذلك اخرج الفكرة منحيزها النظري الى ميدان الترجمة والعمل وجعلها اطارا نضاليا لتعبئة اوسع الجماهير وتوجيهها ضد اعدائها القوميين والطبقيين .

وقد وعى ديمتروف وعيا تاما ان تحقيق هذا الامر يتطلب العيش بين اوساط الجماهير والانغمار في الكفاح من اجل قضاياها وفهم مزاجها والتعرف على رغباتها والحاجات التي تستقطب اهتمامها. وان كل ذلكيستلزم صياغة برنامجمحدد للعمل تجد فيه الجماهير التعبير الواضح عما تفكر به وتطمح لبلوغه . وان توفر مثل هذا البرنامج المحدد والواضح يستدعي وجود حزب شيوعي ثوري ، وان اهمية وجود مثل هـذا الحزب تكمن في الدور القيادي الثوري الذي ينبغي ان يلعبه والا فان وجوده يبقى شكليا .. لقد وعى ديمتروف كل ذلك وعيا مكنه من تطوير فكرة الجبهة الوطنية المتحدة وصياغة برنامج عملها والمهمات الملقاة على عاتقها ومواصفات الحزب الشيوعي الثوري القادر على تلبية مثل هذه الحاجات والمتمكن من توظيف كل هذه الطاقات واستخدامها من اجل ارباك الخصوم وعزلهم تمهيدا للاجهاز عليهم والاطاحة بهـم .

ان هذا الكتاب الذي يضم بعض موضوعات ديمتروف وابحاثه عن جبهة العمل الموحدة ، قام بترجمته المجلس المركزي لاتحاد النقابات البلغاريين في صوفيا عن اللغة البلغارية . كما قام بمراجعة بعض موضوعاته الاستاذ المحامي عوني الناظر ، ومطابقتها مع النص البلغاري ، فاستحق بذلك ان نسجل له تقديرنا وشكرنا .

هاشم علي محسن

١٠ ايار ١٩٧١

الجبهة الموحدة وهجوم الرأسمال

لقد خرجت فكرة الجبهة الموحدة للجماهير الكادحة ، من ميـــدان البحوث النظرية والدعاية السياسية الاعتيادية ، وانتقلت الى مرحلة تحقيقها العملي القريب .

والامر الذي يجعل اليــوم مــن الجبهة الموحدة ضرورة ماسة ومباشرة ، هو هجوم الراسمال الشرس قبل كل شيء . ذلك ان التحول السياسي منذ التاسع من حزيران «يونيو ١٩٢٣» ، قد اطلق ، مهما كان تقديرنا له ، العنان لهذا الهجوم بشكل واضح لا لبس فيه . وقد احس الراسماليون انهم طليقو الايـدي في شتى ميادين نشاطهم :

في الصناعة والتجارة ، في العمل المصرفي وشراء الاسهم ، في الملكية العقارية الكبيرة ، وفي الزراعة . فراحوا يعملون بشكل محموم لدك كل الحواجز التشريعية وغيرها من الحواجز التـي تقف في طريقهم ، ويعملـــون بداب ليلقوا نهائيا بعبء الضرائب والتعويضات على كاهل الجماهير الكادحة في المدن والارياف .

وقد ظهرت النتائج الاولى لهجـــوم الراسمال الكاسح ، وحريته التامة في التصرف ، فقد انخفض الاجر الحقيقي للعمـل ، بينما ارتفعت تكاليف المعيشة . والقي بالعمال البلغار في احضان البطالة وحرموا مـــن لقمة العيش ، بينما تغص المؤسسات والمشاريع باعداد متزايدة مـــن العناصر الاجنبية ، ولا سيما مـــن فلول جيش «فرانغل» المهزوم . ويمدد يوم العمل اعتباطا ، وتداس تشريعات العمل بلا رادع . ويعتدى على حرية صغار التجار والباعة المتجولين ، وتزاح مساعدة صغار الحرفيين الى المؤخرة ، بينما تلغى حتى اتفه التقييدات على التجارة الكبيرة والمضاربات العالمية . وتنتزع الارض من ايدي الفلاحين المعدمين . اما كبار ملاكي الارض ، فتتاح لهم رغم وجود قانون ملكية الارض ، الامكانية للاستحواذ على غلال الفلاحين الذيـن زرعوا الارض المعطاة لهم بالعرق والدموع . وبدل توسيع وتطوير قانـون المساكن لحماية مصلحة الناس الكادحين واصحاب المساكن الفقراء ، نرى الجهود تبذل بلا كلل لالغائه . كما ان احتكار المواد الغذائيـة ، والاقمشة والجلود والوقـود الذي تسيطر عليه المصارف والشركات المساهمة والراسماليون المنفردون ، ينشر شبكة في سائر انحاء البلاد دونما عقبات ، لكي ترفع خلال الشتاء الاسعار العالية اصلا لهذه المواد ذات الاهمية الحيوية بالنسبة لوجـــود الجماهير ومعيشتها . ولا يدار

تصدير المواد الغذائية والسياسة الجمركية ، وفقا لمقتضيات انهاض البلاد اقتصاديا، وضمان الاحتياطات المتوفرة للاستهلاك الداخلي ، بل لغرض ارواء الظمأ الذي لا يرتوي لدى الشركات المستغلة والمضاربين النفعيين الى الارباح الكبيرة العاجلة .

والواقع ان رزق الشعب البلغاري الكادح ، والمثقفين العاملين والعناصر اللاراسمالية جميعا ، وكذلك وجودهم ومستقبلهم مهدد اليوم بسبب المصالح الانانية لاقلية راسمالية ضئيلة وبسبب طمعها في الاثراء . فهل يكون في مثل هذا الوضع بوسع الاغلبية الساحقة المعدمة ان تقف مكتوفة الايدي وان تنظر بلا مبالاة ولا اكتراث الى مصيرها ؟ وهل ينبغي لها ان تقع فريسة هينة في ايدي الراسماليين وضحية لهجومهم المسعور ، وبسبب البرامج والخلافات السياسية السائدة في صفوفها الان ؟ ومن هو القائد الشعبي الحق الذي تسول له نفسه السماح بذلك ؟

ان الجماهير الكادحة ومثقفيها العاملين ليسوا في الواقع منظمين وموحدين في حزب سياسي واحد . فعدا الجزء الكبير المنتمي الى صفوف الحزب الشيوعي والسائر تحت لوائه ، هنالك قسم كبير آخر ينتمي الى الاتحاد الزراعي ، وقسم ثالث الى الحزب الاشتراكي الديمقراطي ، ويمثل الرابع ـ رغم ضآلته ـ الاغلبية الساحقة في الحزب الراديكالي .

وتختلف جميع هذه الاحزاب فيما بينها وبشكل خاص مع الحزب الشيوعي باهدافها وبرامجها المنهجية ومفاهيمها العامة ، وبتكتيكها السياسي . ومن هنا يأتي التصارع فيما بينها . غير ان الخلافات المستعصية بينها ، بوصفها احزابا للجماهير الكادحة ، يمكن ان تعزى بالدرجة الاولى الى اهدافها النهائية ، والى سبل تحقيقها . بينما تقوم بين هذه الاحزاب جميعا وحزب الراسمال هوة سحيقة ، هوة المصالح المتضاربة جذريا ، اي مصالح البروليتاريا والبرجوازية الصغيرة من جهة ومصالح البرجوازية الراسمالية من جهة اخرى : الهوة التي تفصل بين المستغل والمستغَل ، بين العبد وسيده .

وبقدر ما تريد هذه الاحزاب ان تظل امينة لمصالح الجماهير ، فانها لا يمكنها الا ان تقف موقف المعارضة العنيدة من الاحزاب الراسمالية ، وان تبحث عن نقاط التقاء فيما بينها من اجل العمل والنضال المشترك .

ومن الذي يتجرأ اليوم على ان ينكر ان بوسع حزب الجماهير الكادحة والمثقفين العاملين ، ان تمد ايديها للنضال المشترك ، وان تقف في جبهة واحدة ضد زحف الراسمال ، ومن اجل تحقيق برنامج موحد ملموس يتعلق بقضايا الاجور واوقات العمل والارض والاحتياجات السكنية والضرائب والتعويضات وغيرها من القضايا الحيوية ، ما دامت الجماهير في مثل هذا الوضع المزري ، وما دامت تتعرض لكل هذه المحن الفادحة والاخطار المريعة .

ان مختلف الاهداف والمطالب النهائية لاحزاب الكادحين ليست ولا يمكن ان يكون من شأنها ان تجعل من غير الممكن التوصل الى العمل والنضال المشترك فيما بينها ، والى قيام جبهتها الموحدة للدفاع عن الجماهير الكادحة في هذه الايام

المصرية ، شريطة ان تسترشد الاحزاب الاخرى شأن الحزب الشيوعي ، بمصالح هذه الجماهير حقا ، وان تضحي بائتلافها المنافي لمصالح الشعب مع الاحزاب الراسمالية ، اي بما يسمى بالائتلاف الديمقراطي والليبرالي الوطني .

وان الحزب الشيوعي لعلى يقين راسخ من ان تلك هي انجع وسيلة في اللحظة الراهنة لصد هجوم الراسمال وانتشال الجماهير الكادحة من المحن والمخاطر التي تتعرض لها ، وانقاذ البلاد من الطريق المسدود الذي دفعتها اليه البورجوازية الراسمالية . وبطبيعة الحال، فان الحزب يطرح موضوع الجبهة دون ان يتخلى عن شيء من اهدافه المنهجية الكبرى ، ودون ان يمس استقلاله بوصفه حزبا قائما بذاته ، وبدون ان يطلب من احزاب الاشتراكيين الديمقراطيين والمزارعين والراديكاليين التخلي عن اهدافهما المنهجية عندما يقترح الجبهة الموحدة .

ان الجبهة الموحدة لا تعني في التطبيق قطعا ، التراجع عن المبادىء الحزبية العامة ، ولا محوا للشخصية الحزبية ، بل مجرد الاقرار ببرنامج مشترك ملموس ضد الراسمال ، للدفاع عن الجماهير الكادحة ، وللنضال المشترك من اجل تحقيق هذا البرنامج .

وقبل التاسع من حزيران (يونيو) ، عندما كان الاتحاد الزراعي برمته في ايدي البورجوازية الريفية الحاكمة ، وعندما كان في صراع ضار مع كادحي المدن والجماهير الريفية،لم يكن بالامكان كما هو واضح تحقيق جبهة العمل الموحدة. غير ان هذه العقبة قد ازيلت اليوم ، كما ازيلت سلسلة من العقبات الاخرى ، ولم يعد بوسع الاتحاد الزراعي ، بعدما حدث ، ان يصبح في اية حال اداة بيد البورجوازية الريفية ، وسيسير بلا شك مع الجماهير الكادحة ، والا فانه سيموت نهائيا اذا ما عجز عن ذلك .

ان طريق الجبهة الموحدة ممهد ، وان جبهة العمل الموحدة هذه ضد الراسمال ستتحقق، لان مقتضيات الحياة ومشيئة الجماهير الكادحة تمليها بعزيمة حديدية .

والويل ثم الويل لتلك الاحزاب او القادة الحزبيين الذين يريدون ان يكونوا ممثلي الشعب البلغاري الكادح ، ويقترفون بحكم حساباتهم واعتباراتهم الحزبية والشخصية ، الخاطئة ، حماقة الحفاظ على ائتلافهم مع الراسماليين ، ويناوئون جبهة العمل الموحدة . وانهم بذلك سيوقعون بانفسهم حكم موتهم السياسي !

«رابوتنيتشيسكي فيستنيك» (الجريدة العمالية)
عدد ١٠٦٧ في ٢٢ آب (اغسطس) عام ١٩٢٣

الجبهة الموحدة والرجعية البورجوازية

من المعروف ان الراسماليين هم اقلية ضئيلة في بلادنا ، وعددهم لا يتجاوز في اية حال من الاحوال ، ربع مجموع سكان البلاد ، بما في ذلك مفكرو الرأسمال وغيرهم من الناس والفئات ذوي المصلحة المباشرة في انتهاج سياسة راسمالية صرفة وفي تطبيق الراسمالية .

لكن هذه الاقلية الراسمالية بالذات هي التي تريد ان تحكم الشعب والبلاد وتقرر مصيرهما ، وان تحكم سيطرتها الطبقية على الاكثرية الساحقة للشعب الشغيل .

وقد بات واضحا اليوم بعد الحروب والكوارث والضربات الدامية التي قاستها البلاد ، وبعد الافلاس التام للاحزاب البورجوازية في الماضي ، انه ليس بامكان الاقلية الراسمالية ان تجر وراءها الجماهير الشعبية الواسعة باسم برنامج وطني عام ، ولذلك فهي ترى السند الوحيد لسلطتها في الارهاب والعنف داخل البلاد، وفي وضع نفسها كأداة عمياء لخدمة الامبريالية والغزاة الاجانب على النطاق الخارجي .

ومن الطبيعي ان الاندماج المضحك الهزيل لبعض الاحزاب البورجوازية القديمة في ما يسمى «بالائتلاف الديمقراطي» ، لم يغير شيئا على الاطلاق في هذا الشأن ، بل كشف بشكل واضح امام اعين الشعب عن النوايا الرجعية للاقلية الراسمالية .

وفي مثل هذه الظروف ، اصبح النظام البرلماني عقبة كأداء بوجه الراسماليين وحجر عثرة امام زحف الراسمال ، وسياسة الاستغلال ونهب واخضاع الاغلبية الشعبية الساحقة . فان الشرعية تخنقهم وتقضي عليهم . وهم يناصبون العداء ، كل ما نادت به الثورة البورجوازية الفرنسية العظمى ، من مبادىء الديمقراطية في الحكم . وهم يناهضون البرلمانية والحريات الدستورية. انهم يسعون الى فرض ديكتاتورية الراسمال البورجوازية . وقد شرعت صحيفة «برافدا» لسان القسس ، تنادي بصراحة تبلغ حد الاستهتار ، قائلة بان الحكم في البلاد يجب ان لا يعهد به «للاكثرية الشعبية الجاهلة» و«الدهماء» بل «لمثقفي» الصفوة الراسمالية .

واخذ الراسماليون واحزابهم في بلادنا ، كما هي الحال في كثير من البلدان، يلجأون في سعيهم للحفاظ على سيطرتهم الطبقية ، والتشبث بسلطة الدولة الى اخر الوسائل الفاشية التي تتنافى على خط مستقيم ، مع كل ديمقراطية ، واية حقوق وحريات سياسية للجماهير الشعبية .

ان «السلطة الجديدة» للراسماليين البلغار ، سارعت الى تنظيم الملاكات الفاشية ، وشرعت بهجومها على الكادحين في بلادنا ، بعد ان ادركت حق الادراك انه لو اجريت انتخابات حرة ، لادت حتما الى تشكيل برلمان يضم اغلبية ساحقة من ممثلي الشعب الكادح . ولا شك في ان اعمال البطش الوحشية في «ترنوفو» و«بيركوفتسا» و«براتسيفوفا» و«بيروشيتسا» وغيرها ، وكذلك المعاملة اللاانسانية، والاحكام الجائرة بحق المتهمين بالحوادث المتعلقة بالتاسع من حزيران (يونيو) ، ليست سوى بداية للحملة الفاشية التي يشنها الراسماليون في بلادنا . وان اولئك الذين يظنون ان الفاشية موجهة ضد ما يسمى «بالخطر الشيوعي» فقط ، يخدعون انفسهم ، ولا بد ان يدفعوا ثمن وهمهم وقصر نظرهم السياسي غاليا .

ان الفاشية لا تعني قطعا مجرد العداء للشيوعية ، انما هي في الوقت ذاته معادية للشعب . اما مهمتها فهي ان تضمن من الناحية السياسية نجاح زحف الراسمال ، والاستغلال ، ونهب الجماهير الشعبية من قبل الاقلية الراسمالية ، وتثبيت سطوة هذه الاقلية على الاغلبية الشعبية .

واذا ما افلحت الفاشية عندنا ، بتوطيد اقدامها ، وضرب «الخطر الشيوعي» ، فان ضرباتها الوحشية ستمس كذلك في الصميم ، جميع الاحزاب السياسية وكل المؤسسات الاقتصادية الاخرى التي من شأنها ان تدافع بشكل او اخر ، عن مصالح وحقوق جماهير الكادحين . كما لن يكون بوسع الاشتراكيين الديمقراطيين ولا الراديكاليين ان يتفادوا هذه الضربات اذا لم يوافقوا على ان يكونوا اداة طيّعة في ايدي الراسماليين البلغار .

ومثال ايطاليا (المثال الكلاسيكي للفاشية) هو برهان ساطع على ذلك . فان ضربات الفاشية الايطالية تنهال اليوم على رؤوس الاشتراكيين وغيرهم من العناصر الراديكالية ، بما لا يقل همجية عما يقاسيه الشيوعيون . ومن المصلحة الحيوية المشتركة لجماهير الكادحين والمثقفين العاملين ، وكذلك لاحزابهم السياسية ومؤسساتهم الاقتصادية ، ان يذودوا اليوم بجهودهم المتضافرة عن حرياتهم وحقوقهم وكرامتهم وحياتهم ، وذلك بلجم الرجعية البورجوازية الزاحفة ومظهرها النموذجي ـ الفاشية ، منذ البداية .

فهل يمكن ان تكون البرامج الراهنة وغيرها من الخلافات القائمة بين احزاب الجماهير الكادحة في البلاد ، عقبة في سبيل انجاز هذه المهمة الملحة ؟

وهل يمكن ، وهل يجب ان تدع هذه الاحزاب ، فاشية الاقلية الراسمالية، تسحق الشعب الكادح وتعرّضه الى الانحطاط الجسماني والروحي ، وان تترك البلاد في مهب الريح وفي الفوضى ، او تدعها لقمة سائغة للغزاة الاجانب ،

وللراسماليين المتعطشين الى الثراء ولمفكريهم والمدافعين عنهم ، بسبب الخلافات والجدل حول مسألة التأميم والملكية الاجتماعية او حول اشكال الحكم الشعبي المقبل ، مثلا ؟

ومن هو ذلك الزعيم الزراعي او الاشتراكي الديمقراطي او الراديكالي ، الذي لم يقطع صلاته بالشعب ، ويجرؤ على دعم مثل هذه الفرضية الباطلة الحمقاء ؟

وهل ستدرك الاحزاب الاخرى للجماهير الكادحة ولاسيما الاشتراكيون الديمقراطيون والراديكاليون المرتبطون اليوم بحلف مع الاحزاب الراسمالية ، والذين يساعدون على تقوية الرجعية البورجوازية وبلورة وتنظيم الفاشية، مشيئة اللحظة الراهنة ، عندما يقترح الحزب الشيوعي جبهة العمل الموحدة ؟

وهل سيفهم هؤلاء ان المصالح الحيوية للجماهير الكادحة تملي عليهم ان يضعوا حدا لائتلافهم المعادي للشعب مع الاحزاب الراسمالية - الائتلاف الديمقراطي والليبرالي القومي ، وان يكفوا عن اداء الدور المشين - دور ورقة التوت لستر عري الرجعية البورجوازية والفاشية الفاضح ، ويتبنوا شعار الحزب الشيوعي - جبهة الخلاص الموحدة ؟

ان المستقبل القريب سيعطي الجواب على هذه الاسئلة !

غير ان ما يستطيع ان يراه بوضوح منذ اليوم كل من يعرف واقعنا السياسي ويتتبعه ، هو ان جميع الناس الكادحين - من عمال ، وفلاحين ، وحرفيين، وتجار صغار ، وموظفين ، الى الاطباء والمحامين والمهندسين والاساتذة الجامعيين ، والضباط الاحتياط وحتى الجنرالات العائشين بكدهم الخاص - يستشعرون غريزيا ، الخطر المحدق بهم وبالبلاد ، ويبحثون عن الخلاص في النضال المشترك من اجل الدفاع الجماعي عن النفس ضد العدو المشترك .

وفضلا عن زحف الراسمال ، ولهذا السبب الكبير ذاته ، فان الجبهة الموحدة تفرض نفسها بحكم الضرورة الحتمية . ومن يقاومها اليوم ، فانه يقف ضد مصالح وحقوق الشعب الكادح وسلامته ، وضد حرية واستقلال البلاد ، وهو اداة ذليلة بيد الرجعية والفاشية ، والاقلية الراسمالية ضد اغلبية الشعب الساحقة .

«رابوتنيتشيسكي فيستنيك» (الجريدة العمالية)
عدد ٦٨ في ٢٣ آب (اغسطس) عام ١٩٢٣

الجبهة الموحدة والازمة السياسية

لقد احدث انقلاب التاسع من حزيران (يونيو) ازمة سياسية عميقة لمسنا بواكيرها منذ ما بعد كارثة ايلول (سبتمبر) عام ١٩١٨ التي اختفت مؤقتا كالجمر المستعر تحت الرماد خلال سلطة المزارعين واندلعت الان من جديد .

والمسألة الكبرى التي تطرحها اليوم هذه الازمة السياسية المتفاقمة في جدول الاعمال لايجاد حل مباشر لها ، هي مسألة السلطة . لمن ستعود السلطة في هذا البلد : ــ هل للاقلية الراسمالية ، ام للاغلبية الساحقة من الشعب الشغيل؟ او بعبارة اخرى من الذي ينبغي ان يقرر مصير الشعب والبلاد ويقود التطور الاجتماعي : ــ الطبقة الراسمالية ام الشعب الشغيل ؟

ومن الطبيعي ان هذه المسألة المصيرية لا يمكن حلها كما اعتاد بعض السادة الجنرالات حل شؤونهم في الثكنات ، ولا كما يسوّي بعض السادة الاساتذة شؤونهم في المحافل الجامعية ، وانما يكون حل المسائل السياسية والمعضلات الاجتماعية ، مرهونا ، في اخر المطاف باحتياجات الحياة الواقعية ومتوقفا على ميزان القوى الاجتماعية المتصارعة في اللحظة المعينة .

وهنالك حلان محتملان للازمة السياسية . احدهما الحل الرأسمالي للازمة، وثانيهما ــ الشعبي ، اي الحل الذي تقترحه الجماهير الكادحة . وليس هنالك حل وسط اليوم ولا يمكن ان يكون .

لكن ما هو الحل الذي تسعى الاقلية الراسمالية الى فرضه . انه يلمس بوضوح تام من تصرفات الحكومة الحالية نفسها . والحل الراسمالي للازمة يستوحي بشكل قاطع رغبة الرأسماليين في ابقاء السلطة بأيديهم بأي ثمن دونما اعتبار لاحتياجات الجماهير الشعبية في البلاد . فان الراسماليين لا يهمهم سوى مسألة ارباحهم وثرواتهم وتثبيت سيطرتهم الطبقية وضمان امكانية استغلال ونهب الناس الكادحين دونما عائق واستنادا الى سلطتهم . وهم يريدون ان تقام في البلاد سلطة للدولة تدار كليا من قبل ادارات البنوك والشركات المساهمة ومن قبل البورصة ومكاتب الاتحاد الصناعي والاتحاد الاحتكاري «بلقان» واحتكار تصدير التبوغ وغيرها من مختلف الشركات الرأسمالية ، وهم يسعون عن طريق السلطة

الى اخضاع حياة البلاد الاقتصادية والثقافية والسياسية اخضاعا تاما لمصالح الراسمال .

ونظرا لان الاغلبية الشعبية الساحقة تناهض ، كما هو واضح ، مثل هذا الحل للازمة السياسية المكشوفة ، فان الراسماليين البلغار واحزابهم التي اخذت السلطة بوسائل لا برلمانية ، لا يعوّلون اليوم كذلك على الوسائل البرلمانية للحفاظ على هذه السلطة .

وها قد مرت قرابة ثلاثة شهور على الانقلاب وما زال «منقذو» الشعب من طغيان المزارعين لم يقرروا بعد موعدا للانتخابات البرلمانية ، .وهم يواصلون التشبث بالسلطة عنوة . ويبذلون كل الجهود لازاحة الاتحاد الزراعي عن الاشتراك في الانتخابات المقبلة، وكذلك ازاحة الحزب الشيوعي اذا ما تسنى لهم ذلك بشكل ما. وهما اكبر حزبين شعبيين سياسيين في البلاد . وهم ينوون اجراء الانتخابات لا على اساس النظام الانتخابي النسبي ، بل على اساس تزييفه الفظ . وهم يعدون الان بداب ماكنة الانتخابات ، ويشنون منذ الان الارهاب ضد الجماهير لاجراء انتخابات ليس من شأنها ان تعطي تعبيرا حرا عن ارادة الشعب ، بل ان تضمن بأي ثمن اغلبية برلمانية للاقلية الراسمالية المتسلطة اليوم .

ان الحل الراسمالي للازمة السياسية ، يؤدي لا محالة الى ديكتاتورية عسكرية او فاشية بكل ما تجره من الويلات على الشعب والبلاد ومن الاخطار الخارجية على حريتهما واستقلالهما وعلى السلم عموما .

اما الحل الشعبي للازمة السياسية ، فيعني ايداع السلطة في ايدي الجماهير الكادحة ، الاغلبية العظمى للشعب التي يحق لها وحدها ان تحكم نفسها ، وان تدير البلاد ، وان تتصرف بمصيرها الخاص . ويعني هذا الحل كذلك ، توجيه الحياة الاقتصادية والثقافية والسياسية للبلاد ، وكذلك التطور الاجتماعي في طريق تلبية الاحتياجات المعاشية وضمان الحقوق والحريات والرخاء والسلم للشعب الكادح وذلك باخضاع مصالح الراسمال والاقلية الراسمالية الانانية الى هذا الهدف الكبير .

هذا هو الحل الصائب الوحيد للازمة السياسية الراهنة انطلاقا من مصالح ومستقبل الجماهير الكادحة ومجموع المثقفين العاملين وكل العناصر اللاراسمالية ، وكذلك من وجهة نظر الاستقلال الوطني للبلاد وتحرير شعوب البلقان المستعبدة وضمان علاقات سلمية وطيدة مع الشعوب والبلدان المجاورة .

غير ان حل الازمة هذا ، المنقذ للشعب وللبلاد لا يمكن تحقيقه في الظروف الراهنة الا عن طريق جبهة العمل الموحدة التي يقترحها الحزب الشيوعي ، الجبهة الموحدة للجماهير الكادحة واحزابها السياسية وتنظيماتها الاقتصادية ــ اعتبارا من الشيوعيين الى الراديكاليين الحقيقيين الذين لم يستسلموا للائتلاف الديمقراطي.

وتواجه اليوم الحزبين الاشتراكي الديمقراطي والراديكالي اللذين ما يزالان ضمن حكومة واحدة مع احزاب الراسماليين مسألة تقرير واختيار احد الحلين

المكنين للازمة السياسية ـ الحل الذي يؤدي عن طريق اتحادهم مع الائتلاف الديمقراطي والقوميين الليبراليين الى الديكتاتورية العسكرية او الفاشية حتما ، والحل الاخر الذي سيؤمن للبلاد عن طريق جبهة العمل الموحدة سلطة شعبية حقة ، حكومة عمالية فلاحية .

وسيتضح قريبا اي الحلين سيختاره الاشتراكيون الديمقراطيون والراديكاليون !.

غير ان الذي لا شك فيه اليوم هو ان الشعب الكادح بأسره بما في ذلك جمهرة مؤيدي الحزبين الاشتراكي الديمقراطي والراديكالي ستقف بالاجماع الى جانب جبهة العمل الموحدة . وان هذه الجبهة ستتحقق اخر الامر ، لخير الشعب والبلاد ، بالرغم من كل الاعمال المضادة مهما كان مصدرها ومهما كان طابعها .

«رابوتنيتشيسكي فيستنيك» (الجريدة العمالية)
عدد ٢٤ آب (اغسطس) عام ١٩٢٣

الخوف من جبهة العمل الموحدة

ان اقتراحنا بشأن جبهة العمل الموحدة الموجه الى الحزب الاشتراكي الديمقراطي يثير قلقا بالغا وسط قيادات الاحزاب البورجوازية وهيئات تحرير صحفها .

ونحن نشهد اليوم التكهنات المتضاربة والمضحكة بصدد النوايا التي يرمي اليها الحزب الشيوعي باقتراحه هذا . وما زال الكهنة السياسيون الشيوخ وكذلك المتنبئون الشبان في الصحف البورجوازية يكدّون اذهانهم التي هي ليست سليمة اصلا ، لتفسير هذه النوايا بالذات .

وقد اعلن البعض ان الاقتراح الشيوعي ليس جديا ، وانه «مناورة بارعة» «لساسة حاذقين» تستهدف اشاعة الفوضى في الحزب الاشتراكي الديمقراطي وتشتيت صفوفه .

وراح البعض الاخر يبحث في هذا الاقتراح عن قرائن لتراجع الشيوعيين عن مبادئهم الاساسية وعن برنامجهم الستراتيجي ، وعن أساليبهم «البلشفية» ، ذلك التراجع الذي قام به الشيوعيون لصيانة حزبهم من «الانحلال» ولانقاذ «رؤوسهم وجلودهم» . واكتشف الاخرون من أمثال الراسمالي المالي الديمقراطي البائر ليابتشيف في اقتراح الحزب الشيوعي حتى «تدهورا خلقيا» للشيوعيين البلغار.

وبذلك حصلنا على لوحة طريفة ومرحة للغاية . فان اعداء الحزب الشيوعي الالداء الذين ما انفكوا ينظمون حملة الوعيد لابادته، يعربون الان عن اسفهم العميق على «التدهور الخلقي» للشيوعية وممثليها من جراء مناداتهم بخطة جبهة العمل الموحدة .

وفي الوقت نفسه شمّر ايديولوجيو ودعاة الراسمالية البلغارية في هيئات تحرير عشرين صحيفة بورجوازية عن سواعدهم «لانقاذ» الحزب الاشتراكي الديمقراطي لئلا يعلق بشكل ما «بسنارة الشيوعيين» ، فيحكم على نفسه بالموت. اي ان يكف عن لعب دور المساعد والشريك في جرائم ومجازر الطبقة الراسمالية ضد الشعب البلغاري الكادح .

وليس عبثا ان اعلنت صحيفة الحزب الديمقراطي المنحل «بريابوريتس» قبل اسبوعين ، اثناء استعراضها لدور الحزب الاشتراكي الديمقراطي في حياتنا السياسية ، والخدمات الجلى التي قدمها هذا الحزب للبورجوازية في الماضي وفي الاحداث المرتبطة بالتاسع من حزيران (يونيو) ، تقول ، انه لو لم يكن الحزب الاشتراكي الديمقراطي قائما لكان على البورجوازية نفسها ان تعنى بايجاده لمصلحتها الخاصة .

ان القلق الحالي في الاوساط البورجوازية مفهوم طبعا . فان جبهة العمل الموحدة تمثل سلاحا ماضيا ضد الدسائس الراسمالية الرجعية ، وضد السيطرة الطبقية للبورجوازية ، سلاحا تدرك انه مسدد الى قلبها مباشرة . والجبهة الموحدة ، هي خطر داهم حقا بالنسبة للراسماليين واصحاب البنوك والمضاربين ولكبار الملاكين العقاريين ، ولجميع الذين يريدون العيش والاغتناء كعناصر طفيلية على ثمار عمل اغلبية الشعب الساحقة .

غير ان تكهنات العرافين السياسيين الشيوخ ومتنبئي الراسمال الشبان ، بشأن النوايا التي يستهدف الحزب الشيوعي تحقيقها من وراء تاكتيك الجبهة الموحدة ، لا محل لها هنا قطعا ، لان هذه النوايا ليست ولا يمكن ان تكون سرا على احد .

ان الامر ، ايها السادة العلماء الفطاحل والاساتذة الكرام ، لعلى غاية من البساطة والوضوح ، وهو ابسط من ابسط الاشياء في العالم .

فان جبهة العمل الموحدة ضرورية ، لضمان الخبز والحياة ، والحقوق والحريات والمستقبل للشعب الكادح . والجبهة الموحدة ضرورية لحماية الجماهير الشعبية وجميع المثقفين العاملين وسائر العناصر غير الراسمالية من الاستغلال والنهب ، والاضطهاد الذي تمارسه الاقلية الراسمالية ، ليحبطوا دكتاتوريتها العسكرية او الفاشية الميتة ، وليقيموا سلطتهم الشعبية الحقة . والجبهة الموحدة ضرورية للحيلولة دون المغامرات الحربية والاخطار الجديدة ولضمان الحرية السياسية والاستقلال الوطني والسلم للبلاد ، ولاقامة علاقات اخوية مع الشعوب المجاورة . وان الجبهة الموحدة للجماهير الكادحة ، ضرورية اخر الامر لتدفع التطور الاجتماعي الى امام شطر التحرير التام للشعب والبلاد من نير الراسمال .

ان الحزب الشيوعي الذي يمثل اليوم اكبر واصدق حزب شعبي في بلادنا، وطليعة للشعب البلغاري الكادح ، يؤدي واجبه نحو نفسه ، ونحو الشعب والبلاد، ويستجيب لرسالته التاريخية الخاصة عندما يبادر قبل غيره ويعمل بلا كلل وبتفان من اجل تحقيق جبهة العمل الشعبية وتعبئة جميع الاحزاب السياسية والمنظمات الاقتصادية للكادحين في بلادنا في صف واحد ضد راس المال والرجعية .

كما ان الحزب الشيوعي ، بوصفه حزب الجماهير الشعبية ، لا يحس باية حاجة للعمل خلف الكواليس ، وفي الاقبية الخفية المظلمة ، ومن وراء ظهر الشعب ، كما تفعل ذلك اليوم القيادات المفلسة للاحزاب البورجوازية القديمة التي

يمقتها الشعب والمتنكرة بزيها الجديد ـ الائتلاف الديمقراطي .

وان الحزب الشيوعي اذ يقترح جبهة العمل الموحدة، ويعمل من اجلها جهارا، وعلى رؤوس الاشهاد ، فلأنه لا يقترف بذلك عملا اسود معاديا للشعب ، كما يفعل ذلك اليوم «المؤتلفون» المتجمعون تحت سقف واحد خوفا من الشعب ، وكذلك اشقاؤهم من الحزب الوطني الليبرالي .

فكيف يمكن اتهام الحزب الشيوعي بعدم الاخلاص ما دام يقرن كل اقواله بالافعال الملائمة ؟

ان احتياجات الجماهير الشعبية ومصالح حركتهم التحررية هي القانون الاسمى للحزب الشيوعي . وهذه الاحتياجات والمصالح بالذات هي التي وجدت تعبيرها الخلاق وتجسيدها السياسي في مبادئه الاساسية ، وفي برنامجه المرحلي والبعيد ، وهي تكمن على الدوام وبثبات في اساس تاكتيكه وتضفي عليه مضمونا واقعيا . ان أشكال التاكتيك الشيوعي هي وحدها التي تتغير تبعا للوضع السياسي المتغير ، وللظروف المستجدة في غمرة النضال .

ان عواء البورجوازية الراسمالية ضد جبهة العمل الموحدة وفزعها من تطبيقها الفعلي ، هما اسطع دليل على صواب تاكتيك الحزب الشيوعي وحصافة الاقتراح الملموس الذي قدمه بشأن الجبهة الموحدة .

لقد قال «بيبل» زعيم البروليتاريا الالمانية الخالد ، يوما ، ان افضل مقياس لادراك ما اذا كانت البروليتاريا على الطريق القويم ، ام لا هو بالذات ما يقوله عنها وعن خط سلوكها اعدائها .

وهكذا فان الحزب الشيوعي يستطيع اليوم التأكيد بارتياح ، انه على السبيل القويم بفضل تاكتيكه لجبهة العمل الموحدة ، وكذلك بسبب الموقف السلبي المتطير جدا حياله من جانب الراسماليين واحزابهم ، ومفكريهم واساتذتهم ومحاميهم .

ان الجبهة الموحدة للعمل تتحقق بالرغم من اعدائها الكثيرين لانها مفروضة من الحياة نفسها .

«رابوتنيتشيسكي فيستنيك» (الجريدة العمالية)
العدد ٧١ في ٢٧ آب (اغسطس) عام ١٩٢٣

الجبهة الموحدة أم التعاون الطبقي

ان النظريين والدعاة المعروفين للتعاون الطبقي بين البروليتاريا والبورجوازية عندنا ، يحتفلون اليوم بعد الهزائم والاخفاقات المريرة التي منوا بها قبلا . وهم يريدون بشعور من الاعتداد بالنفس ان يظهروا للعالم ان الاقتراح الشيوعي بشأن الجبهة الموحدة للعمل يثبت صواب تاكتيك التعاون الطبقي ، وحتى انه لقادر على تغطية كل ما الحقوه من اذى بمصالح الجماهير الكادحة، نظرا لتعاونهم مع الاحزاب البورجوازية .

انه لانتصار عقيم ومبتسر لساسة سطحيين ، لم يتعلموا شيئا من الحياة ولم ينسوا شيئا من تعاونهم السابق الاثير مع البورجوازية .

ومن الواضح ان استنتاجات السادة في هذا الشأن تستند الى الخلط الفظ والمساواة بين جبهة العمل الموحدة التي يقترحها الحزب الشيوعي وتاكتيك التعاون الطبقي .

ولكن ليس اضل من مثل هذا الضلال ، ولا ابشع من هذا التشويه لفكرة الجبهة الموحدة ، لان ـ وهنا ينبغي التأكيد على الفور ـ الجبهة الموحدة والتعاون الطبقي ليسا امرين متغايرين وحسب ، بل انهما تاكتيكان متعاكسان ومتناقضان ولا ينسجمان على الاطلاق ، وينفي احدهما الاخر .

في الواقع ، ان الجبهة الموحدة للعمل تمثل بحد ذاتها عملا ونضالا مشتركا للجماهير الكادحة واحزابها السياسية ومنظماتها الاقتصادية في سبيل مطاليب واهداف ملموسة ، لا يمكن تحقيقها الا عن طريق النضال ضد البورجوازية والراسمالية ، واحزابهما ، وليس في تعاون معهما مهما يكن من امر .

اما التعاون الطبقي او ما يسمى عندنا بالقضية العامة ، فلا يمثل حتى في افضل اشكاله ، سوى اخضاع احتياجات ومصالح الجماهير الكادحة للمصالح والاهداف الطبقية وللسياسة الطبقية البورجوازية ، لقاء مساومات مؤقتة تافهة مع احزاب او جماعات او حتى اشخاص معينين .

ان جبهة العمل الموحدة تستهدف توحيد جهود البروليتاريا وجميع الجماهير

والجماعات والعناصر الكادحة في المجتمع الطبقي الراهن للذود عن مصالحها وحقوقها المتطابقة في اللحظة الراهنة ، ضد البورجوازية الراسمالية ورجعيتها ، بينما يشتت التعاون الطبقي صفوف الجماهير الكادحة ، ويقوّض احزابها ومنظماتها ويسهل للبورجوازية تحقيق مآربها الاستغلالية الجائرة ويساعدها على فرض سيطرتها الطبقية على الاغلبية العظمى من الشعب الكادح .

كما ان جبهة العمل الموحدة تقام على اساس منهاج لتأمين خبز وحياة وحقوق الشعب الشغيل وحرياته ومستقبله ، اما التعاون الطبقي فيؤدي الى استخدام الجماهير كعملة للتداول ، من اجل تحقيق اهداف ومصالح غريبة عنها .

كما ان جبهة العمل الموحدة ، تحرر الجماهير الشعبية الواسعة من النفوذ السياسي والتبعية للبورجوازية الراسمالية ، وتؤدي الى العزلة التامة للراسمال واحزابه وبذلك تمهد الطريق نحو التحرر النهائي للعمل من نير راس المال .

اما التعاون الطبقي فيخضع الجماهير الكادحة للبورجوازية الراسمالية ، ويثبت مواقع البورجوازية الراسمالية الطبقي، وينتشلها من الوضع الحرج الذي تقع فيه في لحظة معينة ، بسبب استياء الاغلبية الشعبية ، لكي يتسنى لها بعد ذلك ان تواصل سياسة الاستغلال والنهب والاضطهاد بمزيد من الشدة والعنف .

ان التعاون الطبقي يعني في كل الاحوال البيع الفعلي للمصالح الحيوية ولاستقلال البروليتاريا وجماهير المدن والارياف ذات الملكيات الصغيرة لقاء « كيلة من العدس» كما يقال من اجل اهداف البورجوازية والراسمالية .

ويدل التعاون الطبقي في بلادنا كما في البلدان الاخرى . على ان الحكومات الائتلافية بين الاحزاب البورجوازية والحزب الاشتراكي الديمقراطي ، او غيره من احزاب البورجوازية الصغيرة، هي دائما حكومات مؤقتة لحماية وانقاذ البورجوازية من الحركات الشعبية التي تتهددها في فترة ما .

ولقد كانت البورجوازية ذاتها تنظر في كل مكان وما تزال تنظر بهذا الشكل، الى تاكتيك الاشتراكية الديمقراطية فيما يتعلق بالتعاون الطبقي ، وهي لا تلجأ اليه الا بالدرجة التي تكون فيها محرجة ، وبحاجة الى تفادي وشل الحركات الشعبية الموجهة ضد سياستها الاستغلالية التعسفية ، وضد سطوتها الطبقية .

وما ان تفلح البورجوازية باجتياز الصعوبات والمخاطر وتقف على قدميها ثانية حتى تتخلى على الفور عن تعاون الحزب الاشتراكي الديمقراطي ، وتركله بلا ادنى احتفال كنفاية غير نافعة ، بعد ان تطلق شراعها للريح .

والامثلة الاجنبية والمحلية على ذلك ، كثيرة ومتنوعة الى حد يصبح معه من غير الضروري ان نوردها هنا .

والواقع ان جبهة العمل الموحدة التي يقترحها الحزب الشيوعي ، تظهر كنقيض كامل لتاكتيك التعاون الطبقي الذي يمارسه الحزب الاشتراكي الديمقراطي بهذا الاصرار ، وليس هنالك على الاطلاق اي جامع بينه وبين المساومات

الانتخابية ، ولا الائتلافات الحكومية التي تبرمها الاحزاب البورجوازية والحزب الاشتراكي الديمقراطي . وفضلا عن ذلك ، فان الشرط الاول لتحقيق الجبهة الموحدة بين الحزب الشيوعي وبقية الاحزاب والمنظمات العمالية او ملاك الاراضي الصغيرة هو ان تقطع الاخيرة صلاتها مع البورجوازية وأحزابها ، وأن تتخلى عن التعاون معها .

ولا تقوم كأساس لجبهة العمل الموحدة، فكرة التعاون الطبقي معالبورجوازية بل المقاومة الحاسمة من جانب الجماهير الكادحة للطبقة البورجوازية وللنظام الراسمالي ، تلك المقاومة التي فرضت نفسها على الجماهير في حياتها اليوم بشأن كل القضايا الكبيرة المتعلقة بالخبز ، واللباس ، والسكن ، وبالضرائب ، والتعويضات ، والحريات السياسية ، وبالسلم ، والحرب .

ولذلك فان جبهة العمل الموحدة ليست غير متنافية مع النضال الطبقي العنيد بين العمل ورأس المال فحسب ، وانما هي تمثل في الجوهر احد الاشكال التي تجسد هذا النضال في الظروف الملموسة .

ان جبهة العمل الموحدة ضد راس المال واحزابه ، وليس التعاون الطبقي مع البورجوازية – هي مشيئة الساعة العليا اليوم ومشيئة المصالح الحيوية للجماهير الكادحة !. وان الشرط الاول والحتمي لتحقيق هذه المهمة هو بالذات الرفض الحازم لتاكتيك التعاون الطبقي مع البورجوازية ، وقطع الصلة بالائتلاف الحكومي مع الاتحاد الديمقراطي والحزب الوطني الليبرالي .

وان اولئك الذين لا يفقهون او لا يريدون ان يفقهوا ذلك وليس من مصلحتهم تبنيه ، فانهم لا شك سيكونون اعداء للجبهة الموحدة ، وسيخربونها وسيبذلون كل ما في وسعهم لاعاقة تحقيقها الفعلي .

ولذلك بالذات يجد الحزب الاشتراكي الديموقراطي نفسه اليوم في مفترق طرق ويعاني صعوبات الهزات الداخلية لان عليه ان يختار بين تاكتيكه البورجوازي الهادف الى التعاون الطبقي وبين التاكتيك الجديد لجبهة العمل الموحدة .

ولعل تاكتيك التعاون مع الاحزاب البورجوازية والمساومات السرية على الكراسي الوزارية والمناصب النيابية ، والتوزيع «المتكافىء» للغنيمة الانتخابية في الانتخابات القادمة كما تنصحهم صحيفة «مير» باستهتار ، يروق جدا لبعض قادة الحزب الاشتراكي الديموقراطي لكن لن يكون من العسير على القاعدة الحزبية التي عانت حتى الان من ويلاته ومخازي هذا التاكتيك ، ان تدرك الفارق العميق بين الجبهة الموحدة ، والتعاون الطبقي ، وان تتبنى التاكتيك المنقذ الوحيد ، تاكتيك الجبهة الموحدة للعمل القائمة على اساس النضال الطبقي العنيد ضد البورجوازية الرأسمالية .

فثمة امور هي اقوى من الرغبات الفردية ومفاهيم وحسابات القادة عند حل هذه القضايا المصيرية بالنسبة للجماهير الكادحة ، الا وهي احتياجات ومطامح الجماهير الشعبية .

والحزب الشيوعي عندما يقدم اقتراحه بشأن جبهة العمل الموحدة ويعمل بكل قواه من اجل تحقيقها ، فهو يعوّل قبل كل شيء على حليفه العظيم في هذه الحال الا وهو الحياة النابضة العنيدة المستقيمة .

«رابوتنيتشيسكي فيستنيك» (الجريدة العمالية)
العدد ٧٢ في ٢٩ آب (اغسطس) عام ١٩٢٣

الجبهة الموحدة أم المضاربات السياسية ؟

لقد طلبت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في اقتراحها الى اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي الديموقراطي ، بعد ان اوضحت ضرورة الجبهة الموحدة بالنسبة الى الجماهير ، ان تعيّن فيما اذا كانت هي ايضا تقر هذه الضرورة ، ومستعدة لان تقبل من حيث المبدأ الاقتراح الموجه اليها ، بالتقاء ممثلين عنها بممثلي الحزب الشيوعي لوضع برنامج تفصيلي للنضال المشترك . (انظر الاقتراح المذكور في العدد ٦٢ من جريدة «رابوتنيتشيسكي فيستنيك» والعدد ١٨٦ من جريدة «نارود» (الشعب)) .

لقد تم ذلك في ٢٦ آب (اغسطس) . وقد انقضى اسبوعان منذ ذلك الحين، غير ان اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي الديمقراطي ما فتئت تناقش الاقتراح الشيوعي بين الجدران الاربع لمقرها ، وفي جلسات تتباعد فتراتها عن قصد ، ودون ان يتخذ حتى الان اي قرار بشأن الاقتراح ، او لتحديد ممثليهم للاجتماع بممثلي الحزب الشيوعي بغية وضع البرنامج التفصيلي المذكور للنضال المشترك.

غير ان اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي الديموقراطي تجري في الوقت ذاته مفاوضات دائبة مع الحكومة حول توزيع المناصب الوزارية فيما اذا جرى تغيير وزاري ما ، وحول الكراسي النيابية للمجلس القادم ، مستغلة في هذه المفاوضات الاقتراح الشيوعي بالذات ومناقشته المستمرة في اللجنة المركزية .

ان مقالات قادة الحزب الاشتراكي الديموقراطي باستوخوف ، وسكازوف وجيدروف المنشورة في صحيفتي «نارود» و«ايبوخا» (العهد) والحافلة بالاحاجي الغامضة والتلميحات البعيدة ، دون ان تمس مسألة الجبهة الموحدة في جوهرها ، ترمي كما هو واضح الى التأثير على المساومات السرية مع الحكومة ، موحية اليها بأن الحزب الاشتراكي الديموقراطي يمكن ان يقرر اخر الامر اذا لم تؤخذ مطالبه بنظر الاعتبار ، ان يقبل بالاقتراح الشيوعي بشأن الجبهة الموحدة .

ان مجمل سلوك قادة الحزب الاشتراكي الديموقراطي لا يعني اذا ما ترجم الى لغة واضحة مفهومة ، سوى : «اما ان تعطونا منصبا وزاريا اخر وتخرجوا القوميين الليبيراليين من الوزارة ، وتؤمنوا لنا عددا من الكراسي النيابية وغيرها

من التنازلات وامتيازات السلطة ، او ـ نذهب الى الشيوعيين ! » .

ان الجماهير الكادحة التي تنتظر تحقيق الجبهة الموحـــدة بفارغ الصبر تواجه اليوم في الواقع تلاعبا سياسيا غير لائق باقتراح الحزب الشيوعي حـــول الجبهة الموحدة .

فليس الجبهة الموحدة للجماهير الكادحة دفاعا عن مصالحها وحقوقهـــا الحيوية ، بل شيء اخر تماما هو ما يشغل بال القادة الاشتراكيين الديموقراطيين المعتدين الذين ما فتئوا يتظاهرون بانه لا اعتراض لهم على الجبهة الموحدة ، وانهم لا يأبهون بالاشتراك في السلطة مع الاحزاب البورجوازية .

ان الصحيفة الرسمية للحزب الاشتراكي الديموقراطي «نارود» تبذل جهودا كبيرة لاعداد قاعدتها الحزبية نفسانيا ، تمهيدا لرفـــض الاقتراح الشيوعي ، مستخدمة حملة شعواء من الدسائس والافتراءات والتحريضات ضد الحـــزب الشيوعي ، فاليكم ما كتبته بصراحة بصدد مفاوضات ممثلي الحزب الاشتراكـــي الديموقراطي مع الحكومة ، في عددها الصادر في ٢٧ آب (اغسطس) من هـــذا العـــام :

«وهنا نصل الى المسألة الجوهرية . فان على الحكومة الراهنة ان تقرر مع من تسير : أتسير مع الاشتراكيين الديموقراطيين ام مع الليبيراليين القوميين ؟. ولتعلم انها اذا لم تتخلص من الليبيراليين القوميين ، فانها لن تجد سبيلا الـــى التعاون مع الاشتراكيين الديموقراطيين . ونحن نعتقد ، بصرف النظر عن كـــل الاعتبارات الاخرى ، ان هذا الامر ذو اهمية بالنسبة لمؤتمر الراديكاليين القادم ، وكذلك لمستقبل الاشتراك سواء في الحكومة او في الائتلاف» .

اما نحن فندع جانبا واقع انه لن يوجد رجل سليم التفكير من اعضاء الحزب الاشتراكي الديموقراطي ، بوسعه ان يفهم لماذا يرفض الاشتراكيون الديموقراطيون بالذات ، الاشتراك في الحكومة سوية مع الليبيراليين القوميين ، طالما كانوا علـــى استعداد للسير يدا بيد مثلا ، مع اصحاب البنوك والمضاربين والنصابين ، ومـــع الصناعيين والتجار «الديموقراطيين» الذين هم ليسوا ، كما هو معروف ، اقـــل رجعية ولا اكثر مماشاة لمصالح وحقوق العمال والجماهير الكادحة ، ولا هـــم «انظف» من الليبيراليين القوميين .

فالمهم هنا ، هو اننا نرى في اللحظة الراهنة ، والجماهير الكادحة تعانـــي اعباء المضاربات والغلاء وازمة السكن والضرائب الفادحة ، وفي الوقت الذي تنوء فيه تحت وطأة نظام الظلم السياسي والقسر والجور ، والمحاكمات اللاانسانيـــة والاغتيالات السياسية ، ويتعرض وجودها بالذات وحقوقها وحرياتها ومستقبلها وحياتها لكل هذا الخطر ، وفي الوقت الذي تسعى فيه الجماهير الى خلق جبهتها الموحدة ضد الرأسمال والرجعية والفاشية للدفاع عن النفس ، في هذه اللحظة بالذات نرى ان الشغل الشاغل لزعماء الحزب الاشتراكي الديموقراطي ، الذيـــن يجرون مفاوضات مع الحكومة، هو ازاحة الليبيراليين القوميين من الوزارة، لتتسنى

لهم فرصة الحصول على كرسي اخر ولتسهيل تواطئهم الانتخابي مع الائتـلاف الديموقراطي .

اي ان الحكومة اذا ما قررت الانفصال عن القوميين الليبراليـين ، وحلت بذلك المعضلة الجوهرية لزعماء الحزب الاشتراكي الديموقراطي حلا يروق لهم ، فذلك يعني ان الحزب الاشتراكي الديموقراطي سيظل في الوزارة وسيستمر في التعاون مع التكتل البورجوازي الراسمالي المتمثل في الائتـلاف الديموقراطي ، ويصبح في جبهة موحدة مع الراسمال والرجعية والفاشية (١) ، ضد الجبهـة الموحدة للجماهير الكادحة .

ان الحكومة الراهنة قد اختطت نهجها بصورة نهائية . ولا يعجز عن رؤية ذلك سوى السياسيين المغفلين .

والكلمة الان للعمال ، والحرفيين ، والفلاحين ، والكادحين ، في الحـزب الاشتراكي الديموقراطي، الذين يلمسون كما يبدو ضرورة تحقيق الجبهة الموحدة.

وان واجبهم ليدعوهم الى صيانة حزبهم ووضع حد للمساومات السياسية بشأن الاقتراح الشيوعي والى الزام حزبهم بالاتجاه نحو التحقيق السريع لجبهـة الكادحين الموحدة ضد التكتل البورجوازي الراسمالي .

«رابوتنيتشيسكي فيستنيك» (الجريدة العمالية)
العدد ٧٣ في ٣٠ آب (اغسطس) عام ١٩٢٣

---

(١) وعندما يصيح باسترخوت بمرارة في صحيفة «ابوخا» الصادرة في ٢٩ آب ـ اغسطس ـ ردا على مقالاتنا حول الجبهة الموحدة قائلا : «فلتكـن المسألة اكثر وضوحا» ، فان قادة الحـزب الاشتراكي الديموقراطي يطرحون بالذات بتصرفهم هذا على العمال والحرفيين والفلاحين ، وعلى الاغلبية الكادحة في هذا الحرب السؤال الكبير التالي : ليس مهما مع من ستسير الحكومة (مع الاشتراكيين الديموقراطيين) ام مع الليبراليين الوطنيين) بل المهم هو الطريق الذي سيسير عليه حزبهم الخاص ـ طريق المساومات وراء الكواليس مع الحكومـة وممثلي التحالـف البورجوازي ـ الراسمالي ، للحصول على المناصب الوزارية والنيابية ، ام طريق انشاء جبهة العمل الموحدة بواسطةبحث هذه المسالة بصراحة واخلاص، والقبول المبدئي باقتراح الشيوعيين، وبواسطة مفاوضات جدية عملية بين ممثلي الحزبين الاشتراكي الديموقراطي والشيوعي ، من اجل صياغة برنامج ملموس مفصل ضروري لنضالهما المشترك دفاعا عن جماهير الشغيلة .

جبهتهم

يحاول زعماء الحزب الاشتراكي الديموقراطي ، وهم يعانون من شعـور غامض بالنفور والخوف من النضال المستقل للجماهير الكادحة ، الاستعاضة عن ضرورة جبهة العمل الموحدة ، بجبهة ما وسيطة بين الرجعية من اليمين المتمثلة بالليبراليين القوميين ، والرجعية من اليسار التي تتمثل بالشيوعيين حسب زعمهم !

وقد حددت صحيفة «نارود» (الشعب) في التاسع والعشرين من آب (اغسطس) تلك الجبهة على الوجه التالي :

«اننا لن نكون حلفاء للرجعية لا من اليمين ولا من اليسار . ونحن لا ننشد السعادة لبلادنا في هذه اللحظة في هجوم ما ، سواء كان للراسمال ضد العمل او للعمل ضد راس المال ... انما على العكس ، نحن ننشد اليوم اتفاقا ينفع الطرفين بين العمل وراس المال ، من شأنه ان يسمح لنا بالخروج من اعصار الحرب الاهلية ، ويتيح الامكانية لازدهار القوى المنتجة للامة عن طريق العمل المطمئن . وبذلك ستخلق ثروات اجتماعية جديدة وسيرتفع الرخاء العام مما سيهيىء للاشتراكية تربة خصبة . واننا لعلى استعداد للتعاون في هذه الجبهة مع كل الاتجاهات الديموقراطية المعتدلة ، التي لا تهدم ولو باسم الاوهام السامية ، بل تبني ولو بخطوات واهنة» .

وندع نحن جانبا هذا التخبط المطبق ـ ولن ننعته باكثر من ذلك ـ للموقف المذكور ، من الناحية النظرية ، ومدى سخفه من وجهة نظر الوقائع التاريخية .

فان الاهم من ذلك بكثير في هذه الحالة هو ان زعماء الحزب الاشتراكي الذين يدعون انهم ممثلو طبقة مستغلة مضطهدة في مجتمع اليوم ، يناهضون الجبهة الموحدة للجماهير الكادحة للدفاع عن مصالحها وحقوقها الحيوية المباشرة ، لمجرد ضمان التحالف مع الائتلاف الديموقراطي ـ هذا التكتل السياسي الجديد للبورجوازية الراسمالية في بلادنا .

اما الجبهة الموحدة مع المائتي الف عامل ، ومع الفلاحين وبقية الكادحين السائرين تحت لواء الحزب الشيوعي ، فليست ممكنة ـ لان هؤلاء يمثلون

الرجعية «من اليسار»)، لكنها ممكنة بالطبع مع الراسماليين والصيارفة والمضاربين، ومغتصبي حقوق وحريات الشعب الكادح ومع مضطهدي الشعب وجلاديه من «الائتلاف الديموقراطي» .

ان التحالف مع الحزب الاكبر للاغلبية الكادحة في البلاد ، ليس ممكنا ولا ضروريا ، ولكنه ممكن وضروري مع حزب الاغلبية الراسمالية ، للخروج ، كما تقول صحيفة (نارود) «من اعصار الحرب الاهلية ، ولخلق ثروات اجتماعية جديدة وزيادة الرخاء العام ، وتهيئة التربة الخصبة للاشتراكية» .

ليس مع الشعب الكادح ، الذي يخلق جميع الثروات الاجتماعية والذي يمثل موضوعيا المصدر الحقيقي للاشتراكية ، بل مع الراسماليين واصحاب البنوك والمضاربين ، الذين يستحوذون بشكل او بآخر على الثروات التي يخلقها الشعب: ها هي ذي جبهتهم ، جبهة «المساومة النافعة للطرفين بين العمل وراس المال» .

ومن الطبيعي ان جبهة زعماء الحزب الاشتراكي الديموقراطي هذه ، التي يتجرأون على الايصاء بها باسم الاشتراكية ، ليست شيئا جديدا ، انها الجبهة القديمة المعروفة في بلادنا حق المعرفة بين الانتهازيين والاحزاب البورجوازية ، والتي تقوم على الدوام خلافا لمصالح وحقوق الجماهير الكادحة .

وهل من الضروري ان ننبش الماضي ، لنذكر بعام ١٩٠٨ مثلا ، عندما مهد «الاشتراكيون الواسعون» في هذه الجبهة بالذات ، طريق «الديموقراطية» اي تسلق الحزب الديموقراطي الى السلطة ، او بعام ١٩١٩ حينما تعين انقاذ الاحزاب البورجوازية المفلسة من محكمة الشعب التي كانت لها بالمرصاد بسبب جرائمها التي لا تحصى ، وبسبب كوارث الحرب التي عانتها البلاد على ايدي تلك الاحزاب ؟

اما ما تعنيه في التطبيق الجبهة المذكورة ، جبهة «التساوم» بين العمل وراس المال ، فتدل على ذلك بمزيد من البلاغة وقائع الآونة الاخيرة .

فان جبهة الزعماء الاشتراكيين الديموقراطيين تبدو على ضوء تلك الوقائع بالصورة التالية :

ـ عندما يدبر تصدير المؤن والجبنة والقشقوان والبيض والتبوغ وغيرها ، وتترك الجماهير الكادحة فريسة للجوع ، من اجل الارباح الطائلة لبضعة بنوك ولحفنة من كبار المصدرين ـ آنذاك يظل الوزراء الاشتراكيون الديموقراطيون مطمئنين في كراسيهم بمجلس الوزراء ، لمصلحة ... «زيادة الثروات الاجتماعية، واتساع الرخاء العام ، وتهيئة التربة الخصبة للاشتراكية » .

ـ وعندما يلغى يوم العمل بثماني ساعات وتداس قوانين العمل ـ فان الوزراء الاشتراكيين الديموقراطيين يلوذون بالصمت المحمود من اجل «ازدهار القوى المنتجة للاقتصاد الوطني» .

ـ وعندما تزداد الضرائب غير المباشرة ، ويثقل كاهل الجماهير الكادحة باعباء ضرائبية اخرى ـ يؤجل الوزراء الاشتراكيون الديموقراطيون برنامجهم الحزبي

بشأن الضرائب الى «وقت انسب» مخافة ان يفسخوا «المساومة» بين العمل وراس المال .

ـ وعندما يحتال على قانون ازمة السكن او يعطل كليا وتطلق ايدي كبار مالكي المساكن لاستغلال المؤجرين وارهابهم ـ فان الوزراء الديموقراطيين يعتبرون ذلك «شرا لا بد منه» من اجل الحفاظ على «المساومة النافعة» بين العمل وراس المال .

ـ وعندما تصادر اراضي فقراء الفلاحين ، ويلغى قانون ملكية المزارعين العاملين ، فان الوزراء الاشتراكيين الديموقراطيين يعترفون بحق كبار الملاكين العقاريين بحصانة ملكيتهم الفردية .

ـ عندما تجري الانتخابات ، على خلاف نظام الانتخاب النسبي ، وانما بقوة قانون الانتخابات الرجعي «دروجباشي» (١) ، فان الوزراء الاشتراكيين الديموقراطيين يعتبرون ان هذا ليس له اهمية كبيرة ، تدعو الحزب الاشتراكي الديموقراطي ، لان يتراجع عن المأثورة الكبرى «المساومة» بين العمل وراس المال.

ـ واخيرا ، عندما تقترف اعمال العنف والبطش والاغتيالات السياسية بحق الجماهير الكادحة ومناضليها ، وعندما تطلق احكام لا انسانية ، بربرية ، لا شرعية بحق العمال والفلاحين ، وبحق الشيوعيين واعضاء اتحاد الفلاحين، وعندما تمنع الاجتماعات وتصادر صحف احزاب الجماهير الكادحة ، وتشكل التنظيمات البورجوازية التآمرية المسلحة والعصابات الفاشية وغيرها ـ فان الوزراء الاشتراكيين الديموقراطيين يصادقون على ذلك ، ويعتبرونه «مبالغات شيوعية واختلاقات واكاذيب» لان «مصالح الوطن العليا» تقتضي سحق «الرجعيةاليسارية» بكل وسائل القسر والطغيان .

وفي الوقت ذاته يقترن ذلك كله ويشفع بوعود ديماغوجية صاخبة للجماهير الكادحة من جانب الحكومة وبرقعها المهلهل ـ الحزب الاشتراكي الديموقراطي .

انها والحق يقال ـ لمساومة نافعة للطرفين (اي للجماهير الكادحة كذلك) بين العمل وراس المال ، يظل فيها العسل لراس المال دائما والابر للعمل .

لكن الم تكن البلاد «تنعم» منذ ثلاثة شهور بمثل هذه «المساومة النافعة» بالذات ؟

وهل سيوجد مغفل حتى في صفوف الحزب الاشتراكي الديموقراطي يعتقد بان الاشتراكيين الديموقراطيين لو اشتركوا لا بوزير واحد بل بوزيرين او ثلاثة في مجلس وزراء الكتلة البورجوازية الراسمالية لاختلف دورهم ، طالما سيوجد الى جانبهم ثلاثة اضعاف من ممثلي راس المال وطالما ان الحكومة ستنهج لا محالة

---

(١) دروجباشي (من ادعياء الصداقة) : هكذا وصف الشعب البلغاري بعض الافراد الرجعيين في حزب اتحاد المزارعين الذين وضعوا قرارات رجعية معادية للشعب في زمن حكم حزبهم ..

سياستها الراسمالية ؟

ان الجبهة التي ينادي بها الزعماء الاشتراكيون الديموقراطيون ويوصون بها حزبهم في المستقبل ايضا ، هي في الواقع جبهتهم الحالية التي لا تعني شيئـــا سوى المساعدة والتشجيع والدعم لراس المال والرجعية ، وسوى خيانة شنعـاء لمصالح الجماهير الكادحة وللاشتراكية بالذات .

«رابوتنيتشيسكي فيستنيك» (الجريدة العمالية)
عدد ٧٥ في ١ ايلول (سبتمبر) عام ١٩٢٣

ما الافضل ؟

يريد الزعماء الاشتراكيون الديموقراطيون ان يظهروا امام حزبهم وامام الجماهير الكادحة بأن مشاركتهم في حكومة الائتلاف البورجوازي، مسألة اعتيادية يمليها بعد النظر السياسي والعملي . وهم يتساءلون: أليس من الافضل للشغيلة، واكثر تجاوبا مع مصالحهم ان نصون ونعزز الموقع المحرز (يعنون اشتراكهم بوزير واحد في الحكومة) لا ان نتراجع وربما نعقد ظروف النضال ؟

وتقول اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي الديموقراطي :

«ان هذه النقطة تستحق اليوم اقصى الاهتمام من جانب الجماهير العاملة وقادتها . اذ يتوقف على ايضاحها الصحيح ثبات قدرة الشعب السياسية والاقتصادية في سعيه نحو الحرية والرخاء» .

من المعلوم ان التفسير الصحيح لهذه النقطة يعني في نظر الزعماء الاشتراكيين الديموقراطيين ان يواصل حزبهم مشاركته في الحكومة البورجوازية الائتلافية ، حتى مع المجازفة بافشال جبهة العمل الموحدة ، شريطة ان يترك الليبراليون القوميون الحكومة .

ولندع جانبا مسألة ان اشتراك الاحزاب العمالية في الحكم تحت قيادة البورجوازية ، ليست قطعا مسألة بعد نظر سياسي او عملي ، بل هي بالعكس احدى القضايا الاساسية والمصيرية للصراع الطبقي ولحركة التحرر البروليتارية التي حلت منذ امد بعيد وبشكل سلبي من جانب النظرية الماركسية ، كما القت عليها ضوءا كافيا تجربة الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية ذاتها .

ولنفترض للحظة ان الامر حقا يتعلق في هذه الحالة ببعد النظر وبما هو خير للجماهير الكادحة في اللحظة الراهنة .

فاننا على استعداد لنعترف فورا ان اشتراك الحزب الاشتراكي الديموقراطي في الحكومة الراهنة يضمن منافع معينة لهذا الحزب ، ولزعمائه ولشطر من مثقفيه ولبعض الشخصيات والكتل . واكثر من ذلك ، فان بوسع وزير السكك والبريد الاشتراكي الديمقراطي ان يؤدي العديد من الخدمات لعمال وموظفي السكك والبريد المقربين له ولحزبه فيما يتعلق بوضعهم المسلكي ، وبوسعه كذلك الحصول على بعض المكاسب الطفيفة للعمل عموما من شأنها ان تلعب في نظر

الائتلاف البورجوازي الحاكم دور «مانعة الصواعق» لتذود عنه ضربات الاستياء الشعبي ، او لتكون له ستارا امام الجماهير الشعبية لاخفاء سياسة الاستغلال والنهب الراسمالية والديكتاتورية البورجوازية .

غير ان الامر كما يبدو واضحا لا يتعلق هنا بمثل هذه المنافع . فهي قد تهم كثيرا ، «باستوخوف» واشياعه الذين يبحثون في هذا المضمار بالذات عن مغانم نشاطهم السياسي ، لكنها ليست لها بالنسبة للجماهير الكادحة وحتى لاولئك المنتمين منهم الى صفوف الحزب الاشتراكي الديموقراطي قيمة اكبر من قيمة الطوابع المزورة مثلا .

ان الامر يتعلق في هذه الحال بالمنافع الفعلية في مجال «توطيد قدرة الشعب السياسية والاقتصادية في سعيه نحو الحرية والرخاء» ، كما عبَّرت اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي الديموقراطي .

اجل ، هنا بالذات تطرح الاسئلة الاستيضاحية المسبقة التالية : من ذا الذي لا يعلم بان الحزب الاشتراكي الديموقراطي ، قد التزم بالاشتراك في الحكومة القائمة ليس قطعا لكونه يمثل قوة سياسية كبيرة من حيث تعداده او نفوذه وسط الجماهير ، وعنده قادة من المثقفين ، بل فقط لان من الضروري للبورجوازية ان تخفي منذ التاسع من حزيران حتى الان ، الطابع الحقيقي لحكومتها الانقلابية ، وان تضلل الناس بصدد جوهر سياستها الراسمالية ، وتتفادى تراص صفوف الجماهير الشعبية (بكل قواها المنظمة) وان تبعثرها وتستنزف طاقاتها بصورة اكبر ، لتستطيع ربطها بسهولة الى عجلة سياستها الاستغلالية والتعسفية ؟

افلا يرى العمال والفلاحون والحرفيون والمثقفون الشرفاء في الحزب الاشتراكي الديموقراطي ، ان البورجوازية تنيط باشتراك الحزب الاشتراكي الديموقراطي ، في الوزارة الائتلافية الراهنة مثل هذه المهمة بالذات ؟

الا يقرأ هؤلاء كل يوم في الصحف البورجوازية الواسعة الاطلاع «سلوفو» (الكلمة) و«مير» (السلم) و«براموريتس» (العلم) مباشرة وفيما بين السطور ؟

أولا يتساءلون : لماذا تؤجل الحكومة منذ ثلاثة شهور اجراء الانتخابات التشريعية ، ولم تحجم عن تحديد موعدها ما لم تضمن كليا التأييد اللاشرطي من جانب الاشتراكيين الديموقراطيين والراديكاليين في الحملة الانتخابية ضد الجماهير الكادحة ؟

ومن الجهة الاخرى ، فان المسائل التي تمس بشكل حيوي للغاية وجود ومستقبل الجماهير الكادحة ـ مسائل الرزق والفلاء والمضاربات وازمة السكن والاعباء الضرائبية ، والحقوق والحريات السياسية والسلم والعلاقات مع شعوب البلدان الاخرى ـ لم تحل ابدا ولا يمكن ان تحل لمصلحة هذه الجماهير عن طريق المساومات في الدوائر الوزارية او في اروقة البرلمان .

افلا يعرف قادة الحزب الاشتراكي الديموقراطي الحقيقة السياسية والتاريخية القديمة ، القائلة بأن حل هذه القضايا الكبيرة كان على الدوام ولا يزال نتيجة للتناسب الفعلي للقوى الاجتماعية الرئيسية المتصارعة ـ قوى البروليتاريا

وسائر الجماهير الكادحة من جانب ، والبورجوازية من الجانب الاخر ، وان مقدار التنازلات التي تضطر البورجوازية الى القيام بها في هذا الشأن يتوقف على درجة الضغط الذي تستطيع ان تمارسه الجماهير ؟

غير ان مشاركة الحزب الاشتراكي الديموقراطي في حكومة الائتلاف البورجوازي ، وقبول المسؤولية التضامنية عن سياستها المعادية للشعب واخفاء جوهرها عن الجماهير الشعبية يمثل عقبة كأداء في طريق وحدة سائر الكادحين وفي طريق التعبير السياسي عن قواهم المشتركة ويؤدي الى بعثرة هذه القوى وشل نضالها ، والى اضعاف ضغطها على الراسماليين واصحاب البنوك والتجار والمضاربين ـ وبذلك تتعزز ، بصورة مباشرة او غير مباشرة ، قوى الاقلية الراسمالية ، ويتوطد موقفها وتستمر سيطرتها على البلاد .

وعلى هذا المنوال يجري بمساعدة الحزب الاشتراكي الديموقراطي توطيد البورجوازية اقتصاديا وسياسيا لغرض المزيد من الاستغلال والطغيان على الشعب الشغيل ، بدل «دعم الشعب الشغيل اقتصاديا وسياسيا في سعيه نحو الحرية والرخاء » .

وثمة شيء اخر يطرح بشكل حاد السؤال التالي :

لمن ينبغي ان تعود السلطة ـ اللاقلية الراسمالية التي تستأثر لنفسها بالثروات الاجتماعية ، ام للاغلبية الشعبية الكادحة التي تخلق هذه الثروات الاجتماعية ؟

وهكذا ، فعندما يتعين حل هذه المسألة البالغة الخطورة بالنسبة للشعب وللبلاد ، نجد ان اشتراك الحزب الاشتراكي الديموقراطي في حكومة الائتلاف البورجوازي ، وارتباطه بالبورجوازية وسياستها ونظامها ، يسد طريق الجماهير الكادحة نحو اقامة سلطتها الخاصة ، بوصفها الاغلبية الشعبية ، ونحو احراز اكبر واقوى مواقعها ـ الحكومة العمالية الفلاحية ، ويساعد على ترسيخ سلطة الاقلية الراسمالية المغتصبة وتكوينها البرلمان عن طريق اعداد انتخابات تشريعية قسرية ومزيفة .

أوليس من الواضح كليا بالنسبة لكل عامل وحرفي ومزارع غير متحيز ولكل اشتراكي مخلص ، ان هنالك طريقين يمكن سلوكهما في هذه الحالة ـ فاما مع الاغلبية الشعبية الكادحة وبالتالي مع جبهة العمل الموحدة التي يقترحها الحزب الشيوعي، او مع الاقلية الراسمالية، وبالتالي استمرار اشتراك الحزب الاشتراكي الديموقراطي في الائتلاف البورجوازي وحكومته ؟

ان الحزب الاشتراكي الديموقراطي سيؤدي في الحالة الاولى واجبه كمنظمة سياسية لشطرين من الكادحين ، اما في الحالة الثانية ، فانه سيضطلع بالدور المزري للحيوان «الحكيم» الذي دعي الى عرس البورجوازية لينقل الحطب والماء ، وبذلك لا يخون الشعب الكادح وحسب ، وانما يخون جمهوره الخاص ، وكذلك الاشتراكية التي باسمها يدعي بوجوده كحزب سياسي مستقل .

فما هو الاجدى والافضل بالنسبة للجماهير الكادحة . هذا هو في الواقع

السؤال المباشر الملموس الذي يطرحه الزعماء الاشتراكيون الديموقراطيون كمحور للمناقشات حول الجبهة الموحدة ؟

لكن هل ثمة جواب صائب اخر على هذا السؤال عدا الانفصال عن الائتلاف البورجوازي ، وعن خدمة البورجوازية والتوجه عن طريق جبهة العمل الموحدة ، نحو حكومة العمال والفلاحين لتقدم «الدعم الاقتصادي والسياسي للشعب الكادح في سعيه نحو الحرية والرخاء» ؟.

والامر هكذا لانه لا يتعلق بالمنافع الشخصية والرصيد السياسي للزعماء الاشتراكيين الديموقراطيين ، بل بمصالح وحقوق ومستقبل ثلاثة ارباع الشعب البلغاري كله .

«رابوتنيتشيسكي فيستنيك» (الجريدة العمالية)
العدد ٧٨ في ٥ ايلول (سبتمبر) عام ١٩٢٣

«الرجعية الحمراء»

ان الزعماء الاشتراكيين الديموقراطيين الموضوعين في موقف المتهمين يختلقون لتبرير موقفهم السلبي من جبهة العمل الموحدة امام قاعدتهم الحزبية ، حججا الواحدة اوهى من الاخرى . فقد كتبت صحيفة «نارود» (الشعب) في عددها (١٩٣) تقول :

«ان النضال في سبيل اشتراكية ديموقراطية معتدلة يشن اليوم على جبهتين ، ضد الرجعية السوداء والرجعية الحمراء على السواء . واننا لن نكون حلفاء للرجعية لا من اليمين ولا من اليسار» .

وجاء في مكان اخر من المقال المذكور :

«ان اولئك الاشرار (اي الشيوعيين) لم يعاقبوا بما فيه الكفاية ليرعووا بما فيه الكفاية ، وليس ثمة حيالهم سوى سياسة واحدة سديدة ، وهي استئصال شرهم » .

«لا مع الرجعية السوداء ولا مع الرجعية الحمراء ، لا مع الرجعية من اليمين ولا من اليسار ! » . هذه هي الحكمة البليغة «للاشتراكية الديموقراطية المعتدلة» ، التي يحاول القادة الاشتراكيون الديموقراطيون ان يحافظوا تحت ستارها على تحالفهم الوزاري مع حفنة من المجرمين ومغتصبي السلطة وجلادي الشعب في بليفن وترنوفو وبيركوفيتسا وغيرها ، مع الائتلاف البورجوازي الحاكم ، وان يحبطوا تحقيق جبهة العمل الموحدة .

ولكن لنر ماذا تعني في الجوهر حكاية «الرجعية الحمراء» و«الرجعية من اليسار» اللتين يريد بهما رسل «الاشتراكية الديموقراطية المعتدلة» اخافة الجماهير الكادحة في حزبهم كما تخيف العجائز الاطفال الصغار بالسعالي والفيلان الموهومة .

فأين هي حقا تلك «الرجعية الحمراء» التي يزعمون انها متمثلة بالحزب الشيوعي ؟

من المعروف ان الشيوعيين يناضلون من اجل ضمان رزق الجماهير الكادحة ورخص المعيشة ، وذلك بلجم راس المال المضارب . وهم يناضلون ضد الرسوم غير المباشرة ولنقل اعباء الضرائب الى كاهل البنوك والشركات المساهمة ، ورؤوس

الاموال الكبيرة ومداخيلها ، والى كاهل كبار ملاكي الارض وبيوت السكن ، ولالغاء الفروض الضرائبية عن اجور العمال والموظفين وعن المداخيل الصغيرة والفلاحين الكادحين والحرفيين ، تلك المداخيل التي يعيلون بها انفسهم وأسرهم . ويناضل الشيوعيون من اجل ان تعود الارض لمن يفلحونها فقط ، وأن يثبت قانون ملكية الارض ويوسع ويحسن في هذا الاتجاه بالذات عوضا عن الغائه . وان الشيوعيين ليطمحون الى تخفيف ازمة السكن ومصادرة المساكن الزائدة من كبار الملاكين وبناء بيوت سكنية اجتماعية بأموال الدولة والبلديات ، تكون اجاراتها في مقدور المستأجرين الكادحين ، ويطمحون الى المساعدة على بناء المساكن التعاونية في اراضي الدولة وبقروض من البلديات لايواء الناس المعدمين. كما ينادي الشيوعيون بالحفاظ على يوم العمل بثماني ساعات ، وبتطبيق قوانين العمل وتوسيعها وتقليص البطالة واعانة العاطلين ، وتشكيل رقابة عمالية ، مع كبح الاستغلال المسعور الذي يتعرض له جهد العمال ، وقطع الطريق على المسخ الجسماني والروحي للبروليتاريا وأجيالها الفتية .

أبهذا يرى الزعماء الاشتراكيون الديموقراطيون «الرجعية الحمراء» للحزب الشيوعي ؟

ويناضل الشيوعيون بعد ذلك من اجل حقوق وحريات الكادحين المطموسة، ومن اجل حرية التنظيم والاجتماعات والصحافة والاستقلال الاداري في البلديات واجراء انتخابات تشريعية حرة على اوسع نطاق تمثيلي . ويقاوم الشيوعيون بحزم اعمال البطش الوحشية ضد الفلاحين والعمال المعتقلين بصدد انقلاب التاسع من حزيران (يونيو) ، والاحكام البربرية اللاقانونية ، ونظام الاغتيالات السياسية، ويطالبون بالافراج عن المعتقلين وبالعفو عن المحكومين لانه اذا كانت هنالك جريمة اقترفت في التاسع من حزيران فهي – حتى من وجهة نظر الدستور والقوانين – جريمة المتآمرين والانقلابيين ومغتصبي السلطة وحدهم .

فهل بذلك تتلخص «الرجعية الحمراء» التي يناهضها الزعماء الاشتراكيون الديموقراطيون بكل هذا الحزم ؟

ان الشيوعيين يناضلون كذلك ضد سياسة البورجوازية البلغارية القومية المغامرة التي كلفت الشعب اكثر من ٢٠٠ الف ضحية ، وجرّت على البلاد كارثتين مريعتين والتي تؤدي اليوم الى حروب جديدة وهزات وكوارث خطرة . ويطالب الشيوعيون بمحاكمة شعبية حقا للمسؤولين عن هذه النكبات الشعبية ، ولجعل امثال هذه المصائب مستحيلة في المستقبل ، ويطمح الشيوعيون الى علاقات سلمية مع البلدان المجاورة ، والى الحرية والحكم الذاتي لمقدونيا وتراقيا ودوبروجا ، والى توحيد جميع الدول والمناطق البلقانية ، واقامة اتحاد بلقاني ، والى السلم والتحالف مع روسيا السوفييتية – الدولة الجبارة التي هي وحدها الدولة الشعبية حقا في الوقت الراهن .

فهل هذه هي «الرجعية اليسارية» في بلادنا ؟

ام لعل الرجعية الحمراء تتلخص في طموح الجماهير الكادحة ، بوصفها اغلبية الشعب الساحقة ، لاقامة سلطتها الخاصة وحكومتها العمالية الفلاحية ، او انها تتلخص في النضال من اجل تحرير العمل من رقبة الراسمالية ، وتنظيم الحياة الاقتصادية على اساس اشتراكي ، وفقا لمشيئة الاغلبية الشعبية الساحقة ولمصلحتها ؟

او لعل «الرجعية الحمراء» ، «الرجعية اليسارية» تتلخص اخيرا في عزم الحزب الشيوعي الراسخ على صد كل الهجمات الفاشية على اجتماعاته ومنظماته ومناضليه وبيوته ، وعلى ان يستخدم وهو في حالة الدفاع المشروع عن النفس، نفس الوسائل التي هوجم بها ؟

فأنبئونا ايها السادة ، يا دعاة «الاشتراكية الديموقراطية المعتدلة» اين وفي اي شيء اخر تتجلى «الرجعية الحمراء» للحزب الشيوعي ، وللمائتي الف عامل وفلاح وحرفي وغيرهم من الكادحين المنضوين تحت لوائه ؟

كلا ، ان الحكاية التي لفقتموها عن الرجعية الحمراء الموهومة، لحكاية مفرطة بالضحالة والسخف .

فثمة رجعية واحدة لا غير في بلغاريا ـ انها رجعية راس المال والاقلية الراسمالية .

بيد انكم لا تكتفون بعدم النضال ضد هذه الرجعية، وانما تساعدونها بقصارى جهدكم وسوية مع قوى التخلف والظلام ضد الشيوعيين «الاشرار» ، «الذين لا تصح حيالهم سوى سياسة صائبة واحدة، وهي استئصالهم» كما اعلنت صحيفتكم « نارود » .

وانكم لتتحملون في جرائم هذه الرجعية وأعمالها البربرية مسؤولية تضامنية مع المتآمرين والانقلابيين وملهميهم من اصحاب البنوك والشركات المساهمة والمصدرين والمضاربين .

ان حكاية «الرجعية الحمراء» و«الرجعية اليسارية» تلزمكم للامساك بعنان الحزب الاشتراكي الديموقراطي كله وربطه في عجلة الرجعية البورجوازية ومغتصبي السلطة الحاليين ، لقاء «حفنة عدس» و«أكوام من العار والشنار» .

«رابوتنيتشيسكي فيستنيك» (الجريدة العمالية)
العدد ٨٠ في ٧ ايلول (سبتمبر) عام ١٩٢٢

رسالة مفتوحة الى العمال والفلاحين في بلغاريا

ايها الرفاق الاعزاء .

بعد النضالات الثورية الكبيرة ، التي عادت على الجماهير الشعبية بالفشل في الوقت الراهن ، اضطررنا مع الكثير من المناضلين الاخرين الى ترك اوساطكم لنواصل خدمة قضية الشعب العظمى . وعلى الرغم من بعدنا عنكم مؤقتا ، فان الدور الذي تعين علينا ان نلعبه في هذا النضال يلزمنا بالتوجه اليكم بهذه الرسالة المفتوحة .

وان اول كلمة نوجهها اليكم هي :

«ارفعوا رؤوسكم ! فان الانتقام الدامي لأوباش الحرس الابيض الخائفين على سلطتهم . لن يفلح بقتل الروح الثورية لبلغاريا الكادحة ! والهزيمة ستلقننا كيف ننتصر ! وان حكومة العمال والفلاحين في بلغاريا آتية لا ريب فيها !» .

ان احزاب الراسماليين وكبار الملاكين التي تدعو من كل صوب وحدب الى «النظام والشرعية» هي بالذات التي قامت في التاسع من حزيران بانقلاب مسلح، ووضعت بذلك بداية الحرب الاهلية ، التي لم تكن ايام ايلول (سبتمبر) سوى فصل كبير منها ، والتي لا يمكن ان تنتهي الا بالانتصار التام للشعب الشغيل على مضطهديه ومستغليه وناهبيه الدمويين .

لقد كان للفلاحين الكادحين وللعمال في بلغاريا منظمتان سياسيتان كبيرتان للذود عن مصالحهم الحيوية : الاتحاد الشعبي للمزارعين البلغار ، والحزب الشيوعي البلغاري .

ولقد استخدمت حكومة الحرس الابيض انتصارها الهين نسبيا في ٩ حزيران (يونيو) لتسدد ضربة قاصمة الى الاتحاد الزراعي . فقد اعتقل جميع قادته في المدن والقرى . واغتيل عدد كبير منهم بخسة ووحشية الى جانب الالوف من العمال والفلاحين المتهمين بالعصيان . والذين تعرضوا للضرب المبرح وزج بهم في السجون وسلموا في ايدي محاكم الانتقام الطبقي . وقد حل الاتحاد الزراعي نفسه وهو اكبر حزب من حيث العدد في بلغاريا ، وتوقفت صحيفته عن الصدور، وحجزت ممتلكاته ومنع عن كل نشاط سياسي .

ثم توجهت حكومة الجنرالات ـ المصرفيين معتقدة بانتهاء خطر الاتحاد

الزراعي ، بأنظارها الى المنظمة الجماهيرية الاخرى للشعب الكادح ، الى الحزب الشيوعي البلغاري . فبعد التاسع من حزيران مباشرة ، اعتقلت عددا كبيرا من الشيوعيين بسبب نضالهم ضد الانقلاب ، وعاملتهم بأسوأ مما عاملت به حتى اعضاء الاتحاد الزراعي . وواصلت هجماتها بلا انقطاع على الشيوعيين مستخدمة كتائب الضباط ، والعصابات الرجعيه . والكل يعلم كيف اختطف جميع شيوعيي ترنوفو ذات مساء ، واقتيدوا الى الثكنات وانهال عليهم الضباط المتنكرون بالضرب والتنكيل . ومعروف كذلك هجوم العصابة الفاشية في بانكوفتسا ، التي سلطت الارهاب على المواطنين الشيوعيين في هذه المدينة وضواحيها طوال اسبوع بأكمله وبايعاز من السلطة . والكل يعلم الهجمات المماثلة التي لا يحصى لها عدد على مدن وقرى اخرى . ولقد عاش كل السكان الكادحين الذين لم يريدوا مهادنة الحكم المتسلط الجديد تحت طائلة اعمال التنكيل والتهديد والبطش المستمرة . ولم تأمن اية قرية على طمأنينتها ، ولم يكن هنالك عامل او فلاح واثقا من سلامته .

وفي ذلك الوقت ارتفعت رؤوس وكلاء البورجوازية الوحشية الجشعة التي استغلت السلطة لمآربها اللصوصية . وارتفعت رؤوس الاقطاعيين لاسترجاع الارض المنزوعة منهم ، وارتفع صراخ كبار ملاكي المساكن لاستعادة حريتهم في سلخ جلود المستأجرين الفقراء ، كما سيطر كبار المضاربين والمصدرين على الاموال المصرفية ، لنهب العامل والفلاح المعدم ، وازداد استغلال جهد العمال وحشية . وباختصار ، فان راسماليي المدن وأعيان الريف صاروا السادة المطلقين على الشعب والبلاد . وقد حدا هذا كله بالشعب الكادح الى الاستياء من السلطة بمزيد من الشدة . وقد امتعضت الجماهير الشعبية امتعاضا شديدا جدا من السياسة الخارجية للحكومة المؤلفة من الاحزاب والعناصر القومية القديمة الداعية الى الحرب ، والتي دفعت بالشعب الى كارثتين حربيتين . كما ان النزاعات المستمرة مع روسيا السوفييتية وبقية البلدان المجاورة جعلت الجماهير تخشى من انجرار بلغاريا في كل لحظة الى حرب جديدة أشد هولا .

وفي هذه الظروف تعين على البورجوازية الملتفة حول السلطة ان تجري الانتخابات لاضفاء «الشرعية» على نظامها . لكنها لم يخامرها اي امل في كسب ثقة اغلبية الشعب . ما دام الحزب الشيوعي على اهبة الاستعداد ، للدفاع ببسالة عن مصالح وحقوق بلغاريا الكادحة بأسرها . ولقد بات خطر الحزب الشيوعي كبيرا الى حد انه مد يد الاخوة مناديا بالجبهة الموحدة بين كادحي المدن والقرى ، الى الفلاحين الاتحاديين ، وساعدهم على لم شعث منظماتهم المحطمة ، وبذلك اعلن التحالف بين عمال المدن وكادحي الريف بصورة عملية . والواقع ان المصالح المتطابقة والحرمان المشترك للشعب الكادح في المدن والقرى هي التي اقامت التحالف الفعلي بين الاتحاد الزراعي والحزب الشيوعي في سائر ارجاء البلاد . آنذاك قررت حكومة الجنرالات واصحاب البنوك استفزاز الحزب الشيوعي ، واقتصت منه كما اقتصت من الاتحاد الزراعي . وقد لفقت الحكومة لهذا الفرض

الاتهام الباطل الزاعم بان الحزب الشيوعي اراد ان يقوم بانقلاب في ١٦ ايلول (سبتمبر) ، ولذا فانها قامت في ١٢ من ايلول بالاعتقالات الجماهيرية للشيوعيين في طول البلاد وعرضها بغية احباط الانقلاب المزعوم .

اننا نحن الذين نحتل احد المراكز القيادية في الحزب الشيوعي البلغاري ، لنعلن في هذه اللحظة التأريخية ، ان الحزب الشيوعي البلغاري لم يحدد موعدا لاية عملية مسلحة كلية كانت او جزئية ضد الحكومة في السادس عشر او في السابع عشر من ايلول او في موعد ابعد. وبالعكس ، فقد كان الحزب الشيوعي يستعد حثيثا للنضال الانتخابي ، لانه من المعلوم للجميع ان الاغلبية الكادحة في بلادنا وعلى راسها الاتحاد الزراعي والحزب الشيوعي ، كانت ستهزم الحكومة الانقلابية في انتخابات حرة وتقيم سلطتها العمالية الفلاحية. ولم تستطع الحكومة التي وضعت يدها على جميع الوثائق الحزبية ان تعثر على اثبات لقرار مماثل ، ولن تعثر على مثل هذا الاثبات قطعا ، الا اذا لفقته تلفيقا ، لانه لا وجود له . لكن من كان بحاجة الى ذريعة لتصفية الحساب مع الحزب الشيوعي فانها تجدها في مثل هذا الاتهام الباطل، دون ان تلقي بالا للعواقب الوخيمة التي يمكن ان تحل بالشعب كله من جراء استفزازاتها .

ان الاعتداء على الحزب الشيوعي ، واعتقال الالوف من مناضليه في المدن والقرى وغلق النوادي العمالية والنقابات والتعاونيات ، ومصادرة ملفاتها ووثائقها، وتعطيل الصحافة الشيوعية والعمالية بأسرها وتحريم كل نشاط شيوعي وكل حركة للشيوعيين والعمال في القرى ، أترع كأس الصبر . وقد بات واضحا للجميع ان الحكومة لن تسمح بأي نضال علني . ولم يستشعر الشيوعيون وحدهم الاجحاف والخطر ، بل والجماهير الشعبية الواسعة ايضا . ولجأ الكثيرون من الشيوعيين الصادرة بحقهم اوامر الاعتقال في الارياف الى الغابات يتبعهم جمهور من المؤيدين . وقد اعتبرتهم حكومة الحرس الابيض بصفاقة ، من العصاة وارسلت الجيش لملاحقتهم وابادتهم .

ولقد قرر الحزب الشيوعي ان يرد على هذه الضربة باضراب احتجاجي جماهيري لمدة ٢٤ ساعة في المدن وباجتماعات احتجاجية جماهيرية في سائر انحاء البلاد . غير ان الحكومة استنفرت كل قواتها لخنق هذا الاحتجاج . فوقعت اصطدامات دامية في صوفيا وفي اماكن اخرى سببتها فظاظة السلطة . وقد فاقم الارهاب المسلط على بلغاريا الاستياء الشامل باستمرار ، فازدادت الاصطدامات الدموية حتى اتخذت طابع الانتفاضة الشعبية ضد السلطة المستشرية التي شنت حربا على الشعب الكادح كله .

وفي تلك اللحظات الحرجة ، وبينما خنقت الحكومة كل امكانية للنضال العلني ، وهبّت الجماهير الشعبية تلقائيا في العديد من الاماكن ، وجد الحزب الشيوعي نفسه امام امتحان : فهل يترك الجماهير لتنتفض وحدها فتسحق جزءا جزءا ام يقف الى جانبها ويحاول تعميم الحركة ، وتوحيدها واعطاءها توجيها

سياسيا وتنظيميا ؟ ولم يكن بوسع الحزب الشيوعي ، وهو حزب الشعب الكادح الا ان يتبنى قضية الشعب وان يعطي الاشارة للعمل الشامل في سائر انحاء البلاد يوم الثالث والعشرين من ايلول (سبتمبر) بالاشتراك مع الاتحاد الشعبي للمزارعين البلغار ، على الرغم من انه كان يدرك كل صعوبات النضال ونواقص التنظيم .

ماذا كانت تلك الاشارة ؟ ان الشعب كله يعلم انها كانت الاطاحة بالحكومة الانقلابية الجائرة واستبدالها بحكومة عمالية ـ فلاحية .

ان النضال لم يستهدف الدكتاتورية واعلان السلطة السوفييتية في بلغاريا ـ كما تفتري الحكومة الحالية عن قصد ، بل كان ضد الدكتاتورية العسكرية المستشرية ومن اجل حكومة ديموقراطية تخرج كليا من اوساط الاغلبية العظمى للشعب البلغاري ـ اي من اوساط الكادحين . وفي مجرى النضال ، وحيثما اخذ الشعب الثائر السلطة بيديه ، لم تعلن السلطة السوفييتية كما تزعم الحكومة ، بل نظمت لجان ثورية عامة للسلطة العمالية الفلاحية .

واذا كان الحزب الشيوعي قد اعطى اشارة البدء ، فقد تسلمتها الجماهير السائرة معه ، وكذلك الفلاحون السائرون مع الاتحاد الزراعي ، وسائر الفئات الكادحة . وقد هب الشعب الكادح هبة رجل واحد وبحماس منقطع النظير لانتزاع حرياته وللدفاع عن مصالحه الحيوية واقامة سلطته الخاصة .

لقد كانت نضالات ايلول الثورية حركة شعبية عامة بكل معنى الكلمة ، وكانت تحمل السمات المميزة لهذه الحركة بالذات . فان الشعب الطامح الى تحقيق مثله الاعلى لم يستسلم في اي مكان الى الجرائم واعمال النهب والانتقام الشخصي . وقد اقيمت حراسة مشددة على البنوك ، وحوفظ على ممتلكات الجميع ، واستئصلت شأفة اعداء الثورة القليلين في بعض الاماكن عن طريق اعتقالهم ، لكنهم لم يتلقوا الاهانات والتعذيب في اي مكان ولم يمسهم احد بأي اذى . اما ما قيل عن تنظيم «المحاكمة الاستثنائية» واستصدار احكام الاعدام ، فهو افتراء . ولقد حوفظ على سلامة الاسرى ، وبذلت لجرحى الطرفين اقصى العناية ، حتى لقد حوفظ على حياة الاسرى من عصابات «فرانغل» التي جردتها الحكومة ضد الشعب .

وبعد نضالات ملحمية استغرقت ما يقارب الشهرين ، سحقت الانتفاضة الشعبية على يد الحكومة التي كانت تتوفر لديها المدافع والرشاشات بكثرة، والتي افلحت بتعبئة الكثير من العصابات من الضباط ونواب الضباط الاحتياط ومن الالوف من اتباع «فرانغل» المعادين للثورة ، بينما كان الشعب المنتفض يعاني من نقص فادح بالسلاح .

وما ان صارت البورجوازية الخائفة حتى الموت ، سيدة الموقف ، حتى اماطت اللثام عن حقدها الرهيب ضد الشعب الكادح الذي تجرأ على زعزعة اسس سيادتها .

لقد شرعت عصاباتها المتوحشة بتقتيل الشعب الثائر امام اعيننا . ولم ترحم

حتى الجرحى والسكان الآمنين والنساء والاطفال . وداهمت القرى واعتدت على ممتلكات الكادحين في المناطق الثائرة .

لكننا لا نريد هنا ان نتحدث عن الانتقام الدامي لحكومة الحرس الابيض المنتصرة اليوم ، فانتم الذين تئنون تحت ضرباتها تعرفون ذلك خيرا منا .

ان هذا الانتقام سيكون قاسيا بربريا ووحشيا ، وانه سيتجاوز بأهواله كل اعمال القسوة الرجعية في كل البلدان .

ولكنه سيحفر لهذا السبب بالذات هوة دموية اعمق بين طبقة المضطهدين والمستغلين من جهة وبين الشعب الكادح من الجهة الاخرى .

ولن يستتب بينهما السلم ابدا !

وان اسقاط سلطة اصحاب المصارف والجنرالات الملكيين الدموية واقامة حكومة عمالية فلاحية ، هما وحدهما اللذان سيعودان بالرضى والطمأنينة على الجماهير الشعبية في بلادنا .

ايها الرفاق الاعزاء .

لقد ناضلنا كتفا لكتف من اجل قضية الشعب العظمى . ونحن اليوم مندحرون . الا ان النضال لم ينته ، وان النصر النهائي لاقرب مما يظن الاعداء . وان الشعب البلغاري الكادح لن يهادن ابدا سلطة الحرس الابيض التي تمثل اقلية ضئيلة جشعة جائرة مهما تشدقت بالعبارات الطنانة ، ومهما تباهت بالاصلاحات «الديموقراطية» ، واننا سنستمد من هزيمتنا العبر وسنكون غدا اقوى مما كنا عليه امس ، اما اعداؤنا فانهم ما برحوا يفقدون موطىء اقدامهم باستمرار .

واننا نحن ، الكادحين جميعا ، المفعمين ايمانا بقضيتنا التي هي قضية الشعب الكبرى ، سنتجرع آلام الهزيمة ومحنها ببطولة ، وسنكرس انفسنا من جديد وبمزيد من الحيوية والحماس لخدمة القضية الشعبية ولن يهدأ لنا بال حتى نحرز النصر .

واننا سنلم شعثنا من جديد ونرص صفوفنا المشتتة . وسنشرع في تضميد جراحنا بسرعة .

وبالجهود والتضحيات المشتركة سنساعد الارامل والايتام والاسر المنكوبة والرفاق المشردين في الخارج .

واننا لن نبعثر قوانا في اعمال ارهابية شتى ؛ متذكرين جيدا اننا لن ننتصر الا بالنضال المنظم للشعب الكادح وان الاطاحة بحكومة الحرس الابيض والانتصار النهائي لسلطة العمال والفلاحين سيكون اقسى انتقام من جلادي الشعب .

واننا سنصون ونوطد بوجه خاص التحالف بين جميع كادحي المدن والقرى ، ذلك التحالف الذي مهر في نضالات ايلول (سبتمبر) بدماء الآلاف من المناضلين الذين استشهدوا من اجل قضية الشعب العامة .

لا هوان ولا قنوط ولا استصغار ابدا !

ارفعوا رؤوسكم ايها المناضلون الامجاد !

لتعش حكومة العمال والفلاحين !
ليعش الكادحون في بلغاريا !

تشرين اول (اكتوبر) عام ١٩٢٣
التوقيـــع
فاسيل كولاروف وجورجي ديميتروف
«رابوتنيتشيسكي فيستنيك» (الجريدة العمالية)
العدد الاول في ٢٧ تشرين اول (اكتوبر) عام ١٩٢٣

الجبهة الموحدة

ان من اضخم مكتسبات الكادحين البلغار خلال الشهور الاخيرة ، هو بلا شك بناء الجبهة الموحدة بين بروليتاريا المدن والجماهير الفلاحية ، وعلى الاخص بين كلتا المنظمتين الجماهيرتين – الاتحاد الشعبي للفلاحين البلغار والحزب الشيوعي البلغاري .

ولقد باتت ضرورة الجبهة الموحدة الماسة واهميتها العظمى واضحة كل الوضوح ولا ريب فيها قبل انقلاب التاسع من حزيران (يونيو) وخلال انتفاضة ايلول (سبتمبر) على السواء .

وينبغي التأكيد بصراحة تامة ، ان انقلاب التاسع من حزيران (يونيو) لم يكن من الممكن القيام به وانجاحه لو لم تحبط حكومة ستانبوليسكي وقيادة الاتحاد الشعبي للفلاحين البلغار بكل ما في وسعهما ، الجبهة الموحدة بين المدينة والريف ، بين البروليتاريا في المدن والجماهير الكادحة في الارياف ، وبذلك مهدتا الطريق بنفسهما ودونما ارادة منهما ، وسهلتا مهمة زمرة الصيارفة والمضاربين الانقلابيين وعملائها العسكريين الرجعيين .

كما ينبغي التأكيد كذلك على ان احد الاسباب الاساسية لفشل انتفاضة ايلول (سبتمبر) يكمن في واقع انها اثيرت وفرضت قبل اكتمال العملية التي بدات عقب التاسع من حزيران (يونيو) لبناء الجبهة الموحدة للعمل والتحالف الاخوي بين الحزب الشيوعي والاتحاد الشعبي للمزارعين البلغار .

غير ان انتفاضة ايلول ، اضاءت بآلاف الضحايا الغالية ، وبدم الشعب المسفوك ، طريق الجبهة الموحدة بين البروليتاريا والجماهير الفلاحية ، والمسيرة المشتركة بين الحزب الشيوعي والاتحاد الزراعي في النضال ضد الرجعية البورجوازية الفاشية ومن اجل حكومة العمال والفلاحين .

اما الانتخابات التي اجريت في ١٨ تشرين ثاني (نوفمبر) ، فقد دلت بدورها وبطريقة رائعة على قوة الجبهة الموحدة للجماهير الكادحة وعلى التقدم الكبير الذي حققته في فترة قصيرة نسبيا .

وقد بات طريق الجبهة الموحدة واضح المعالم . وان بناء الجبهة الموحدة التي تشمل جميع المنظمات الاخرى للعمال والموظفين والحرفيين ، يسير سيرا حثيثا نحو

الاكتمال وهو لا محالة سيؤدي الى انتصار الشعب النهائي على الرجعية البورجوازية الفاشية المستشرية ـ الى قيام حكومة العمال والفلاحين .

ولهذا السبب بالذات انتاب اعداء الشعب والجلادين والقتلة في صفوف الائتلاف الحاكم ، ولا سيما بعد الانتخابات ، رعب قاتل من الجبهة الموحدة للجماهير الكادحة . وهم يبذلون اليوم جهود الجبابرة لتقويضها ولتمزيق صفوف العمال والفلاحين المتضامنين ولعزل الاتحاد الزراعي وتأليبه على الحزب الشيوعي ، مدركين حق الادراك ، ان من الضروري للهيمنة على الشعب ، تفريق صفوفه وضرب قواه على انفراد .

ولهذا الغرض فان الائتلاف البورجوازي ـ الاشتراكي ، والكثيرين من «الناصحين» و «منقذي» الشعب الذين سلطوا عليه ارهابا لا انسانيا وذبحوه في ايام ايلول وتشرين اول بلا رحمة ، يستخدمون اليوم على اوسع نطاق ، وسائل العنف والرجعية الظلامية جنبا لجنب مع طرق الفساد السياسي والتهويل المبتذل.

وهم يولون الان بغية تنفيذ مآربهم السوداء ، جل اهتمامهم لتسخير نفس العناصر اليمينية في الاتحاد الزراعي ، التي ساندت حتى انقلاب التاسع من حزيران (يونيو) ، سواء في الاتحاد او في الحكم ، سياسة البورجوازية الزراعية وسياسة تخريب جبهة العمل الموحدة ، تلك السياسة التي جعلت حكومة الزراعيين وقيادة اتحاد الزراعيين في نزاع مستديم مع كادحي المدن والارياف ، وبالتالي مع الحزب الشيوعي .

فهل سيوجد اليوم اي قائد فلاحي مخلص وسليم التفكير ، لا يعترف بان حكومة الزراعيين هي التي سلمت مراكز المدن بايدي الانقلابيين وذلك بتخريبها الكومونات (المجالس البلدية الشيوعية) في المدن ، وبحلها نقابة عمال النقل وعمال المناجم ، وبان ملاحقاتها ضد البروليتاريا قد عززت مواقع البورجوازية وسهلت انقلاب التاسع من حزيران وفشل انتفاضة ايلول (سبتمبر) كذلك ؟

فهل يراد لاتحاد الزراعيين ان يعود الان الى هذه السياسة الخاطئة التي كانت وبالا على الكادحين والتي دفع اقطابها الكبار رؤوسهم ثمنا لها ؟

وهل من الممكن ان تنسى بهذه السرعة دروس حزيران وايلول الدامية الباهظة الثمن ؟

أفلم يعد واضحا لكل عامل وفلاح في بلغاريا بعد كل ما جرى في البلاد خلال الستة اشهر الاخيرة انه لمن الحماقة والاجرام المفرط بحق المصالح العليا للشعب البلغاري تكرار الاخطاء الفادحة ، ومساعدة اعداء الشعب باي شكل من الاشكال ، في مسعاهم لتفتيت الجبهة الموحدة للجماهير الكادحة ، والتحالف الاخوي بين الحزب الشيوعي والزراعيين ؟

كلا ، ان الاقلية من دعاة البورجوازية الريفية والاصدقاء المستترين الممالئين للائتلاف البورجوازي ـ الاشتراكي في الاتحاد الزراعي يخدعون انفسهم اذا ما

ظنوا بانهم قادرون على ان يدفعوا الاتحاد والجماهير الفلاحية مرة اخرى الى الطرق السابقة الفاجعة الوبيلة .

فان الشعب الكادح في المدن والقرى ، وطلائعه المنضوية تحت لواء الحزب الشيوعي والاتحاد الزراعي ، سيصون جبهته الموحدة كما يصون حدقة عينه ، ومهما كان الثمن ، لانه بات يدرك بكل وضوح انه لا يستطيع بدونها ان يتحرر من ربقة النظام البربري لجلادي الشعب وقتلته ، وان يصبح سيد عمله ، وحياته ومصيره .

«رابوتنيتشيسكي فيستنيك» (الجريدة العمالية)
العدد ٧ ، ١٢ كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٢٣

هجوم الفاشية ومهام الاممية الشيوعية في النضال من اجل وحدة الطبقة العاملة ضد الفاشية [1]

١ ـ الفاشية والطبقة العاملة

ايها الرفاق !

لقد حذر المؤتمر السادس للاممية الشيوعية في حينه البروليتاريا الاممية من ان الفاشية توشك ان تشن هجومها الجديد ، ودعا الى الكفاح ضده . وقد اشار المؤتمر الى ان «ميولا فاشية وبوادر حركة فاشية بصورة مكشوفة كثيرا او قليلا توجد في كل مكان تقريبا» .

وفي ظروف الازمة الاقتصادية العميقة المتفاقمة ، والاشتداد العنيف لازمة الراسمالية العامة وشيوع الروح الثورية بين الجماهير الكادحة ، انتقلت الفاشية الى هجوم واسع . وتبحث البورجوازية المسيطرة بحثا متزايدا عن النجاة في الفاشية، لتقوم بتدابير قصوى لنهب الشغيلة ولتستعد لحرب امبريالية وحشية ، ولتهاجم الاتحاد السوفييتي وتستعبد الصين وتقتسمها ، ولتحول ، على اساس هذا كله، دون نشوب الثورة .

ان الاوساط الامبريالية تحاول القاء عبء الازمة كله على كواهل الشغيلة . ولذلك فهي بحاجة الى الفاشية .

انها تسعى الى حل مشكلة الاسواق على حساب استعباد الشعوب الضعيفة وزيادة الاضطهاد الاستعماري ، واقتسام العالم من جديد عن طريق الحرب . ولذلك فهي بحاجة الى الفاشية .

انها تسعى الى سبق تعاظم قوى الثورة عن طريق سحق حركة العمال والفلاحين الثورية وعن طريق هجوم عسكري على الاتحاد السوفييتي ـ ركيزة البروليتاريا العالمية . ولذلك فهي بحاجة الى الفاشية .

---

(١) هذا هو نص التقرير الذي القاه ديمتروف امام المؤتمر السابع للاممية الشيوعية في ٢ آب عام ١٩٣٥ .

وقد استطاعت هذه الاوساط الامبريالية في بلدان عديدة ، وبخاصة في المانيا ، ان تلحق الهزيمة بالبروليتاريا وتقيم ديكتاتورية فاشية قبل انعطاف الجماهير بصورة حاسمة نحو الثورة .

بيد ان ما يميز انتصار الفاشية هو ، على وجه التحديد ، ان هذا الانتصار يدل ، من جهة ، على ضعف البروليتاريا المتفككة التنظيم والمشلولة بسبب سياسة الاشتراكيين الديموقراطيين الانشقاقية القائمة على التعاون الطبقي مع البورجوازية، بينما يدل من جهة اخرى على ضعف البورجوازية نفسها التي تحس بالخوف حيال تحقيق وحدة نضال الطبقة العاملة ، بالخوف ازاء الثورة ، والتي لم تعد قادرة على ادامة ديكتاتوريتها على الجماهير بالاساليب القديمة للديموقراطية البورجوازية والحياة البرلمانية .

لقد قال ستالين في المؤتمر السابع عشر للحزب الشيوعي لعموم الاتحاد السوفييتي (البلاشفة) ان انتصار الفاشية في المانيا «ينبغي النظر اليه لا بوصفه مجرد دليل على ضعف الطبقة العاملة ونتيجة لخيانة الاشتراكية الديموقراطية للطبقة العاملة وتمهيدها طريق للفاشية بل ينبغي كذلك ان ينظر اليه بوصفه دليل على ضعف البرجوازية وعلى كونها لم تعد قادرة على السيطرة بالاساليب القديمة للحياة البرلمانية والديموقراطية البورجوازية ، الامر الذي اضطرها الى اللجوء الى اسلوب حكم ارهابي في السياسة الداخلية ـ وبوصفه دليلا على كونها لم تعد قادرة على ايجاد مخرج من الوضع الحالي على اساس سياسة خارجية سلمية ، الامر الذي اضطرها الى اللجوء الى سياسة الحرب» .

الطابع الطبقي للفاشية

ان الفاشية في السلطة ، ايها الرفاق ، هي ، كما شخصها الاجتماع الكامل الثالث عشر للجنة التنفيذية للاممية الشيوعية تشخيصا صائبا ، ديكتاتورية ارهابية مكشوفة تمارسها عناصر راس المال المالي الموغلة في الرجعية والشوفينية والامبريالية .

واكثر انماط الفاشية رجعية هو الفاشية الالمانية . وهي تسمي نفسها ، بصفاقة ، بالاشتراكية القومية ، رغم انها لا تربطها بالاشتراكية اية رابطة . والفاشية الالمانية ليست مجرد نزعة قومية بورجوازية ، بل هي شوفينية ضارية . انها نظام حكومي للسطو السياسي ، نظام استفزازات وتنكيل للطبقة العاملة والعناصر الثورية من الفلاحين والبورجوازية الصغيرة والمثقفين . انها بربرية ووحشية من القرون الوسطى . انها عدوان جامح على الشعوب والبلدان الاخرى .

ان الفاشية الالمانية تعمل كقبضة ضاربة للثورة المعاكسة الدولية ، ومشعل رئيسي للحرب الامبريالية ، ومحرض على الحملة الصليبية ضد الاتحاد السوفييتي ـ الوطن العظيم لشغيلة العالم اجمع .

وليست الفاشية شكلا لسلطة الدولة «يقف» فوق الطبقتين ـ البروليتاريا

والبورجوازية ، كما زعم اوتو باور مثلا . وهي ليست « بورجوازية صغيرة ثائرة استولت على ماكنة الدولة» ، كما يقول الاشتراكي الانجليزي برايل سبورت . كلا ، ليست الفاشية فوق الطبقات ولا هي سلطة البورجوازية الصغيرة او الدهماء على راس المال المالي . ان الفاشية هي سلطة راس المال المالي نفسه . انها منظمة غايتها ارهاب الطبقة العاملة والجزء الثوري من الفلاحين والمثقفين . اما في السياسة الخارجية فان الفاشية هي ابشع اشكال الشوفينية ، وهي تزرع الحقد الحيواني على الشعوب الاخرى .

ومن الضروري ان ننوه على الاخص بطابع الفاشية الحقيقية هذا ، لان قناع الديماغوجية الاجتماعية يتيح للفاشية انتجر وراءها في العديد من البلدان جماهير البورجوازية الصغيرة التي طوحت بها الازمة ، بل وحتى اقساما معينة من فئات البروليتاريا الشديدة التخلف التي ما كانت لتسير في يوم من الايام وراء الفاشية لو انها ادركت طابعها الطبقي الفعلي وطبيعتها الحقيقية .

ان تطور الفاشية والدكتاتورية الفاشية نفسها تتخذ في البلدان المختلفة اشكالا مختلفة تبعا للظروف التاريخية والاجتماعية والاقتصادية ، وتبعا للخصائص القومية والوضع الدولي للبلد المعني . ففي بعض البلدان ، وبالدرجة الاولى حيث لا تتمتع الفاشية بقاعدة جماهيرية واسعة وحيث يدور صراع قوي الى الحد الكافي بين التكتلات المختلفة في معسكر البورجوازية الفاشية نفسها ، لا تجسر الفاشية دفعة واحدة على تصفية البرلمان ، وهي تحافظ الى حد ما على شرعية الاحزاب البورجوازية الاخرى ، وكذلك على شرعية الاشتراكية الديموقراطية . وفي بلدان اخرى ، حيث تتخوف البورجوازية المسيطرة من قرب اندلاع الثورة ، تبسط الفاشية احتكارها السياسي عبر الحدود اما على الفور . او بصورة متزايدة مشددة ارهابها وتنكيلها بجميع الاحزاب والتكتلات المنافسة ، ولا يستثنى من ذلك ان تعمد الفاشية ، اذا تأزم وضعها بشكل خاص ، الى محاولة توسيع قاعدتها دون ان تغير جوهرها الطبقي ، والجمع بين الدكتاتورية الارهابية المكشوفة والتزييف الفظ للحياة البرلمانية .

ان مجيء الفاشية الى الحكم ليس تغييرا عاديا لحكومة بورجوازية باخرى ، بل هو تغيير لاحد الاشكال الرسمية لسيطرة البورجوازية الطبقية ـ الديمقراطية البورجوازية ، بشكل آخر من اشكالها ، هو الديكتاتورية الارهابية السافرة . وتجاهل هذا الفارق هو خطأ فادح من شأنه ان يعوق البروليتاريا الثورية عن تعبئة اوسع فئات الكادحين في المدينة والقرية للنضال ضد خطر استيلاء الفاشيين على السلطة ، وكذلك عن استغلال التناقضات القائمة في معسكر البورجوازية نفسها . بيد ان من الاخطاء التي لا تقل فداحة وخطرا عن ذلك ، الغض من اهمية التدابير الرجعية المتفاقمة التي تتخذها البورجوازية الان في بلدان الديموقراطية البورجوازية بالنسبة لقيام الدكتاتورية الفاشية ، هذه التدابير التي تقمع الحريات الديموقراطية للشغيلة وتزيف وتبتر حقوق البرلمان وتشدد اعمال القمع ضد الحركة الثورية .

لا يجوز ، ايها الرفاق ، ان نتصور مجيء الفاشية الى السلطة امرا بسيطا هينا ، كما لو ان لجنة ما من لجان راس المال المالي قد قررت في موعد محدد ان تقيم دكتاتورية فاشية . في الواقع ان الفاشية تأتي الى السلطة عادة في غمرة صراع متبادل وحاد احيانا مع الاحزاب البورجوازية القديمة ، او مع جزء معين منها ، صراع يدور حتى في المعسكر الفاشي نفسه ويصل احيانا الى الاشتباكات المسلحة ، كما راينا في المانيا والنمسا وبلدان اخرى . ولكن هذا كله لا يقلل من اهمية واقع مؤداه ان الحكومات البورجوازية ، قبل اقامة الدكتاتورية الفاشية ، تمر عادة بمراحل تحضيرية عديدة وتنفذ عددا من التدابير الرجعية التي تساعد بصورة مباشرة على مجيء الفاشية الى الحكم . ومن لا يكافح خلال هذه المراحل التحضيرية ضد التدابير الرجعية البورجوازية وضد الفاشية المتفاقمة ، فانه لا يستطيع ان يحول دون انتصار الفاشية ، بل على العكس من ذلك يسهل انتصارها .

لقد موّه اقطاب الاشتراكية الديموقراطية واخفوا عن الجماهير الطابع الطبقي الحقيقي للفاشية ، ولم ينادوا بالنضال ضد اشتداد التدابير الرجعية التي تتخذها البورجوازية . وهم يتحملون مسؤولية تاريخية كبيرة لان جزءا لا يستهان به من الجماهير الكادحة في المانيا وعدة بلدان فاشية اخرى لم يكن في اللحظة الحاسمة للهجوم الفاشي ، يرى في الفاشية الوحش المالي الاشد تعطشا الى الدماء والعدو الالد ، ولان هذه الجماهير لم تكن مستعدة للمقاومة .

ما هو مصدر تأثير الفاشية على الجماهير ؟ لقد نجحت الفاشية في اجتذاب الجماهير لانها تضارب مضاربة ديماغوجية بحاجاتها ومطالبها الملحة . ولا تقتصر الفاشية على اثارة النعرات ذات الجذور العميقة في الجماهير ، بل تستغل اطيب مشاعر هذه الجماهير ، تستغل شعورها بالعدل واحيانا حتى تقاليدها الثورية . لماذا يظهر الفاشيون الالمان ، صنائع البورجوازية الكبيرة لهؤلاء واعداء الاشتراكية الالداء ، امام الجماهير ، بمظهر «الاشتراكيين» ، ولماذا يصورون مجيئهم الى السلطة وكأنه «ثورة» ؟ لانهم يحاولون استغلال الايمان بالثورة والتعلق بالاشتراكية ، هذا الايمان والتعلق اللذين يعيشان في افئدة جماهير الشغيلة الواسعة في المانيا .

ان الفاشية تعمل لمصلحة غلاة الامبرياليين ، ولكنها تظهر امام الجماهير تحت قناع المدافع عن الامة المهانة ، وتخاطب الشعور القومي الجريح ، كما تفعل مثلا الفاشية الالمانية التي تجر وراءها الجماهير البورجوازية الصغيرة بشعار « ضد فرساي » .

ان الفاشية تسعى الى استثمار الجماهير بمنتهى الشراسة ، ولكنها تتسلل وسط الجماهير بديماغوجية بارعة متظاهرةبمعاداة الراسمالية مستغلة كره الشغيلة العميق للبورجوازية المتوحشة والمصارف والترستات واساطين المال ، ورافعة امام الجماهير غير الناضجة سياسيا اكثر الشعارات جاذبية في اللحظة الراهنة : في المانيا — «الخير العام قبل الخاص» ، في ايطاليا — «دولتنا ليست راسمالية بل طائفية» ، في اليابان — «من اجل يابان بلا استثمار» ، في الولايات المتحدة — «من اجل اقتسام الثروة» الخ ...

ان الفاشية تعرّض الشعب للاذى على ايدي اشد العناصر فسادا وعمالة ، ولكنها تظهر امامه بمظهر المطالب «بسلطة شريفة نزيهة» ، وهي تستغل خيبة الامل العميقة لدى الجماهير من حكومات الديموقراطية البورجوازية . فتبدي سخطها المرائي على الفساد (قضية بارمات وسيكليارك في المانيا ، مثلا ، وقضية ستافيتسكي في فرنسا وقضايا اخرى عديدة) .

ولمصلحة اوساط البورجوازية الموغلة في الرجعية تغرر الفاشية بالجماهير التي خابت آمالها وانسحبت من الاحزاب البورجوازية القديمة . بيد انها تجتذب هذه الجماهير بشدة تهجماتها على الحكومات البورجوازية وبتشددها في موقفها من احزاب البورجوازية القديمة .

ان البورجوازية التي فاقت بوقاحتها واكاذيبها جميع اشكال الرجعية البورجوازية الاخرى ، تكيف ديماغوجيتها وفق الخصائص القومية لكل بلد ، بل وحتى وفق خصائص الفئات الاجتماعية المختلفة في البلد الواحد . وتقع جماهير البورجوازية الصغيرة ، وحتى جزء من العمال الذين اصابهم القنوط بسبب الحاجة والبطالة والقلق على وجودهم ، ضحية للديماغوجية الاجتماعية والشوفينية التي تمارسها الفاشية . ان الفاشية تاتي الى السلطة باعتبارها الحزب الذي يوجه الضربة الى حركة البروليتاريا الثورية والى الجماهير الشعبية المتحفزة ، ولكنها تصور مجيئها الى السلطة وكانه حركة «ثورية» ضد البورجوازية باسم «الامة جمعاء» و «لانقاذ» الامة . (ولنتذكر «زحف» موسوليني صوب روما و «زحف» بيلسوديسكي نحو وارشو و «ثورة» هتلر القومية الاشتراكية في المانيا الخ .) .

ولكن ايا كانت الاقنعة التي تلصقها الفاشية بنفسها ، وايا كانت الاشكال التي تظهر بها . وايا كانت الطرق التي تاتي بها الى السلطة ، فان الفاشية هي اعنف هجوم يشنه راس المال على الجماهير الكادحة .

والفاشية هي شوفينية جامحة وحرب توسعية .

والفاشية هي رجعية مستكلبة وثورة معاكسة .

والفاشية هي الد اعداء الطبقة العاملة وسائر الكادحين !

ماذا تحمل الفاشية المنتصرة للجماهير ؟

لقد وعدت الفاشية العمال «بأجور عمل عادلة» ، اما في الواقع فقد جاءت بمستوى معيشة بائس اوطأ من ذي قبل ، ووعدت العاطلين بالعمل ، اما في الواقع فقد جاءت بجوع منهك اكبر من ذي قبل وبكدح عبودي قسري ، والواقع انها تحوّل العمال والعاطلين الى اناس منبوذين مجردين من سائر الحقوق في المجتمع الراسمالي ، وتقوّض اتحاداتهم المهنية ، وتجردهم من حق الاضرابات والصحافة العمالية ، وتزجهم قسرا في المنظمات الفاشية ، وتبذر صناديق ضماناتهم الاجتماعية ، اما المصانع والمعامل فتحولها الى ثكنات يسودها تعسف الراسماليين غير المحدود .

لقد وعدت الفاشية الشبيبة الكادحة بان تفسح لها طريقا رحبا نحو مستقبل وضاء . اما في الواقع فقد جاءت بالتسريحات الجماعيــة لشبيبة المؤسسات ، وبمعسكرات العمل وبالتدريب العسكري المتواصل من اجل الغزو .

ووعدت الفاشية المستخدمين وصغار الموظفين والمثقفين بان تضمن معيشتهم وتقضي على تسلط الترستات ومضاربة راس المال المصرفي . اما في الواقع فقد جاءتهم بيأس اكبر وعدم ثقة بالمستقبل ، واخضعتهم للبيروقراطية الجديدة المؤلفة من انصارها الطائعين ، وفرضت دكتاتورية الترستات التي لا تطــاق ، واشاعت الفساد والانحلال على نطاق لم يسبق له مثيل .

ووعدت الفاشية الفلاحين المعدمين بتصفية الديــون التي تثقل كواهلهم ، وبالغاء بدل الايجار ، وحتى بنزع ملكية اراضي الملاكين الكبار دون تعويض لصالح الفلاحين الفقراء والمتضررين . اما في الواقــع فانها جعلت الفلاحين الكادحين في حالة تبعية عبودية لم يسبق لها مثيل حتى الان للاحتكارات وجهاز الدولة الفاشي، واوصلت استثمار جماهير الريف الاساسية من جانب كبــار المزارعين والمصارف والمرابين الى اقصى الحدود .

لقد صرح هتلر رسميا : «ستكون المانيا بلدا ريفيا والا فلن يكون لها وجود على الاطلاق» . فما الذي ناله الفلاحون في المانيا في عهد هتلر ؟ اهو تأجيل الدفع ، الذي الغي ؟ ام قانون الميراث في الاقتصاد الريفي الذي ادى الى طرد الملايين مــن ابناء الريف وبناته من قراهم وتحويلهم الى متسولين ؟ لقد تحول الاجراء الزراعيون الى شبه اقنان مجردين حتى من حقهم البسيط في الانتقال الحر . وجرد الفلاحون الكادحون من امكانية بيع منتجات مزارعهم في السوق .

وماذا عن بولونيا ؟

لقد كتبت صحيفة «تشاس» البولونية تقول : «ان الفلاح البولوني يستخدم ادوات ووسائل لعلها لم تستخدم الا في العصور الوسطى . وهو يحتفظ بالنار في الموقد ويعيرها لجاره ، ويشطر عود الثقاب الى بضعة اجزاء ، ويستعير كسر الصابون القذرة ، ويغلي الماء في قدور السمك ليحصل على الماء المالح . وهذه ليست حكاية اسطورية ، بل وضع فعلي في القرية يستطيع كل امرىء ان يتحقق منه» .

وهذا ، ايها الرفاق ، لم يكتبه شيوعيون ، بل كتبته صحيفة بولونية رجعية !

بيد ان هذا ليس كل شيء .

ففي كل يوم ، في معسكرات اعتقال المانيا الفاشية ، وفي اقبيــة الفستابو (البوليس السري) ، وفي السجون البولونية ، وفي الامن العام البلغاري والفنلندي، وفي مديرية البوليس في بلغراد والامن العام الروماني وفي الجزر الايطالية ، يتعرض خيرة ابناء الطبقة العاملة والفلاحون الثوريون والمكافحون مــن اجل مستقبل رائع للانسانية لاعمال تنكيل وفظائع مقرفــة ، تتضاءل امامها اقذر اعمــال الحرس القيصري ، ان الفاشية الالمانية المتوحشة تحوّل الرجال بحضور زوجاتهم الى كتلة دامية ، وتبعث الى الامهات برماد ابنائهن القتلى بطرود بريدية . وقد تحولت عملية

«احداث العقم» (١) الى وسيلة للكفاح السياسي . وفي غرف التعذيب يحقن مناوئو الفاشية المعتقلون بالمواد السامة بالقوة ، وتهشم ايديهم ، وتسمل اعينهم ، ويعلقون من ارجلهم ، ويملأون جوفهم بالماء ، وترسم العلامة الفاشية على اجسادهم الحية بالسكاكين .

وامامي البيان الاحصائي للمنظمة الدولية لمساعدة رجال الثورة حول القتلى والجرحى والمعتقلين والمشوهين والمعذبين في المانيا وبولونيا وايطاليا والنمسا وبلغاريا ويوغوسلافيا . ففي المانيا وحدها قتل اثناء حكم القوميين الاشتراكيين اكثر من ٤٢٠٠ شخص ، واعتقل ٣١٧٨٠٠ ، وجرح وتعرض للتعذيب المبرح ٢١٨٦٠٠ شخص من العمال والفلاحين والمستخدمين والمثقفين المناوئين للفاشية ، بينهم شيوعيون واشتراكيون ديمقراطيون واعضاء في منظمات مسيحية معارضة . وفي النمسا قتلت الحكومة الفاشية «المسيحية» اثناء معارك شباط (فبراير) في العام الماضي ، ١٩٠٠ عامل ثوري ، وجرحت وشوهت ١٠ آلاف واعتقلت ٤٠ الفا. وهذا البيان ، ايها الرفاق ، بعيد عن الشمول .

يصعب عليّ العثور على كلمات للتعبير عن كل السخط الذي يتملكنا لدى التفكير بالآلام التي يقاسيها الشغيلة الان في بلدان فاشية عديدة . ان الارقام والوقائع التي نوردها لا تعكس حتى واحد بالمائة من الصورة الحقيقية للاستثمار واهوال وارهاب الحرس الابيض التي تكتظ بها الحياة اليومية للطبقة العاملة في مختلف البلدان الراسمالية . ولن تستطيع مجلدات كاملة ان تعطينا صورة واضحة عما تمارسه الفاشية بحق الشغيلة من اعمال وحشية لا تحصى .

اننا بتأثر عميق وبكره عميق نحو الجلادين الفاشيين ننكس اعلام الاممية الشيوعية امام الذكرى الخالدة لجون شير وفيته شولتسه وليوت غينس في المانيا، وكولومان فاليش وميونيخرايتر في النمسا ، وشالاي وفيورست في المجر ، وكوفارجييف وليوتبرودسكي وفويكوف في بلغاريا ، وامام ذكرى الآلاف والالاف من العمال والفلاحين الشيوعيين والاشتراكيين الديموقراطيين واللاحزبيين ، وممثلي المثقفين التقدميين الذين بذلوا ارواحهم في الكفاح ضد الفاشية .

ونحيي من هذا المنبر زعيم البروليتاريا الالمانية والرئيس الفخري لمؤتمرنا ـ الرفيق تيلمان . ونحيي الرفاق راكوشي وغرامشي وانتيكاينن . ونحيي توم موني الذي يرسف في السجن منذ ١٨ عاما ، والآلاف من اسرى راس المال والفاشية الآخرين . (تصفيق عاصف) . ونحن نقول لهم : «ايها الاخوة في النضال والسلاح ، لستم بمنسيين ، اننا معكم ، وسننذر كل ساعة من حياتنا وكل قطرة من دمنا لتحريركم ولتحرير جميع الكادحين من النظام الفاشي الشائن» .

---

(١) كان الهتلريون يستخدمون طريقة الاعقام ضد العناصر التقدمية كما لو انها طريقة للحفاظ على نقاوة الجنس .

ايها الرفاق !

لقد حذّرنا لينين من ان البورجوازية قد تتمكن من ان تنقض بارهاب شرس على الشغيلة وان تصد لفترات وجيزة معينة من الزمن قوى الثورة المتعاظمة ، بيد انها مع ذلك لن تستطيع النجاة من الهلاك .

لقد كتب لينين يقول : «ان الحياة ستأخذ نصيبها . ولتنقض البورجوازية ، ولتستكلب حتى الجنون ، ولتمعن في شططها وحماقاتها وتثأر سلفا من البلاشفة وتحاول ان تغتال (في الهند والمجر والمانيا الخ ..) مئات آلاف جديدة ، مئات آلاف من بلاشفة الغد او الامس : فالبورجوازية اذ تنسج على هذا المنوال ، انما تفعل ما فعلته جميع الطبقات التي حكم عليها التأريخ بالهلاك . وعلى الشيوعيين ان يعلموا ان المستقبل لهم في كل الاحوال ، ولذلك فانه بامكاننا (وينبغي علينا) ان نجمع بين الحمية القصوى بالنضال الثوري العظيم وبين منتهى ضبط النفس والحصافة في رصد هجمات البورجوازية المسعورة» .

اجل ، اذا سرنا نحن بروليتاريا العالم اجمع بصلابة في الطريق الذي اختطه لنا لينين وستالين ، فان البورجوازية ستهلك رغم كل شيء .

هل انتصار الفاشية محتوم

لماذا وبأية طريقة استطاعت الفاشية ان تنتصر في بعض البلدان ؟

ان الفاشية الد اعداء الطبقة العاملة والشغيلة . والفاشية عدوة تسعة اعشار الشعب الالماني وتسعة اعشار الشعب النمساوي وتسعة اعشار شعوب البلدان الفاشية الاخرى ، فكيف وبأية طريقة استطاع هذا العدو الالد ان ينتصر ؟

لقد تمكنت الفاشية من المجيء الى السلطة بالدرجة الاولى لان الطبقة العاملة بسبب سياسة التعاون الطبقي مع البورجوازية التي انتهجها اقطاب الاشتراكية الديموقراطية ، كانت مجزأة سياسيا وعزلاء تنظيميا في وجه البورجوازية الزاحفة. ولم تكن الاحزاب الشيوعية قوية الى الحد الكافي للارتفاع بالجماهير وجرها الى معركة حاسمة ضد الفاشية بدون الاشتراكية الديموقراطية وضد ارادتها .

وبالفعل ! فليفكر جديا ملايين العمال الاشتراكيين الديموقراطيين الذين يقاسون الان مع اخوتهم الشيوعيين اهوال البربرية الفاشية : لو ان البروليتاريا النمساوية والالمانية حين اندلعت الثورة في المانيا والنمسا عام ١٩١٨ لم تسر وراء القيادة الاشتراكية الديموقراطية «اوتو باور» و«فريدريخ ادلر» و«رينير» في النمسا ، و «أيبرت» و «شايديمان» في المانيا ، بل سارت في طريق البلاشفة الروس ، طريق لينين وستالين ، لما كانت هنالك الان فاشية ، لا في النمسا ولا في المانيا ، ولا في ايطاليا ، ولا في المجر ، ولا في بولونيا ، ولا في البلقان . ولكانت الطبقة العاملة، لا البورجوازية ، قد اصبحت منذ امد بعيد سيدة الوضع في اوروبا.

لنأخذ مثلا الاشتراكية الديموقراطية النمساوية ، لقد رفعتها ثورة عام ١٩١٨ الى علو شاهق . وكانت السلطة في ايديها . وكان لها مواقع متينة في الجيش وفي جهاز الدولة . وبالاعتماد على هذه المواقع كان في مقدورها ان تجهز على الفاشية الوليدة منذ البداية . بيد انها سلمت مواقع الطبقة العاملة الواحد بعد الآخر دون مقاومة . وسمحت للبورجوازية ان تعزز سلطتها وان تلغي الدستور وان تطهر جهاز الدولة والجيش والشرطة من العناصر الاشتراكية الديموقراطية ، وان تنتزع من العمال ترسانة الاسلحة . لقد سمحت لقطاع الطريق الفاشيين ان يقتالوا العمال الاشتراكيين الديموقراطيين دون عقاب ، ووافقت على شروط معاهدة «هيوتنبرغ» التي افسحت للعناصر الفاشية الطريق نحو المؤسسات . وفي الوقت ذاته خدع اقطاب الاشتراكية الديموقراطية العمال ببرنامج لينتس (١) الذي نص على امكانية استخدام العنف المسلح ضد البورجوازية عند الحاجة واقامة دكتاتورية البروليتاريا، مؤكدا لهم ان الحزب سيرد بالدعوة الى الاضراب العام والنضال المسلح اذا ما استخدمت الطبقات الحاكمة العنف ضد الطبقة العاملة . فكأن سياسة التحضير للهجوم الفاشي على الطبقة العاملة لم تكن برمتها سلسلة من اعمال العنف الموجهة ضدها ، رغم اتخاذها شكلا دستوريا . وحتى في عشية معارك شباط (فبراير) ، واثناءها ، تركت قيادة الاشتراكية الديموقراطية النمساوية شتوتسبوند (٢) المكافحة ببطولة معزولة عن الجماهير الواسعة والحقت الهزيمة بالبروليتاريا النمساوية .

وهل كان انتصار الفاشية في المانيا محتوما ؟ كلا ، فقد كان بمقدور الطبقة العاملة الالمانية ان تحول دونها .

ولكن من اجل تحقيق ذلك كان عليها ان تنجح في اقامة الجبهة البروليتارية الموحدة المعادية للفاشية ، وان ترغم زعماء الاشتراكية الديموقراطية على وقف حملتهم على الشيوعيين وقبول الاقتراحات المتكررة التي قدمها الحزب الشيوعي من اجل عمل موحد ضد الفاشية .

وكان عليها عند هجوم الفاشية وعند تصفية الحريات البورجوازية الديموقراطية بصورة تدريجية من جانب البورجوازية ، الا تقنع بالقرارات اللفظية التي اتخذتها الاشتراكية الديموقراطية ، بل ان ترد بنضال جماهيري حقيقي يجعل من الصعب تنفيذ الخطط الفاشية للبورجوازية الالمانية .

وكان عليها الا تسمح بحظر اتحاد اعضاء الجبهة الحمراء من جانب حكومة براون ـ سيفيرينغ (٣) ، وان تقيم صلة كفاحية بينه وبين الرايخسبانير (٤) الذي

---

(١) البرنامج الذي صادق عليه مؤتمر الحزب الاشتراكي الديمقراطي في مدينة (لينتس) .
(٢) المنظمة المسلحة التابعة الى الحزب الاشتراكي الديمقراطي .
(٣) الحكومة الرجعية الاشتراكية الديمقراطية التي جاءت الى دست لتحكم في بروسيا (المانيا) منذ عام ١٩٢٠ .
(٤) منظمة تابعة للحزب الاشتراكي الديمقراطي وهي منظمة جماهيرية شبه عسكرية .

ضم قرابة مليون عضو ، وترغم براون وسيفيرينغ على تسليح الاثنين معا لمقاومة العصابات الفاشية وسحقها .

وكان عليها ان تجبر قادة الاشتراكية الديموقراطية الذين تراسوا الحكومة في بروسيا على اتخاذ تدابير دفاعية ضد الفاشية ، واعتقال الزعماء الفاشيين ، ومنع صحافتهم ومصادرة اموالهم واموال الراسماليين الذين مولوا الحركة الفاشية ، وحل المنظمات الفاشية وتجريدها من سلاحها الخ ..

وفوق ذلك كان عليها ان تفرض اعادة وتوسيع سائر انواع المعونة الاجتماعية وتطبيق الموراتوريوم وتقديم المساعدات الى الفلاحين الذين حاق بهم الدمار تحت تأثير الازمات ، عن طريق فرض الضرائب على البنوك والترستات ، وبذلك تؤمن اعانة الفلاحين الكادحين . على ان هذا لم يتم ، والمذنب هو الاشتراكية الديموقراطية الالمانية ، ولذلك استطاعت الفاشية ان تنتصر .

وهل كان انتصار البورجوازية والبلاط امرا لا مفر منه في اسبانيا ، هذا البلد الذي التقت فيه قوى الانتفاضة البروليتارية بحرب الفلاحين على خير وجه ؟

لقد كان الاشتراكيون الاسبانيون في الحكومة منذ الايام الاولى للثورة . فهل اقاموا صلة كفاحية بين المنظمات العمالية من جميع الاتجاهات السياسية ، بما فيها الشيوعيون والفوضويون ، وهل وحدوا الطبقة العاملة في منظمة نقابية واحدة ؟

هل طالبوا بمصادرة جميع اراضي الملاكين الكبار والكنائس والاديرة لصالح الفلاحين ليكسبوهم الى جانب الثورة ؟ هل حاولوا ان يناضلوا من اجل تقرير المصير القومي لاهالي كاتالونيا ... ومن اجل تحرير المغرب ؟ هل قاموا بتطهير الجيش من العناصر الفاشية والملكية ليمهدوا لانتقاله الى صف العمال والفلاحين ؟ هل حلوا الحرس الاهلي البغيض الى الشعب وجلاد جميع الحركات الشعبية ؟ هل وجهوا ضرباتهم الى حزب خبل روبلس الفاشي ، والى جبروت الكنيسة الكاثوليكية؟ كلا ، لم يفعلوا اي شيء من هذا القبيل . بل رفضوا اقتراحات الشيوعيين المتكررة بشأن العمل الموحد ضد هجوم الرجعية البورجوازية ـ الاقطاعية والفاشية . وجاؤوا بقوانين انتخابية مكنت الرجعية من الفوز باكثرية في البرلمان ، وبقوانين لمعاقبة الحركات الشعبية ، وقوانين يحاكم الان بموجبها عمال مناجم استوريا الابطال . واطلقوا النار بايدي الحرس الاهلي على الفلاحين الذين كانوا يناضلون في سبيل الارض وهلم جرا .

لقد مهدت الاشتراكية الديموقراطية طريق الفاشية نحو السلطة في المانيا وفي النمسا وفي اسبانيا باشاعتها الفوضى والانشقاق في صفوف الطبقة العاملة.

ايها الرفاق ، من اسباب انتصار الفاشية كذلك ان البروليتاريا وقفت بمعزل عن حلفائها الطبيعيين . لقد انتصرت الفاشية لانها استطاعت ان تجر وراءها جماهير ريفية كبيرة ، ومرد ذلك الى ان الاشتراكية الديموقراطية انتهجت باسم الطبقة العاملة سياسة معادية للفلاحين في الواقع . فقد رأى الفلاح في السلطة حكومات اشتراكية ديموقراطية عديدة ، كانت تجسد في نظره سلطة الطبقة العاملة ، ولكن

لم تلب اي واحدة منها حاجة الريف ، ولم تعط اي منهـــا الارض للفلاحين . فالاشتراكية الديموقراطية في المانيا لم تتعرض لكبار الملاكين ، بل ناهضت اضرابات عمال الريف ، الامر الذي جعل عمال الريف في المانيا يغادرون النقابات الاصلاحية قبل مجيء هتلر الى السلطة بزمن طويل ، وينتقلون في معظم الاحوال الى «الخوذة الفولاذية» (١) والى صف القوميين الاشتراكيين .

ومن اسباب انتصار الفاشية كذلـك انها استطاعت ان تتغلغل في صفوف الشبيبة ، بينما كانت الاشتراكية الديموقراطية تحوّل انتباه الشبيبة العمالية عن الصراع الطبقي ، اما البروليتاريا الثورية فلم تقم بالعمل التربوي اللازم بين الشباب ولم توجه اهتماما كافيا الى الكفاح من اجـل مصالحه واحتياجاته الخاصة . وقد فطنت الفاشية على الاخص الى حاجة الشباب الشديدة الى الفاعلية الكفاحيــة ، فاجتذبت قسما لا يستهان به منهم الى فصائلها الكفاحية .

ان الجيل الجديد من الشبان والفتيات لم يمر باهوال الحرب . وهو يحس على كاهله بكل ثقل الازمة الاقتصادية والبطالة وانهيار الديموقراطية البورجوازية . وقد اتضح ان فئات لا يستهان بها من الشبان الذين لا يــرون اية آفاق للمستقبل سهلة التأثر بالديماغوجية الفاشية التي رسمت لهـم مستقبلا خلابا لدى انتصار الفاشية .

ولا يسعنا في هذا الصدد ان نغفل العديد مــن اخطاء الاحزاب الشيوعية ، هذه الاخطاء التي عرقلت نضالنا ضد الفاشية . فقد كان يوجد في صفوفنا تهوين غير جائز من الخطر الفاشي ، وهو تهوين لم يصف في كل مكان حتى هذه اللحظة . ان وجهات النظر التي كانت سائدة قبل في احزابنا ، من قبيل ان «المانيا ليست ايطاليا» بمعنى ان الفاشية استطاعت ان تنتصر في ايطاليا ، ولكـن انتصارها في المانيا غير وارد ، لان هذه بلاد صناعية عالية التطور ، عالية الثقافة ، تعود تقاليد الحركة العمالية فيها الى ٤٠ سنة ، والفاشية فيها مستحيلــة ، او وجهات النظر الموجودة حاليا والقائلة بان بلدان الديموقراطية البورجوازية «الكلاسيكية» ليس فيها تربة للفاشية .

ان وجهات النظر هــذه ساعدت وتساعد علــى اضعاف اليقظة ازاء الخطر الفاشي ، وهي تجعل من الصعب تعبئة البروليتاريا للنضال ضد الفاشية .

وفي الامكان كذلك ايراد عدد غير قليل من الاحوال التي بوغت فيها الشيوعيون بالانقلاب الفاشي . تذكروا بلغاريا ، حيث اتخذت قيادة حزبنا موقفا «محايدا» ، كان في الواقع موقفا انتهازيا ، ازاء انقلاب التاسع من حزيران «يونيو» عام ١٩٢٣ ، وتذكروا بولونيا حيث اخطأت قيــادة الحزب الشيوعي في تقديــر القوى المحركة للثورة البولونية ، ولم تتمكن خلال ايار (مايو) عام ١٩٢٦ من استجلاء الطابع الفاشي

---

(١) منظمة شبه عسكرية رجعية .

لانقلاب بيلسودسكي (١) ، وانجرت وراء الاحداث . وتذكروا فنلندة حيث انطلق حزبنا من تصوره الخاطىء بشأن زحف الفاشية التدريجي البطيء ، ولم يتنبه الى الانقلاب الفاشي الذي اعدته الكتلة القائدة للبورجوازية والذي فاجأ الحزب والطبقة العاملة .

وعندما اصبحت القومية الاشتراكية في المانيا حركة جماهيرية متعاظمة ، كان ثمة رفاق ممن اعتبروا حكومة بريوننغ حكومة دكتاتورية فاشية ، وكانوا يصرحون بخيلاء : «اذا زحف الرايخ الثالث الهتلري يوما ما ، فلن يمتد زخفه اكثر من متر ونصف تحت الارض ، اما فوقها ، فستقوم السلطة العمالية الظافرة» .

ان رفاقنا في المانيا ظلوا لزمن طويل لا يقيمون وزنا للشعور القومي المهان ، ولاستياء الجماهير ضد «فرساي» ، واتخذوا موقف اللامبالاة من تذبذب الفلاحين والبورجوازية الصغيرة ، وتأخروا في وضع برنامج التحرر الاجتماعي والقومي ، وعندما طرحوه لم يتمكنوا من تطبيقه على حاجات الجماهير الملموسة ومستواها ، ولم يتمكنوا حتى من نشره بصورة واسعة بين الجماهير .

وفي بلدان عديدة استعيض عن خوض النضال الجماهيري اللازم ضد الفاشية، بالطنطنة العقمية حول طابع الفاشية «اجمالا» وبضيق الافق الانعزالي بخصوص صياغة مهام الحزب السياسية الملحة وانجازها .

ايها الرفاق ، اننا نتحدث عن اسباب انتصار الفاشية ونشير الى المسؤولية التأريخية التي تتحملها الاشتراكية الديموقراطية في هزيمة الطبقة العاملة ، وننوه كذلك بأخطائنا الخاصة في مكافحة الفاشية ، لا لمجرد اننا نريد نبش الماضي . فنحن لسنا بمؤرخين منقطعي الصلة بالحياة ، بل ان علينا ، نحن مناضلي الطبقة العاملة ، ان نجيب على السؤال الذي يؤرق ملايين العمال : هل يمكن الحيلولة دون انتصار الفاشية ؟ وبأية طريقة ؟ ونحن نجيب ملايين العمال هؤلاء : اجل ايها الرفاق، ان طريق الفاشية يمكن ايصاده . هذا ممكن تماما . وهو يتوقف علينا نحن ، على العمال والفلاحين وسائر الكادحين !

ان الحيلولة دون انتصار الفاشية يتوقف قبل كل شيء على الفاعلية الكفاحية للطبقة العاملة نفسها ، وعلى تكاتف قواها في جيش متأهب موحد ، يناضل ضد هجوم راس المال والفاشية . فالبروليتاريا تستطيع اذا حققت وحدتها الكفاحية ان تشل تأثير الفاشية على الفلاحين والبورجوازية الصغيرة في المدن ، وعلى الشباب والمثقفين . وتستطيع ان تضع قسما منهم على الحياد وتجتذب القسم الآخر الى صفها .

ويتوقف هذا . ثانيا . على وجود حزب ثوري قوي يقود كفاح الشغيلة بصورة صائبة ضد الفاشية . ان حزبا يدعو العمال بصورة دائبة الى التراجع امام

---

(١) شخصية دكتاتورية بورجوازية قومية في بولونيا استولى على السلطة بواسطة انقلاب حصل عام ١٩٢٦ .

الفاشية ، ويسمح للبورجوازية الفاشية بتعزيز مراكزها ، مثل هذا الحزب سيقود العمال لا محالة الى الهزيمة .

ويتوقف هذا ، ثالثا ، على السياسة الصائبة التي تتبعها الطبقة العاملة ازاء الفلاحين وجماهير البورجوازية الصغيرة في المدن . فهذه الجماهير يجب ان ينظر اليها على حقيقتها ، لا على الوجه الذي نريد نحن ان نـراه . فهذه الجماهير لن تتخلص من شكوكها وتذبذبها الا في مجرى النضال ، ولن يرتفـع وعيها الثوري وفاعليتها الى درجة اعلى الا بالصبر على تذبذباتها المحتومة ، وبالمساعدة السياسية من جانب البروليتاريا .

ويتوقف هذا ، رابعا ، على يقظة البروليتاريا الثورية والاعمال التي تقوم بها في الوقت المناسب . فعلينا الا نتيح للفاشية ان تباغتنا ، والا تترك لها المبادرة ، وان ننزل بها ضربات حاسمة قبل ان تتمكن من استجماع قواها ، والا نسمح لها بان تتوطد وذلك بان نتصدى لكل خطوة تخطوها ، والا نعطيها فرصة احتلال مواقع جديدة ، وهذا ما تحاول البروليتاريا الفرنسية ان تفعله بنجاح .

وهـذه هي الشروط الرئيسية للحيلولة دون تنـامي الفاشية ومجيئها الى السلطة .

الفاشية بسلطة متوحشة ولكنها غير متينة

ان دكتاتورية البورجوازية الفاشية هي سلطة متوحشة ، ولكنها غير متينة . فما هي الاسباب الرئيسية في عدم متانة الدكتاتورية الفاشية ؟

ان الفاشية التي استعدت للتغلب علـى الخلافات والتناقضات في المعسكر البورجوازي قد زادت هذه التناقضات حدة .

ان الفاشية تحاول فرض احتكارها السياســـي بالقضاء على الاحـــزاب السياسية الاخرى بالقوة . ولكن وجود النظـام الراسمالي بطبقاته المختلفـــة واشتداد التناقضات الطبقية ، يؤديان حتما الى تصدع احتكار الفاشية السياسي وانهياره . فهذه ليست بلاد سوفييتية حيث تمارس دكتاتورية البروليتاريـــا كذلك من جانب حزب احتكاري ، وحيث يتجاوب هذا الاحتكار السياسي مـــع مصالح ملايين الكادحين ، ويستند بصورة متزايدة الى بناء المجتمع اللاطبقي . ففي البلاد الفاشية لا يستطيع حزب الفاشيين ان يحتفظ باحتكاره طويـــلا ، لانه لا يستطيع ان يجعل مهمته القضاء على الطبقات والتناقضات الطبقية . انـه يقضي على الوجود الشرعي للاحزاب البورجوازية ، ولكن العديد من هذه الاحزاب يواصل الاحتفاظ بوجوده السري . ومن ناحية اخرى ، فان الحزب الشيوعي يسير قدما حتى في الظروف السرية ، ويتصلب عوده ويقود نضال البروليتاريا ضـــد الدكتاتورية الفاشية . وعليه فان احتكار الفاشية السياسي لا بـد ان ينهار تحت ضربات التناقضات الطبقية .

ومن الاسباب الاخرى لضعف الدكتاتورية الفاشية، ان التضاد بين ديماغوجية معاداة الراسمالية التي تمارسها الفاشية وسياسة اثراء البورجوازية الاحتكارية عن طريق الامعان في النهب ، يسهل تعرية جوهر الفاشية الطبقي ويؤدي الى تصدع قاعدتها الجماهيرية وتضاؤلها .

وفضلا عن ذلك فان انتصار الفاشية يثير الكراهية العميقة والسخط لدى الجماهير، ويساعد على شيوع روح الثورة لديها ويدفع الجبهة الموحدة للبروليتاريا ضد الفاشية دفعة جبارة الى امام .

ان الفاشية باتباعها سياسة القومية الاقتصادية (الاكتفاء الذاتي) وبنهبها الشطر الاكبر من الدخل القومي للاستعداد للحرب ، تقوض مجمل اقتصاد البلاد، وتؤجج الحرب الاقتصادية بين البلدان الراسمالية . وهي تضفي على الصراعات المنبثقة داخل البورجوازية ، طابع اشتباكات عنيفة ، لا يندر ان تتحول الى اشتباكات دامية ، مما يزعزع استقرار سلطة الدولة الفاشية في اعين الشعب . ان سلطة تفتال انصارها انفسهم ، كما جرى في ٣٠ حزيران من العام الماضي في المانيا ـ سلطة فاشية يقاتل ضدها بالسلاح جزء اخر من البورجوازية الفاشية (محاولة الانقلاب القومي الاشتراكي في النمسا ، النضال العنيف لمختلف التكتلات الفاشية ضد الحكومة الفاشية في بولونيا وبلغاريا وفنلندة وبلدان اخرى) ... ان سلطة كهذه لا يمكن ان تتمتع طويلا بالهيبة في اعين جماهير البورجوازية الصغيرة الواسعة .

ان على الطبقة العاملة ان تحسن استغلال التناقضات والصراعات في معسكر البورجوازية ، ولكن عليها الا تعلق الآمال على سقوط الفاشية من تلقاء نفسها . فالفاشية لن تنهار بصورة اوتوماتيكية . والفاعلية الثورية للطبقة العاملة هي وحدها التي ستساعد على استغلال النزاعات الناشبة حتما في معسكر البورجوازية لزعزعة الدكتاتورية الفاشية وتقويضها .

ان الفاشية بتصفيتها بقايا الديموقراطية البورجوازية واعتمادها العنف المكشوف نظاما للحكم ، انما تزعزع الاوهام الديموقراطية وهيبة القانون في اعين الجماهير الكادحة . ويحدث هذا بصورة اكبر في بلدان كالنمسا واسبانيا مثلا ، حيث هب العمال بالسلاح ضد الفاشية . ورغم الاندحار فان الكفاح البطولي الذي شنه الشتوتسبوند والشيوعيون في النمسا قد زعزع الدكتاتورية الفاشية منذ البداية .

ولم تستطع البورجوازية في اسبانيا ان تلجم الجماهير الكادحة باللجام الفاشي . ونتيجة للمعارك المسلحة في النمسا واسبانيا ، اخذت جماهير متزايدة الاتساع من الطبقة العاملة تعي ضرورة الكفاح الطبقي الثوري .

ولا يستطيع ان ينحي باللائمة على العمال لامتشاقهم السلاح في النمسا واسبانيا الا اناس جهلاء الى حد فظيع واذناب للبورجوازية مثل كارل كاوتسكي، اقدم منظري الاممية الثانية . اذ كيف كانت الحركة العمالية في النمسا واسبانيا

ستبدو الان لو ان الطبقة العاملة في هذين البلدين استرشدت بالنصائح من امثال كاوتسكي ؟ لو وقع ذلك لتسرب الى صفوف الطبقة العاملة انحلال اخلاقي عميق.

يقول لينين : «ان مدرسة الحرب الاهلية لا تمر عبثا بالنسبة للشعوب . فهذه مدرسة شاقة لا بد لدورتها الدراسية الكاملة ان تتضمن في ذاتها انتصارات للثورة المعاكسة واستشراء من جانب الرجعيين الحاقدين ، وتدابير وحشية من جانب السلطة القديمة ضد المتمردين الخ ... ولكن لا يستطيع سوى المتمرسين في الحذلقة والمتحجرين الذين اصابهم التبلد ان يأسفوا بسبب دخول الشعوب في هذه المدرسة المضنية . فهذه المدرسة تعلم الطبقات المستضامة على خوض الحرب الاهلية ، تعلمها على الثورة الظافرة وتحشد بين جماهير العبيد المعاصرين ، ذلك الحقد الذي يحتفظ به العبيد المعذبون ، المتبلدون ، الجهلاء لانفسهم ابد الدهر ، والذي يقود العبيد الذين احسوا بعار عبوديتهم ، صوب مآثر تاريخية عظمى» .

ان انتصار الفاشية في المانيا قد جر وراءه ، كما هو معروف ، موجة جديدة من الهجوم الفاشي ، ادت في النمسا الى استفزاز دولفسوس ، والى هجوم جديد شنته الثورة المعاكسة على مكتسبات الجماهير الثورية في اسبانيا ، والى تعديل فاشي للدستور في بولونيا ، اما في فرنسا ، فقد دفع الفصائل الفاشية المسلحة خلال شباط عام ١٩٣٤ الى محاولة القيام بانقلاب حكومي. ولكن انتصار الدكتاتورية الفاشية هذا واستفحالها ، اثار الحركة المقابلة الداعية الى جبهة بروليتارية موحدة ضد الفاشية على نطاق دولي . فحرق الرايخستاغ الذي كان اشارة بدء هجوم الفاشية العام على الطبقة العاملة ، والاستيلاء والسطو على النقابات وغيرها من المنظمات العمالية ، وانين اعداء الفاشية المعذبين في اقبية الثكنات الفاشية ومعسكرات الاعتقال ، تظهر للجماهير بصورة مشهودة ، النتيجة التي افضى اليها الدور الرجعي الانشقاقي لزعماء الاشتراكية الديموقراطية الالمانية الذين رفضوا اقتراح الشيوعيين بالكفاح المشترك ضد الفاشية الزاحفة ، وتقنع الجماهير بضرورة توحيد جميع قوى الطبقة العاملة من اجل الاطاحة بالفاشية .

ولقد كان انتصار هتلر كذلك بمثابة دفعة حاسمة صوب تأسيس الجبهة الموحدة للطبقة العاملة ضد الفاشية في فرنسا . فانتصار هتلر لن يقتصر على اثارة خوف العمال ازاء مصير العمال الالمان ، ولم يقتصر على تأجيج الكراهية نحو جلادي اخوتهم الطبقيين في المانيا ، بل عزز فيهم كذلك التصميم على الا يسمحوا في اية حال من الاحوال بأن يجري في بلادهم ما جرى للطبقة العاملة في المانيا.

ان انجذاب القوى الى الجبهة الموحدة في جميع البلدان الراسمالية يدل على ان دروس الهزيمة لم تذهب عبثا . فقد بدات الطبقة العاملة تعمل بأسلوب جديد. مبادرة الاحزاب الشيوعية في تنظيم الجبهة الموحدة ونكران الذات التي عيون والعمال في النضال ضد الفاشية ، الى تعاظم مكانة الاممية

الشيوعية لدرجة لم يسبق لها مثيل . وفي الوقت نفسه تتطور في الاممية الثانية ازمةعميقة تجلت بقوة واشتدتلاسيما بعد افلاس الاشتراكية الديموقراطية الالمانية . اذ بات بوسع العمال الاشتراكيين الديمقراطيين ان يقتنعوا بصورة مشهودة بان المانيا الفاشية بكل فظائعها وبربريتها هي في نهاية المطاف نتيجة السياسة الاشتراكية الديموقراطية القائمة على التعاون الطبقي مع البورجوازية. ويتضح لهذه الجماهير بصورة متزايدة ان الطريق الذي قاد زعماء الاشتراكية الديموقراطية الالمانية فيه البروليتاريا ، لا ينبغي ان يتكرر . ان معسكر الاممية الثانية لم يشهد قط مثل هذا التخبط الفكري الذي يشهده في الوقت الحاضر. اذ يجري تمايز في داخل جميع الاحزاب الاشتراكية . ويبرز من صفوفها معسكران اساسيان : فالى جانب المعسكر المؤلف من العناصر الرجعية التي تحاول بجميع الوسائل الاحتفاظ بتكتل الاشتراكية الديموقراطية مع البورجوازية وترفض بحنق فكرة الجبهة الموحدة مع الشيوعيين ، بدأ يتشكل معسكر من العناصر الثورية التي تشك في صواب سياسة التعاون الطبقي مع البورجوازية ، وتنادي بتأسيس جبهة موحدة مع الشيوعيين ، وقد بدات هذه العناصر تنتقل بدرجة متزايدة الى مواقع النضال الطبقي الثوري .

وهكذا فان الفاشية التي ظهرت نتيجة تدهور النظام الراسمالي ، تغدو في نهاية الامر عاملا من عوامل انحلاله اللاحق . وهكذا فان الفاشية التي اضطلعت بمهمة قبر الماركسية والحركة الثورية للطبقة العاملة ، تؤدي بنفسها نتيجة لديالكتيك الحياة والصراع الطبقي ، صوب التطور اللاحق لتلك القوى التي ستكون حفارة قبرها ، حفارة قبر الراسمالية .

٢ ـ الجبهة الموحدة للطبقة العاملة ضد الفاشية

ايها الرفاق ! ان ملايين العمال والكادحين في البلدان الراسمالية يطرحون هذا السؤال : كيف السبيل الى الحيلولة دون مجيء الفاشية الى السلطة ، والى الاطاحة بالفاشية المنتصرة ؟ وتجيب الاممية الشيوعية : ان اول ما ينبغي عمله وما ينبغي البدء به هو تأسيس الجبهة الموحدة ، وتحقيق وحدة عمل العمال في كل مؤسسة ، وفي كل منطقة ، وفي كل محافظة ، وفي كل بلد ، وفي العالم اجمع. ان وحدة عمل البروليتاريا على النطاقالقومي والاممي هي السلاح الجبار الذي يجعل الطبقة العاملة قادرة لا على الدفاع الناجح وحسب بل وعلى شن هجوم معاكس ناجح على الفاشية ، على العدو الطبقي .

اليس من الواضح ان الاعمال المشتركة لانصار الاحزاب والمنظمات في كلتا الامميتين ــ الاممية الشيوعية والاممية الثانية ــ من شأنها ان تسهل مقاومة الجماهير للضغط الفاشي ، وأن تزيد من الثقل السياسي للطبقة العاملة ؟

بيد ان الاعمال المشتركة لاحزاب الامميتين ضد الفاشية ما كانت لتقف عند حد التأثير على انصارهما الحاليين ، على الشيوعيين والاشتراكيين الديموقراطيين ، بل هي قمينة بأن تمارس تأثيرا قويا على صفوف العمال الكاثوليكيين والفوضويين وغير المنظمين ، وحتى على اولئك الذين وقعوا بصورة مؤقتة ضحية للديماغوجية الفاشية .

واكثر من ذلك ، ان جبهة البروليتاريا الموحدة القوية ، كفيلة بان تمارس تأثيرا ضخما على جميع فئات الشعب الكادح الاخرى ــ على الفلاحين والبورجوازية الصغيرة في المدن والمثقفين . والجبهة الموحدة كفيلة بان تبعث في الفئات المترددة، الايمان بقوة الطبقة العاملة .

ومع ذلك فليس هذا كل شيء . ان البروليتاريا في البلدان الامبريالية لها حلفاء محتملون لا في شخص شغيلة بلدانها الخاصة وحسب ، وانما في شخص الشعوب المضطهدة في المستعمرات واشباه المستعمرات كذلك . وكلما كانت البروليتاريا منقسمة على نفسها في النطاق القومي والاممي ، وكان قسم منها يؤيد سياسة التعاون مع البورجوازية ولاسيما نظامها الجائر في المستعمرات واشباه المستعمرات ، فان هذا ينفر الشعوب المضطهدة في المستعمرات واشباه المستعمرات من الطبقة العاملة ، ويضعف الجبهة العمالية ضد الامبريالية . وكل خطوة تتخذها البروليتاريا في بلدان المتروبول على طريق العمل الموحد بغية دعم الكفاح التحرري للشعوب المستعمرة ، تعني تحويل المستعمرات واشباهها الى احد الاحتياطات الرئيسية للبروليتاريا العالمية .

واذا ما اخذنا اخيرا بعين الاعتبار ان العمل الدولي الموحد من جانب البروليتاريا يرتكز الى القوة المتعاظمة باستمرار للدولة البروليتارية ، بلد الاشتراكية ــ الاتحاد السوفييتي ، فسنرى اية آفاق واسعة يفتحها امامنا تحقيق عَمل البروليتاريا الموحد في النطاق القومي والاممي .

ان تحقيق وحدة عمل جميع فصائل الطبقة العاملة ، بصرف النظر عن انتسابها الى هذا او ذاك من الاحزاب والمنظمات ، هو امر ضروري قبل ان تتحد اغلبية الطبقة العاملة للنضال من اجل الاطاحة بالراسمالية ، وانتصار الثورة البروليتارية .

فهل بالامكان تحقيق عمل البروليتاريا الموحد هذا في مختلف البلدان ، وفي العالم اجمع ؟ اجل ، هذا ممكن . وهو ممكن منذ الان . ولا تضع الاممية الشيوعية للعمل الموحد اية شروط باستثناء شرط اولي واحد مقبول لدى جميع

العمال ، ونعني به ان يكون العمل الموحد موجها ضد الفاشية ، ضد هجوم رأس المال ، ضد خطر الحرب ، ضد العدو الطبقي . هذا هو شرطنا .

حول الحجج الرئيسية لخصوم الجبهة الموحدة

بماذا يمكن ان يعترض وكيف يعترض خصوم الجبهة الموحدة ؟

يقول البعض : «ان شعار الجبهة الموحدة بالنسبة للشيوعيين ليس سوى مناورة» . ونجيب نحن : اذا كانت هذه مناورة ، فما الذي يمنعكم من فضح «المناورة الشيوعية» باشتراككم النزيه في الجبهة الموحدة ؟ ونحن نعلن جهارا : اننا نريد العمل الموحد للطبقة العاملة ليشتد ساعد البروليتاريا في كفاحها ضد البورجوازية ، بحيث تذود اليوم عن مصالحها اليومية ضد رأس المال الزاحف ، ضد الفاشية، وبحيث تكون غدا قادرة على خلق المهدات اللازمة لتحررها النهائي.

ويقول اخرون : «ان الشيوعيين يهاجموننا» . ولكن انصتوا ، فقد صرحنا اكثر من مرة : اننا لن نهاجم احدا من الاشخاص او المنظمات او الاحزاب التي تؤيد الجبهة الموحدة للطبقة العاملة ضد العدو الطبقي . ولكننا في الوقت نفسه ملزمون ، لمصلحة البروليتاريا وقضيتها، بان ننتقد الاشخاص والمنظمات والاحزاب التي تعرقل عمل العمال الموحد .

ويقول فريق ثالث : «اننا لا نستطيع ان نعقد جبهة موحدة مع الشيوعيين، لان لهم برنامجا اخر » . ولكن الستم تزعمون بان برنامجكم يختلف عن برنامج الاحزاب البورجوازية ، ومع ذلك فهذا لم يمنعكم في الماضي ولا يمنعكم الان من الدخول في ائتلاف مع هذه الاحزاب .

ويقول خصوم الجبهة الموحدة والمدافعون عن الائتلاف مع البورجوازية : «ان الاحزاب البورجوازية الديموقراطية هي حليفة افضل من الشيوعيين ضد الفاشية» . ولكن علام تدل تجربة المانيا ؟ الم يؤلف الاشتراكيون الديموقراطيون كتلة مع هؤلاء الحلفاء «الافاضل» ؟ وماذا كانت النتائج ؟

ومن غير النادر ان نسمع : «اذا اقمنا جبهة موحدة مع الشيوعيين ، فان البورجوازيين الصغار سيخافون الخطر الاحمر وسينتقلون الى صف الفاشية» . ولكن هل تخيف الجبهة الموحدة الفلاحين وصغار التجار والحرفيين والمثقفين الكادحين ؟ كلا ، ان الجبهة الموحدة تخيف البورجوازية الكبيرة واساطين المال واثرياء الريف وغيرهم من المستغلين الذين يعود نظامهم بالخراب التام على جميع هذه الفئات .

ويقول العديد من الزعماء الاشتراكيين الديموقراطيين : «ان الاشتراكية الديموقراطية تنادي بالديموقراطية ، اما الشيوعيون فهم دعاة دكتاتورية ، ولذلك لا يمكننا ان نقيم جبهة موحدة مع الشيوعيين» . ولكن هل نقترح عليكم الان

جبهة موحدة لاعلان دكتاتورية البروليتاريا ؟ اننا لا نقترح هذا في الوقت الحاضر.

«فليعترف الشيوعيون بالديموقراطية وليدافعوا عنها ، واذ ذاك سنكون مستعدين لجبهة موحدة» . ونجيب على هذا بقولنا : اننا انصار للديموقراطية السوفييتية ، ديموقراطية الشغيلة ، اثبت ديموقراطية في العالم . ولكننا ندافع في البلدان الرأسمالية ، وسنظل ندافع عن كل شبر من الحريات الديموقراطية البورجوازية ، تتعرض له الفاشية والرجعية البورجوازية ، لان هذا ما تمليه مصالح كفاح البروليتاريا الطبقي .

ويقول زعماء حزب العمال في انكلترا مثلا : «ولكن الاحزاب الشيوعية الصغيرة لن تضيف باشتراكها شيئا الى هذه الجبهة الموحدة التي تتمثل في حزب العمال . ولكن تذكروا ان الزعماء الاشتراكيين الديموقراطيين النمساويين قالوا الشيء نفسه عن الحزب الشيوعي النمساوي الصغير . فماذا اظهرت الاحداث ؟ لم تكن الاشتراكية الديموقراطية النمساوية برئاسة اوتوباور وورينر هي المصيبة ، بل كان المصيب الحزب الشيوعي النمساوي الصغير ، الذي نبّه الى الخطر الفاشي في النمسا في حينه ، ودعا العمال الى الكفاح . وقد دلت مجمل تجربة الحركة العمالية على ان الشيوعيين حتى عند قلّتهم العددية نسبيا، هم محرك نشاط البروليتاريا الكفاحي . وفضلا عن ذلك لا ينبغي ان يغيب عن الاذهان في النمسا او انكلترا ان حزب الشيوعيين لا يقتصر على عشرات آلاف العمال الذين يؤيدونه ، بل هو جزء من الحركة الشيوعية العالمية ، وقطاع من الاممية الشيوعية التي يقودها حزب البروليتاريا الظافرة التي تحكم سدس الكرة الارضية .

ويعترض خصوم الجبهة الموحدة بقولهم : «ولكن الجبهة الموحدة لم تحل دون انتصار الفاشية في سآر» (١) . وهؤلاء السادة لهم منطق غريب ! فهم في البداية يفعلون كل ما في وسعهم لضمان انتصار الفاشية ، ثم يتشفون بعد ذلك لان الجبهة الموحدة التي وافقوا عليها في اللحظة الاخيرة لم تؤد الى انتصار العمال .

ويقول الزعماء الاشتراكيون الديموقراطيون المشتركون في حكومات مختلف البلدان : «لو الفنا جبهة موحدة مع الشيوعيين لتوجب علينا ان نخرج من الائتلاف ، واذ ذاك ستدخل الاحزاب الرجعية والفاشية في الحكومة» . حسنا. هل دخلت الاشتراكية الديموقراطية الالمانية في الحكومة الائتلافية ؟ لقد دخلت. وهل دخلت الاشتراكية الديموقراطية النمساوية في الحكومة ؟ دخلت هي الاخرى كذلك . هل دخل الاشتراكيون الاسبانيون في حكومة واحدة مع البورجوازية ؟ لقد دخلوا هم ايضا . وهل حال اشتراك الاشتراكية الديموقراطية في الحكومات الائتلافية البورجوازية في هذه البلدان دون هجوم الفاشية على البروليتاريا؟ كلا،

---

(١) مقاطعة في المانيا .

انه لم يحل . وبالتالي فمن الواضح وضوح النهار ان اشتراك الوزراء الاشتراكيين الديموقراطيين في الحكومة البورجوازية ليس حاجزا في وجه الفاشية .

انهم يقولون : «ان الشيوعيين يعملون بصورة دكتاتورية ويريدون ان يفرضوا ويملوا علينا كل شيء» . كلا ! اننا لا نفرض شيئا ولا نملي شيئا . ولا نفعل سوى تقديم مقترحاتنا التي نعتقد انتنفيذها يتجاوب ومصالح الشعب الكادح ، وهذا ليس حقا وحسب ، بل هو واجب على جميع من يعملون باسم العمال . اتخافون من «دكتاتورية» الشيوعيين ؟ فلنعرض سويا على العمال جميع مقترحاتكم ومقترحاتنا ، ولنبحثها سويا مع جميع العمال ، ولنختر انفع المقترحات لقضية الطبقة العاملة !

وهكذا فان جميع هذه الحجج ضد الجبهة الموحدة لا تصمد لاي نقد ، وهي بالاحرى مداورات يقوم بها الزعماء الرجعيون للاشتراكية الديموقراطية الذين يؤثرون جبهتهم الموحدة مع البورجوازية على جبهة البروليتاريا الموحدة .

كلا ، ان هذه المداورات لن تمر ! فقد عانت البروليتاريا الاممية عواقب انشقاق الحركة العمالية ، وهي تقتنع بصورة متزايدة بان الجبهة الموحدة وعمل البروليتاريا الموحد على النطاق القومي والاممي ، هما امران ضروريان وممكنان تماما .

محتوى ومضمون الجبهة الموحدة وأشكالها

ما هو وماذا ينبغي ان يكون المحتوى الرئيسي للجبهة الموحدة في المرحلة الراهنة ؟ ان الدفاع عن المصالح الاقتصادية والسياسية المباشرة للطبقة العاملة وحمايتها من الفاشية يجب ان تكونا نقطة الإنطلاق والمحتوى الرئيسي للجبهة الموحدة في جميع البلدان الراسمالية .

ان علينا الا نقتصر على النداءات المجردة للنضال في سبيل ديكتاتورية البروليتاريا ، بل يجب ان نجد وأن نرفع تلك الشعارات واشكال الكفاح التي تنبع من الاحتياجات الحيوية للجماهير ، ومن مستوى قدرتها الكفاحية في مرحلة التطور الراهنة .

ان علينا ان نوجه الجماهير الى ما ينبغي عمله اليوم لتذود غن نفسها ضد النهب الراسمالي والبربرية الفاشية .

ان علينا ان نناضل لاقامة اوسع جبهة موحدة بمساعدة الاعمال المشتركة من جانب المنظمات العمالية من مختلف التيارات دفاعا عن المصالح الحيوية للجماهير الكادحة .

وهذا يعني :

اولا ــ الكفاح المشترك في سبيل القاء عواقب الازمة بالفعل على عاتق الطبقات

المسيطرة ، على عاتق الراسماليين وملاكي الاراضي ، وبكلمة واحدة ، على عاتق الاغنيـــاء .

ثانيا ــ النضال المشترك ضد جميع أشكال الهجوم الفاشي دفاعا عـــــن مكتسبات الشغيلة وحقوقهم ، وضد تصفية الحريات الديموقراطية البورجوازية.

ثالثا ــ النضال المشترك ضد خطر الحرب الامبريالية المتفاقم ، بشكل يجعل تحضيرها صعبا .

ان علينا ان نعمل بلا كلل لاعداد الطبقة العاملة لتغير أشكال نضالها وطرائقه بسرعة عند تغيير الظروف . وتبعا لتعاظم حركة الطبقة العاملة وتعزز وحدتها . ينبغي ان نمضي قدما ، فنستعد للانتقال من الدفاع الى الهجوم على راس المال ، منتهجين سبيل تنظيم الاضراب السياسي الجماهيري . وفضلا عن هذا فمـــن الشروط الالزامية لمثل هذا الاضراب ان تنخرط فيه النقابات الاساسية في كل بلد معني .

ولا يستطيع الشيوعيون بالطبع ، ولا ينبغي لهم ان يتخلوا لحظة واحدة عن عملهم المستقل في التثقيف الشيوعي وفي تنظيم الجماهير وتعبئتها . ولكن ضمان الطريق نحو وحدة عمل العمال يستلزم منا ان نسعى في الوقت ذاته سواء نحو اتفاقات قصيرة الامد او طويلة الامد في سبيل القيام باعمال مشتركة مع الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية والنقابات الاصلاحية وغيرها من منظمات الشغيلة ضد اعداء البروليتاريا الطبقيين . وفي هذه الحالة يجب توجيه الاهتمام الرئيسي الى توسيع الاعمال الجماهيرية المحلية التي تقوم بها منظمات القاعدة من خلال اتفاقات محلية . ونحن اذ ننفذ باخلاص شروط جميع الاتفاقات المبرمة معها ، سنفضح بلا رحمة اي تقويض للاعمال المشتركة من جانب اشخاص او منظمات منخرطة في الجبهة الموحدة . وسنرد على اية محاولة لاحباط الاتفاقات ــ ومثل هذه المحاولات يمكن ان تقع ــ بتوجيه النداء الى الجماهير ، مواصلين الكفاح بلا كلل من اجـــل استعادة وحدة العمل التي جرى انتهاكها .

ومن الطبيعي ان تحقيق الجبهة الموحدة بصورة ملموسة في البلدان المختلفة سيتم بصورة متباينة وسيتخذ اشكالا مختلفة تبعا لوضعية المنظمات العماليـــة وطابعها ، وتبعا لمستواها السياسي وللوضع الملموس في البلد المعني ، وللتغيرات الحاصلة في الحركة العمالية الاممية وهلمجرا .

وهذه الاشكال يمكن ان تكون على سبيل المثال : اعمالا مشتركة منسقة بين العمال في كل حالة على حدة ، في مناسبات معينة او مطالب منفصلة او علـــى اساس برنامج عام . كما يمكن ان تكون اعمالا منسقة في مؤسسات او فـــروع انتاجية معينة ، او اعمالا منسقة على نطاق محلي او منطقي او وطني عام او اممي، او اعمالا منسقة لتنظيم كفاح العمال الاقتصادي ، والقيام بحملات سياسيـــــة جماهيرية وتنظيم الدفاع المشترك عن النفس ضد الهجمات الفاشية ، او اعمالا منسقة لتقديم العون الى السجناء وعوائلهم ، وفي مضمار النضال ضد الرجعية

الاجتماعية ، او اعمالا مشتركة للدفاع عن مصالح الشباب والنساء ، او في ميدان المنظمات التعاونية والثقافية والرياضية وهلم جرا .

وسيكون من غير الكافي ان نقنع بمجرد ابـــرام اتفاق للاعمال المشتركـــة وبتأسيس لجان اتصال من الاحزاب والمنظمات المشتركة في الجبهة الموحدة ، كما هي الحال في فرنسا مثلا . فهذه ليست سوى الخطوة الاولى ، اذ ان الاتفاق هو وسيلة تساعد على تنفيذ اعمال مشتركة ، ولكنه بحد ذاته لا يعني قيام جبهـة موحدة . ان وجود لجنة اتصال بين قيادتي الحزبين الشيوعي والاشتراكي امـر ضروري لتسهيل القيام بالاعمال المشتركة ، ولكنه بحد ذاته بعيد عن ان يكون كافيا لقيام الجبهة الموحدة فعلا ، ولاجتذاب اوســع الجماهير للكفاح ضـــد الفاشيــة .

ان على الشيوعيين وجميع العمال الثوريين ان يناضلوا في سبيل انشـــاء هيئات طبقية منتخبة خارج نطاق الاحزاب للجبهة الموحدة في المؤسسات وبـين العاطلين وفي الاحياء والمناطق العمالية وبين الفئات الكادحة في المدن ، وكذلك في القرى (في بلدان الدكتاتورية الفاشية يجب ان ينتخب لهذه الهيئات ابرز المشتركين في حركة الجبهة الموحدة) . فهذه الهيئات ستكون وحدها القادرة على الامســاك بزمام حركة الجبهة الموحدة وجمهور الشغيلة الواسع غير المنظم ، وستتمكن من المساعدة على تطوير مبادرة الجماهير في النضال ضد هجوم راس المال وضـــد الفاشية والرجعية ، كما ستتمكن على هذا الاساس من المساعدة على انشاء الكوادر العمالية الواسعة اللازمة للجبهة الموحدة ، وعلى انشاء المئات والآلاف من البلاشفة غير الحزبيين في البلدان الرأسمالية .

ان الاعمال المشتركة للعمال المنظمين هي البداية وهـــي الاساس . ولكن لا ينبغي ان يفوتنا ان الجماهير غير المنظمة هي الاكثرية الساحقة من العمال . وهكذا ففي فرنسا يبلغ عدد العمال المنظمين ـ الشيوعيين والاشتراكيين واعضاء النقابات من مختلف الاتجاهات ـ اجمالا نحو مليون على وجه التقريب . اما عدد العمال الاجمالي فهو ١١ مليونا . وفي انكلترا يوجد في النقابات والاحزاب من جميـــع الاتجاهات قرابة خمسة ملايين . اما عدد العمال الاجمالي فهو ١٤ مليونا . وفي الولايات المتحدة الاميركية يوجد نحو خمسة ملايين عامل منظم بينما يبلغ عدد العمال هناك ٣٨ مليونا . والنسبة نفسها تقريبا في بلدان عديدة . وفي الاحوال «الاعتيادية» تبقى هذه الكتلة ، على العموم خارج الحياة السياسية . ولكن هذه الكتلة الهائلة تتحرك الان بصورة متزايدة وتنخرط الان في الحياة السياسيـــــة وتخرج الى المعترك السياسي .

ان تأسيس هيئات طبقية خارج الاحزاب هو افضل شكل لاقامة الجبهـــة الموحدة وتوسيعها وتوطيدها في اوساط اوسع الجماهير . وستكون هذه الهيئات كذلك خير ركيزة ضد سائر محاولات خصوم الجبهة الموحدة الساعين الى احباط قيام العمل الموحد للطبقة العاملة .

في سبيل جبهة معادية للفاشية

ان احدى المهام البالغة الاهمية عند تعبئة جماهير الشغيلة للنضال ضد الفاشية هي اقامة جبهة شعبية واسعة معادية للفاشية على اساس الجبهة البروليتارية الموحدة . فنجاح مجمل نضال البروليتاريا وثيق الارتباط باقامة تحالف البروليتاريا الكفاحي مع الفلاحين الكادحين ومع الجزء الاساسي من البورجوازية الصغيرة في المدن ، اذ انها تؤلف مع الفلاحين اكثرية السكان حتى في البلدان المتطورة صناعيا .

ان الفاشية رغبة منها في اجتذاب هذه الجماهير الى صفها ، تحاول في دعايتها وضع شغيلة المدينة والقرية والبروليتاريا الثورية في صفين متعارضين ، واخافة البورجوازي الصغير لفزاعة «الخطر الاحمر» . وعلينا نحن ان نحول الحربة . وان ندل الفلاحين الكادحين وارباب الحرف والمثقفين العاملين على الجهة التي يتهددهم منها الخطر الفعلي ، علينا ان نظهر بصورة محسوسة من الذي يرهق الفلاح بعبء الضرائب والرسوم ، وينتزع منه الفوائد المئوية ، ومن يمتلك خيرة الاراضي وجميع الثروات، ويطرد الفلاح واهله من ارضه ويعرضه للبطالة والتسول. علينا ان نوضح بصورة ملموسة ، وبأناة ومثابرة، من الذي يثقل كاهل الحرفيين بالضرائب والرسوم وبدلات الايجار العالية والمنافسة التي لا تطاق، ومن يلقي الجماهير الواسعة من المثقفين العاملين على قارعة الطريق ويجردها من العمل .

ولكن هذا غير كاف .

ان الامر الاساسي الحاسم في بناء الجبهة الشعبية المعادية للفاشية ، هو ان تعمل البروليتاريا الثورية عملا حازما دفاعا عن مطالب هذه الفئات ، وعلى الاخص مطالب الفلاحين الكادحين ، المرتبطة بالمصالح الجذرية للبروليتاريا ، وان تربط في مجرى الكفاح مطالب الطبقة العاملة بهذه المطالب .

ومما له اهمية كبيرة عند بناء الجبهة الشعبية المعادية للفاشية ، ان يتخذ موقف صائب من تلك المنظمات والاحزاب التي تضم عددا كبيرا من الفلاحين الكادحين . والجماهير الاساسية للبورجوازية الصغيرة في المدن .

ان غالبية هذه الاحزاب والمنظمات ، سواء منها السياسية او الاقتصادية ، ما تزال في البلدان الراسمالية تخضع لتأثير البورجوازية وتسير وراءها. والتركيب الاجتماعي لهذه الاحزاب والمنظمات ليس متماثلا . فهي تضم كبار الفلاحين الموسرين (الكولاك) الى جانب الفلاحين المعدمين ، وكبار المضاربين الى جانب التجار الصغار ، بيد ان القيادة فيها هي في ايدي الاولين ـ عملاء راس المال الكبير . وهذا يستلزم منا موقفا متباينا ازاء هذه المنظمات ، آخذين بعين الاعتبار ان جماهير الاعضاء تجهل في الغالب الوجه السياسي الفعلي لقيادتها . وفي ظروف معينة يمكننا ويجب علينا ان نوجه جهودنا بحيث نستطيع جر هذه الاحزاب والمنظمات او اجزاء معينة منها ، بالرغم من قياداتها البورجوازية ، الى جانب

الجبهة الشعبية المعادية للفاشية . وثمة على سبيل المثال وضع مماثل في فرنسا فيما يتعلق بالحزب الراديكالي ، وفي الولايات المتحدة فيما يتعلق بمختلف المنظمات الفلاحية ، وفي بولونيا فيما يتعلق بـ «سترويسوفو ليودوفه» ، وفي يوغوسلافيا فيما يتعلق بحزب الفلاحين في «الخربات» (١) ، وفي بلغاريا فيما يتعلق بالاتحاد الزراعي ، وفي اليونان فيما يتعلق بالزراعيين الخ ... وبصرف النظر عن ذلك ، علينا ان نوجه تكتيكنا في كل الظروف ما دامت تتوفر الفرص لاجتذاب مثل هذه الاحزاب والمنظمات الى جانب الجبهة الشعبية ، نحو جر صغار الفلاحين والحرفيين المنضوين تحت لوائها ، الى صفوف الجبهة المعادية للفاشية.

وهكذا فانكم ترون ان من الواجب ان يوضع حد على طول الخط هنا ، للتجاهل الذي لا يندر وجوده في تكتيكنا ، ولموقف الاستخفاف ازاء مختلف منظمات واحزاب الفلاحين والحرفيين وجماهير البورجوازية الصغيرة في المدن .

القضايا الاساسية للجبهة الموحدة في مختلف البلدان

في كل بلد ثمة قضايا اساسية، تشغل في مرحلة معينة بال اوسع الجماهير، وينبغي ان يشن حولها النضال لاقامة الجبهة الموحدة . وان وضع اليد على هذه النقاط والقضايا الحساسة ، يعني ضمان بناء الجبهة الموحدة والتعجيل بها .

أ ـ الولايات المتحدة الاميركية

لنأخذ على سبيل المثال الولايات المتحدة الاميركية ، كبلد له مكانته في العالم الراسمالي . لقد انهار فيها برنامج انعاش الراسمالية . وراحت جماهير غفيرة تنسحب من الاحزاب البورجوازية ، وهي الان في مفترق الطرق .

وتحاول الفاشية الاميركية الناشئة توجيه خيبة واستياء هذه الجماهير الى روافد فاشية رجعية . وفضلا عن ذلك ، تتلخص خصوصية تطور الفاشية الاميركية في انها تبدو في المرحلة الراهنة متسترة بقناع المعارضة للفاشية ، نظرا لانها تيار «اميركي» ليس مستوردا من الخارج . وخلافا للفاشية الالمانية ، تحاول الفاشية الاميركية ان تتقمص دور المناضل في سبيل الدستور و«الديموقراطية الاميركية» . وهي لا تشكل حتى الان ، قوة ذات خطر مباشر . لكنها اذا افلحت في التغلغل الى صفوف الجماهير الواسعة ، التي خاب رجاؤها بالاحزاب البورجوازية ، فانها قد تصبح خطرا داهما في القريب العاجل .

وماذا سيعني انتصار الفاشية في الولايات المتحدة الاميركية ؟

---

(١) منطقة في يوغسلافيا وهي الان جمهورية في اتحاد الجمهوريات اليوغسلافية .

من الطبيعي ان ذلك سيعني بالنسبة للجماهير الكادحة ، اطلاق العنان لنظام الاستغلال ، وتقويضا للحركة العمالية . وماذا سيكون الاثر الدولي لانتصار الفاشية هذا ؟

ان الولايات المتحدة الاميركية كما هو معلوم ، ليست المجر ، ولا فنلندا ، ولا بلغاريا ، او لاتفيا . وان انتصار الفاشية في الولايات المتحدة لا بد سيغير الوضع الدولي الى حد كبير جدا .

فهل تستطيع البروليتاريا الاميركية ان تكتفي في مثل هذه الظروف بمجرد تنظيم طليعتها الواعية طبقيا ، والمستعدة لسلوك الطريق الثوري ؟ كلا .

من الواضح كليا ، ان مصالح البروليتاريا الاميركية تتطلب انفصال جميع قواها عن الاحزاب الراسمالية فورا . وعليها ان تجد السبل والاشكال الملائمة ، لكي تكون قادرة على ان تحول في الوقت المناسب دون اجتذاب الفاشية لجماهير الكادحين الواسعة المتذمرة . وينبغي القول هنا : ان تأسيس حزب جماهيري للكادحين ، «حزب عمالي – فلاحي» ، سيكون الشكل المناسب في الظروف الاميركية . وسيكون مثل هذا الحزب شكلا فريدا للجبهة الشعبية الجماهيرية في اميركا ، لمجابهة احزاب الاحتكارات والمصارف ، ولمجابهة الفاشية المتنامية . ولن يكون هذا الحزب في الواقع، لا اشتراكيا ولا شيوعيا ولكنه معاد للفاشية ، وليس معاد للشيوعية ، غير ان برنامج هذا الحزب يجب ان يوجه ضد البنوك ، والترستات والاحتكارات ، ضد اعداء الشعب الالداء ، الذين يتاجرون بمصائبه. ولا يمكن لمثل هذا الحزب ان يؤدي مهمته الا اذا دافع عن المطالب الملحة للطبقة العاملة، وناضل من اجل تشريع اجتماعي حقيقي ، ومن اجل الضمان ضد البطالة، والا اذا ناضل من اجل الارض للعمال الزراعيين البيض والسود ، ومن اجل انقاذهم من عبء الديون ، ومن اجل الغاء ديون ملاكي الاراضي ، وفي سبيل مساواة الزنوج ، وللدفاع عن مصالح المحاربين القدماء واصحاب المهن الحرة ، وصغار التجار والحرفيين وهلمجرا .

وغني عن البيان ، ان مثل هذا الحزب سيناضل من اجل ترشيح ممثلين الى الادارات المحلية ، والى الهيئات التمثيلية لمختلف الولايات ، والى الكونغرس ومجلس الشيوخ .

وقد احسن رفاقنا في الولايات المتحدة صنعا ، عندما بادروا الى تأسيس مثل هذا الحزب . لكنهم ما زالوا يواجهون مهمة اتخاذ التدابير العملية لجعل تأسيس هذا الحزب قضية الجماهير نفسها . كما يجب ان تناقش مسألة تنظيم «الحزب العمالي – الزراعي» وبرنامجه في الاجتماعات الشعبية الجماهيرية . ومن الضروري تنظيم وقيادة اوسع حركة من اجل تأسيس هذا الحزب . ولا يجوز في اية حالة السماح بانتقال مبادرة تنظيم هذا الحزب الى ايدي تلك العناصر التي تريد استغلال تذمر الملايين اليائسة من كلا الحزبين البورجوازيين ، الديموقراطي والجمهوري ، لايجاد حزب «ثالث» في الولايات المتحدة الاميركية ، كحزب معاد

للشيوعية ، وحزب موجه ضد الحركة الثورية .

ب ـ انكلتـرا

ان منظمة موزلي الفاشية في انكلترا ، توارت الى المؤخـرة مؤقتا ، تحت وطأة الحملات الجماهيرية للعمال الانكليز . ولكننا لا ينبغي ان نغمض اعيننا امام واقع ان ما تسمى «بالحكومة القومية» قد اتخذت طائفة من الاجراءات الرجعية ضد الطبقة العاملة ، نشأت بنتيجتها في انكلترا ايضا ، الظروف لتسهيل انتقال البورجوازية الى نظام فاشي عند الضرورة .

ان النضال ضد الخطر الفاشي في انكلترا حاليا ، يعني النضال قبل كل شيء ، ضد «الحكومة القومية» وضد تدابيرها الرجعية وضد هجوم راس المال ومن اجل الدفاع عن مطالب العمال العاطلين ، وضد خفض الاجور ، ومن اجل الغاء جميع القوانين التي خفضت البورجوازية الانكليزية بواسطتها ، مستوى الجماهير المعاشي .

غير ان مقت الطبقة العاملة المتعاظم «للحكومة القومية» ما انفك يوحد الجماهير الواسعة تحت شعار **تشكيل حزب عمالي جديد** في انكلتـرا . فهل بوسـع الشيوعيين ان يتجاهلوا ميل الجماهير الواسعة ، التي ما زالت تؤمن بالحكومـة العمالية ؟ كلا ، ايها الرفاق ! علينا ان نجد السبيل الى هذه الجماهير . وان نقول لها جهارا كما فعل المؤتمر الثالث عشر للحزب الشيوعي الانكليزي : اننا نحـن الشيوعيين ، انصار للسلطة السوفييتية بصفتها السلطة الوحيدة ، القادرة على تحرير العمال من ربقة الراسمال . لكنكم تريدون «حكومة حزب العمال» ، حسنا. لقد ناضلنا نحن وما نزال يدا بيد معكم من اجل دحر «الحكومة القومية» . واننا لعلى استعداد لدعم نضالكم من اجل اقامة «حكومة جديدة لحزب العمال» ، على الرغم من ان كلتا الحكومتين العماليتين السابقتين لم تنفذ الوعود التي قطعها حزب العمال للطبقة العاملة . ونحن لا نتوقع من هذه الحكومة تطبيق تدابير اشتراكية. لكننا سنطالبها باسم الملايين ، بالدفـاع عن المطالب الاقتصادية والسياسيـة الجوهرية للطبقة العاملة وجميع الكادحين . فهلموا لنتدارس سوية برنامجا عاما بهذه المطالب ، ولنحقق وحدة العمل هذه ، التي لا غنى للبروليتاريا عنها ، مـن اجل صد الهجوم الرجعي من جانب «الحكومة القومية» وزحف راس المـال والفاشية ، والاستعداد لحرب جديدة . ان رفاقنا الانكليز مستعدون على هـذا الاساس لخوض الانتخابات البرلمانية القادمة بالاشتراك مع منظمات حزب العمال ضد «الحكومة القومية» ، وكذلك ضد «لويد جورج» الذي يحاول على طريقتـه الخاصة ، ان يجر وراءه الجماهير ضد البورجوازية الانكليزية .

ومثل هذا الموقف صحيح من رفاقنا الانكليز . فهو سيسهل بناء الجبهـة الموحدة للنضال المشترك مع ملايين الكادحين من النقابات الانكليزية وحزب العمال.

ولا يجوز للشيوعيين الذين يتصدرون دائما الصفوف الطليعية للبروليتاريا المكافحة ، ويدلون الجماهير على الطريق الصائب الوحيد ـ طريق النضال الثوري للاطاحة بسلطان البورجوازية واقامة السلطة السوفييتية ، ان يحاولوا عند تحديد مهامهم السياسية الآنية ، طفر المراحل الضرورية للحركة الجماهيرية ، التي تتخلى الجماهير العاملة في مجراها عن أوهامها ، وتنتقل الى جانب الشيوعية ، مهتدية بتجربتها الخاصة .

ج ـ فرنسا

ان فرنسا بلد ، تضرب فيه الطبقة العاملة للبروليتاريا العالمية بأسرها ، كما هو معروف ، المثال على كيفية شن النضال ضد الفاشية . ويعطي الحزب الشيوعي الفرنسي قدوة لجميع فصائل الكومنترن ، على كيفية تطبيق تاكتيك الجبهة الموحدة ، اما العمال الاشتراكيون في فرنسا ، فيضربون المثال للعمال الاشتراكيين الديموقراطيين في بقية البلدان الرأسمالية ، على ما ينبغي ان يفعلوه الان للنضال ضد الفاشية .

وان المظاهرة المعادية للفاشية التي ضمت نصف مليون شخص في باريس، يوم الرابع عشر من تموز (يوليو) ، والمظاهرات الغفيرة في المدن الفرنسية الاخرى، لها اهمية هائلة .

فانها لم تعد مجرد حركة للجبهة العمالية الموحدة ، انما هي بداية جبهة شعبية شاملة واسعة ضد الفاشية في فرنسا . وحركة الجبهة الموحدة هذه ترفع ايمان الطبقة العاملة بقواها ، وتعزز لديها وعيها لدورها القيادي تجاه الفلاحين ، والبورجوازية الصغيرة والمثقفين في المدن . وهي توسع نفوذ الحزب الشيوعي في اوساط الطبقة العاملة ، وتزيد البروليتاريا قوة في النضال ضد الفاشية ، كما تعبىء في الوقت المناسب يقظة الجماهير حيال الخطر الفاشي . وستكون مثلا يحتذى لاندلاع النضال المعادي للفاشية فيبقية البلدان الراسمالية، وسيكون لها تأثير منعش على البروليتاريا الالمانية الرازحة تحت نير الدكتاتورية الفاشية .

ان النصر كبير ولا ريب ، غير انه لم يقرر مصير النضال ضد الفاشية بعد . ولا جدال في ان الاغلبية الساحقة للشعب الفرنسي هي ضد الفاشية . غير ان البورجوازية قادرة على قمع ارادة الشعب بواسطة القوات المسلحة . كما ان الحركة الفاشية تواصل النمو بحرية تامة وبدعم فعال من جانب رأس المال الاحتكاري ، وجهاز الدولة البورجوازية ، وهيئة اركان الجيش الفرسي، والزعماء الرجعيين للكنيسة الكاثوليكية ــ دعامة كل رجعية. وتجد كبرى المنظمات الفاشية «الصلبان النازية» تحت تصرفها ٣٠٠ الف رجل مسلح ، يشكل ٦٠ الفا من ضباط الاحتياط نواة لهم . ولديها مواقع قوية في البوليس والجندرمة ، وفي

الجيش والطيران وفي جهاز الدولة كله . وقد دلت انتخابات المجالس البلديـــة الاخيرة ، على ان القوى الثورية ليست هي وحدها التي تنمو في فرنسا ، بـــل وقوى الفاشية ايضا . واذا ما أفلحت الفاشية بالتغلغل على نطاق واسع فـــي اوساط الفلاحين ، وضمنت تأييد شطر من الجيش ، وحياد شطره الاخر ، فلن تستطيع الجماهير الكادحة الفرنسية منع الفاشست من المجيء الى السلطة . ولا تنسوا ، ايها الرفاق ، الضعف التنظيمي في الحركة العمالية الفرنسية ، الذي يسهل نجاح الزحف الفاشي . وليس للطبقة العاملة وجميع اعداء الفاشية فـــي فرنسا اي حق في الاكتفاء بالنتائج المحققة .

فما هي المهام التي تواجه الطبقة العاملة في فرنسا ؟.

اولا : ان تنجح بتشكيل جبهة موحدة لا في المضمار السياسي وحسب ، بل وفي المضمار الاقتصادي كذلك ، لتنظم النضال ضد زحف الراسمال ، ولتفـــل بعزمها مقاومة الجبهة الموحدة من جانب الهيئات العليا لاتحاد العمل الاصلاحي .

ثانيا : ان تنجح بتحقيق الوحدة النقابية في فرنسا : اتحادات نقابية موحدة على اساس النضال الطبقي .

ثالثا : ان تجر الى الحركة المعادية للفاشية الجماهير الفلاحيـــة الواسعة ، وجماهير البورجوازية الصغيرة ، وان تولي اهتماما خاصا لمطالبها الملحة ، فـــي برنامج الجبهة الشعبية المعادية للفاشية .

رابعا : ان تعزز تنظيميا ، وان توسع باضطراد الحركـة المندلعة ضـــد الفاشية عن طريق ايجاد هيئات جماهيرية لا حزبية منتخبة للجبهة الشعبية المعادية للفاشية، من شأنها ان تجتذب الى فلكها جماهير اوسع مما تضمه احزاب ومنظمات الكادحين في فرنسا الان .

خامسا : ان تفرض بضغطها ، حل المنظمات الفاشية ونزع سلاحها ، مثل منظمات المتآمرين على الجمهورية وعملاء الهتلرية في فرنسا .

سادسا : ان تفرض تطهير جهاز الدولة والجيش والبوليس من المتآمرين ، الذين يعدّون العدّة لانقلاب فاشي .

سابعا : ان تشن النضال ضد قادة الزمر الرجعية في الكنيسة الكاثوليكية بصفتها احدى الدعامات الكبرى للفاشية الفرنسية .

ثامنا : ان تربط الجيش بالحركة المعادية للفاشية ، عن طريق تشكيل لجان الدفاع عن الجمهورية والدستور في صفوفه ، ضد من يريدون استخدام الجيش لانقلاب حكومي معاد للدستور والا تسمح للقوى الرجعية في فرنســـا باحباط الاتفاقية الفرنسية السوفييتية ، التي تحمي قضية السلم ضد عدوان الفاشيـــة الالمانيـــة .

اما اذا ادت الحركة المعادية للفاشية في فرنسا الى اقامة حكومة ، ستشن نضالا حقيقيا ـ لا بالاقوال ، بل بالافعال ـ ضد الفاشية الفرنسية ، وستنفـــذ برنامج الجبهة الموحدة ضد الفاشية ، فسيكون الشيوعيون ، مع بقائهم اعداء الداء

لكل حكومة بورجوازية ، وانصارا للسلطة السوفييتية ، ولاسيما بوجه الخطر الفاشي المتعاظم ، على استعداد لدعم مثل هذه الحكومة .

الجبهة الموحدة والمنظمات الفاشية الجماهيرية

ايها الرفاق ! ان النضال من اجل بناء الجبهة الموحدة في البلدان التي تسلم فيها الفاشست مقاليد الحكم ، قد يكون اهم معضلة تواجهنا الان . وبديهي ان هذا النضال ، يجري هناك في ظروف أصعب ، مما في البلدان التي تتمتع الحركة العمالية فيها بالعلنية . ومع ذلك تتوفر في البلدان الفاشية كل الشروط لقيام جبهة شعبية فعلية معادية للفاشية في النضال ضد الدكتاتورية الفاشية ، نظرا لان العمال الاشتراكيين الديموقراطيين ، والكاثوليك ، وغيرهم ، في المانيا مثلا ، قادرون على ان يدركوا بمزيد من الوضوح ، ضرورة النضال الموحد مع الشيوعيين ، ضد الدكتاتورية الفاشية . فان الجماهير الواسعة للبورجوازية الصغيرة ، والفلاحين ، ممن ذاقوا الامرّين على يد الحكم الفاشي ، يحسون بمزيد من الاستياء والخيبة ، الامر الذي يسهل اجتذابهم الى الجبهة الشعبية ضد الفاشيـة .

غير ان المهمة الاساسية في البلدان الفاشية ، ولاسيما في المانيا وايطاليا ، حيث افلحت الفاشية بخلق قاعدة جماهيرية ، وبادخال العمال وغيرهم من الكادحين ، في منظماتها عنوة ، تتلخص في التوفيق البارع بين النضال ضد الدكتاتورية الفاشية ، وبين تقويضها من داخل المنظمات والهيئات الفاشية الجماهيرية . ومن الضروري ان تدرس وتستوعب وتطبق وفقا للظروف الملموسة في هذه البلدان ، الاساليب والخطوات الخاصة ، التي تساعدنا على تخريب القاعدة الجماهيرية للفاشية بأسرع وقت ، وتهيىء الظروف للاطاحة بالدكتاتورية الفاشية ، وعلينا ان نتعلم ذلك ، ونتقنه ونطبقه ، لا ان نكتفي بالهتاف «ليسقط هتلر» و«ليسقط موسوليني» . أجل ، يجب ان يدرس ، ويتقن ، ويطبق !

وتلك مهمة عسيرة ومعقدة . وهي تزداد صعوبة ، نظرا لان تجربتنا في النضال الناجح ضد الدكتاتورية الفاشية محدودة جدا . فان رفاقنا الايطاليين يناضلون في ظروف الدكتاتورية الفاشية منذ ١٣ عاما . لكنهم لم يتسن لهم حتى الان ان يشنوا نضالا جماهيريا حقا ضد الفاشية ، ولهذا السبب بالذات ، لم يستطيعوا ، مع الاسف ، ان يساعدوا بتجربتهم الايجابية بقية الاحزاب الشيوعية في البلدان الفاشية الا قليلا .

لقد اجترح الشيوعيون الالمان والايطاليون ، وشيوعيو البلدان الفاشية الاخرى ، وكذلك اعضاء الكومسومول ، معجزات في البطولة ، وقد تكبدوا ويتكبدون كل يوم ضحايا فادحة . واننا لنحني رؤوسنا جميعا امام هذه البطولة

وهذه الضحايا . غير ان البطولة وحدها لا تكفي . ولا بد ان تقترن هذه البطولة بعمل يومي وسط الجماهير ، وبنضال ملموس ضد الفاشية ، من شأنه ان يثمر هنا ابلغ النتائج ، وان من الخطر جدا ، ان تحل الرغبة في نضالنا محل الواقع. وعلينا ان ننطلق من الوقائع ، ومن الوضع الفعلي الملموس .

فما هو الواقع حاليا في المانيا مثلا ؟

ان الاستياء والخيبة من الدكتاتورية الفاشية ، يتعاظمان ، حتى انهما يتخذان شكل اضرابات جزئية وحملات اخرى . وبالرغم من كل المساعي ، لم تفلح الفاشية بان تجتذب الى جانبها سياسيا ، جماهير العمال الاساسية . وهي ما فتئت تخسر حتى انصارها السابقين . ولكن علينا مع ذلك ، ان نحسب حسابا لواقع ان هؤلاء العمال ، المقتنعين بامكانية اسقاط الدكتاتورية الفاشية والمستعدين منذ اليوم ، للنضال الفعال من اجل ذلك ، ما يزالون اقلية حتى الان — فهم ، نحن الشيوعيين ، والجزء الثوري من العمال الاشتراكيين الديموقراطيين . اما اغلبية الكادحين ، فلما تدرك بعد الامكانيات والسبل الواقعية الملموسة لاسقاط الدكتاتورية ، وما زالت في وضع الترقب . وعلينا ان نأخذ ذلك بعين الاعتبار ، عندما نرسم مهماتنا في النضال ضد الفاشية في المانيا ، وعندما نبحث، ونستوعب ونطبق الاساليب الخاصة لزعزعة واسقاط الدكتاتورية الفاشية في المانيا .

ولكي نسدد ضربة محسوسة للدكتاتورية الفاشية ، علينا ان نعرف اضعف موضع فيها . فأين هو موطن ضعف الدكتاتورية الفاشية ؟ انه في قاعدتها الاجتماعية . فهي متنافرة للغاية . انها تشمل مختلف الطبقات ، وشتى الفئات الاجتماعية . فقد نادت الفاشية بنفسها ، الممثل الوحيد لجميع الطبقات والفئات الاجتماعية : لرب المصنع والعامل ، للمليونير والبطال ، لصاحب الاطيان ، وللفلاح المعدم ، وللراسمالي الكبير وللحرفي . وهي تتظاهر بأنها تدافع عن مصالح جميع هذه الفئات ، ومصالح الامة طرا . لكن الفاشية بصفتها دكتاتورية البورجوازية الكبيرة ، لا بد ان تدخل في نزاع مع قاعدتها الاجتماعية الجماهيرية ، لاسيما وان التناقضات الطبقية بين طغمة طواغيت المال واغلبية الشعب الساحقة ، تتجلى في ظل الدكتاتورية الفاشية ، على اسطع وجه .

وليس بمقدورنا ان نقود الجماهير الى نضال حاسم لاسقاط الدكتاتورية الفاشية ما لم نجتذب العمال ، الذين زج بهم زجا ، او دخلوا عن جهل في المنظمات الفاشية ، الى ابسط الحركات للدفاع عن مصالحهم الاقتصادية والسياسية والثقافية . ولهذا بالذات ، ينبغي للشيوعيين ان يعملوا في هذه المنظمات كخيرة المدافعين عن المصالح اليومية لجمهرة اعضائها ، واضعين نصب اعينهم . انه بقدر ما تزداد مطالبة العمال ، المنتمين الى هذه المنظمات ، بحقوقهم، وبقدر ما يزداد الدفاع عن مصالحهم ، يصبح لا مناص من اصطدامهم بالدكتاتورية الفاشية .

وعلى اساس الدفاع عن المصالح الآنية ، الاكثر بساطة ، لجماهير الكادحين

في المدن والارياف ، باديء ذي بدء ، يصبح من السهل نسبيا ، ايجاد لغة مشتركة ، ليس مع اعداء الفاشية الواعين وحسب ، بل ومع اولئك الكادحين الذين ما زالوا يمالئون الفاشية ، لكنهم خابوا واستاءوا من سياستها ، فهم يصبون ويتحينون الفرص للتعبير عن استيائهم . وعلينا ان نفهم عموما ، ان كل تاكتيكنا في بلدان الفاشية ، يجب ان يتسم بطابع لا ينفر منه انصار الفاشية البسطاء ، ولا يلقى بهم في أحضانها كرة اخرى ، بل يعمق الهوة بين اقطاب الفاشية وجمهرة انصارها البسطاء المخدوعين والمنحدرين من الفئات الكادحة .

ولا داعي للارتباك ، ايها الرفاق ، اذا اعتبر الناس ، المجندون حول هذه المطالب اليومية ، انفسهم غير آبهين بالسياسة ، او حتى انصارا للفاشية . فالمهم ان نزج بهم في الحركة ، التي برغم انها لا تسير في البداية تحت شعارات الكفاح ضد الفاشية على المكشوف ، لكنها من الناحية الموضوعية ، حركة معادية للفاشية، تضع هذه الجماهير وجها لوجه مع الفاشية .

وقد علمتنا التجربة ، ان الرأي القائل باستحالة النشاط العلني او شبه العلني في بلدان الدكتاتورية الفاشية ، لراي خاطيء وضار . وان التمسك بهذا الراي ، يعني الوقوع في السلبية ، والتخلي عن العمل الجماهيري الفعلي عموما . حقا ان ايجاد اشكال وأساليب علنية او شبه علنية للنشاط في ظل الدكتاتورية الفاشية ، مهمة شاقة ومعقدة . لكن الطريق ، كما في امور كثيرة اخرى ، تدل عليه الحياة نفسها ومبادرة الجماهير بالذات ، اللتان ساقتا كثيرا من الامثلة ، وعلينا ان نعمم هذه الامثلة ونطبقها بصورة منظمة وهادفة .

ومن الضروري ان نضع ، بأقصى الحزم ، حدا للغض من شأن العمل في المنظمات الفاشية الجماهيرية . ففي ايطاليا ، وفي المانيا ، وفي العديد من البلدان الفاشية الاخرى اخفى رفاقنا سلبيتهم ، وحتى عزوفهم المباشر ، في اغلب الاحيان ، عن العمل في المنظمات الفاشية الجماهيرية ، وعارضوا العمل في هذه المنظمات . وهذه المعارضة الجامدة ، هي التي ادت ، في الواقع ، إلى ان يسير العمل سيرا واهيا للغاية ، ولم يتم احيانا ، لا في المنظمات الفاشية الجماهيرية ، ولا في المؤسسات .

على ان مما له اهمية خاصة ان يكون شيوعيو البلدان الفاشية ، حيثما تكون الجماهير . فلقد انتزعت الفاشية من العمال تنظيماتهم العلنية الخاصة . وفرضت عليهم تنظيمات فاشية ، والجماهير توجد هناك ـ قسرا او عن بعض الطواعية . وهذه التنظيمات الفاشية الجماهيرية ، يمكن ويجب ان تكون ميداننا العلني او شبه العلني ، حيث نختلط بالجماهير . ويمكن ويجب ان تكون نقطة انطلاق علنية او شبه علنية ، للدفاع عن مصالح الجماهير اليومية . وعلى الشيوعيين ، ان يسعوا ، بغية استغلال هذه الامكانيات ، الى احراز المناصب الانتخابية في التنظيمات الفاشية الجماهيرية ، لفرض الارتباط بالجماهير ، وان يتخلصوا مرة والى الابد ، من الاعتقاد القائل بان مثل هذا النشاط لا يليق بالعامل

الثوري ولا هو خليق به .

ويوجد في المانيا مثلا نظام ما يسمى «بوكلاء المصانع» . ولكن من قال ، اننا ينبغي ان نترك للفاشست احتكار هذه المنظمات ؟ وهل اننا عاجزون عن محاولة توحيد الشيوعيين ، والعمال الاشتراكيين الديموقراطيين والكاثوليكيين ، وبقية العمال المناوئين للفاشية في المؤسسات ، بحيث انهم يشطبون عند التصويت على قوائم «وكلاء المصانع» اسماء عملاء رب العمل ، ويسجلون بدلها مرشحين يتمتعون بثقة العمال ؟ وقد دلت التجربة ، على ان هذا امر ممكن .

اولا يشهد التطبيق كذلك ، باننا نستطيع ، بالتعاون مع الاشتراكيين الديموقراطيين وغيرهم من العمال المتذمرين ، ان نطالب «وكلاء المصانع» بالدفاع الفعلي عن مصالح العمال ؟

خذوا مثلا «جبهة العمل» في المانيا ، او النقابات الفاشية في ايطاليا . الا يمكن المطالبة بانتخاب ، لا تعيين مسؤولي «جبهة العمل» ، والاصرار ، على ان تكون الهيئات القيادية للتنظيمات المحلية مسؤولة امام اجتماعات اعضاء هذه التنظيمات . وان توجه المطالب بقرار منها ، الى رب العمل ، والى «وصي العمل» والهيئات العليا لجبهة العمل ؟ ان هذا ممكن بشرط ان يعمل المناضلون العماليون في «جبهة العمل» فعلا ويسعوا الى اشغال مناصب فيها .

كما ان اساليب العمل هذه ممكنة وضرورية في منظمات فاشية جماهيرية اخرى : في اتحاد الشبيبة الهتلرية . في المنظمات الرياضية ، وفي منظمات «كرافت دورخ فرويدة» في المانيا . وفي «دوبولافورو» في ايطاليا ، وفي التعاونيات وغيرها .

ايها الرفاق ، انكم تتذكرون الحكاية القديمة عن احتلال طروادة . لقد كانت طروادة تتحصن من الغزاة بجدران منيعة ، ولم يستطع الجيش المغير ، الذي تكبد خسائر غير قليلة ، ان يحرز النصر ، حتى تغلغل بواسطة حصان طروادة العتيد ، الى قلب العدو .

ويخيل لي ، اننا نحن ، المناضلين الثوريين ، لا ينبغي لنا ان نحرج من مثل هذا التاكتيك حيال عدونا الفاشي ، الذي يتحصن من الشعب بجدار حي من جلاديه (تصفيق) .

ومن لا يدرك الضرورة من تطبيق مثل هذا التاكتيك حيال الفاشية ، او يعتبره «مهينا» ، فانه قد يكون رفيقا رائعا ، لكنه ، اسمحوا لي ان اقول ، ثرثار وليس ثوريا ، ولن يكون بوسعه ان يقود الجماهير الى الاطاحة بالدكتاتورية الفاشية . (تصفيق) .

ان الحركة الجماهيرية للجبهة الموحدة ، التي تنشأ داخل وخارج المنظمات

الفاشية في المانيا وايطاليا وفي بلدان اخرى حيث تملك الفاشية قاعدة جماهيرية مبتدئة بالدفاع عن ابسط الاحتياجات ، ومغيرة اشكال وشعارات النضال ، تبعا لاتساع وتعاظم هـذا النضال ، ستكـون القوة ، التي ستقوض قلعة الدكتاتورية الفاشية ، التي تبدو الان للكثيرين ، قلعة لا تقهر .

الجبهة الموحدة في البلدان التي يشترك في حكوماتها الاشتراكيـون الديمقراطيـون

ان النضال من اجل قيام الجبهة الموحدة ، يثير معضلة هامة اخـرى ، هي معضلة الجبهة الموحدة في البلدان ، التي تقوم فيها حكومات اشتراكية ديموقراطية، بمساهمـــة بعض الاشتراكيين ، كما في الدانمـارك ، والنرويـج ، والسويـد ، وتشيكوسلوفاكيا ، وبلجيكا .

ومن المعروف موقفنا السلبي المطلق ازاء الحكومات الاشتراكية الديموقراطية، التي هي حكومات للمساومة مع البورجوازية ، لكننا بالرغم من ذلك ، لا ننظر الى وجود حكومة اشتراكية ديموقراطية ، او ائتلاف حكومي بـين الحزب الاشتراكي الديموقراطي والاحزاب البورجوازية كعقبة كأداء في طريق اقامة الجبهة الموحدة مع الاشتراكيين الديموقراطيين حول قضايا معينـة ، واننا نعتبر ، ان من الممكـن والضروري تماما حتى في هذه الحالة ، قيام الجبهة الموحدة للدفـاع عن المصالح الضرورية للشعب الشغيل في النضال ضد الفاشية . ومن الطبيعي ، ان القيادة الاشتراكية الديموقراطية ، في البلدان التي يشترك فيها ممثلو الاحزاب الاشتراكية في الحكم ، تبدي اشد المقاومة للجبهة البروليتارية الموحدة . وهذا امر مفهـوم تماما ، نظرا لانهم يريدون ان يظهروا للبورجوازية ، انهم هم القادرون ، افضـل وابرع من غيرهم ، على الامساك بعنان الجماهير العمالية المتذمرة ، وحمايتها مـن نفوذ الشيوعية . لكن واقـع ، ان الوزراء الاشتراكيين الديموقراطيين ، يتخذون مواقف سلبية من الجبهة البروليتارية الموحدة ، لا يمكن قطعا ان يبرر مثل هذا الوضع ، الذي لا يفعل فيه الشيوعيون اي شيء لاقامة الجبهة الموحدة للبروليتاريا.

فان رفاقنا في البلدان الاسكندنافية ، غالبا ما يسلكون سبيل المقاومة الاقل ، ويقتصرون على الفضح الدعائي للحكومة الاشتراكية الديموقراطية . وهذا خطا ، فان القادة ، هي ان الاشتراكيين الديموقراطيين في الدانمارك مثلا ، يشاركون في الحكومة منذ عشر سنوات ، ومنذ عشر سنوات ، يكرر الشيوعيون ان هذه حكومة بورجوازية ، راسمالية . ولا بد لنا ان نعتقد ، بان هذه الدعاية معروفة لدى العمال الدانماركيين . اما كـون اغلبيتهـم ما زالت تمنـــح اصواتها للحزب الاشتراكي

الديموقراطي الحكومي . فمعنى هذا ، ان التشهير الدعائي بالحكومة من جانب الشيوعيين ، ليس كافيا ، ولكنه لا يدل ، على ان هذه الالوف المؤلفة من العمال ، راضية على كل التدابير الحكومية للاشتراكيين الديموقراطيين . كلا ، انهم غير راضين ، على تقديم الحكومة الاشتراكية الديموقراطية ، المساعدة ، بحكم ما تسمى «باتفاقية الازمة» الى كبار الراسماليين والملاكين العقاريين ، وليس للعمال وفقراء الفلاحين . وهم غير راضين ، على مرسوم حكومة الاشتراكيين الديموقراطيين ، الصادر خلال كانون ثاني (يناير) عام ١٩٣٣ ، والذي انتزع من العمال حق الاضراب، وهم مستاؤون من اعداد القيادة الاشتراكية الديموقراطية ، تعديلا انتخابيا منافيا للديموقراطية (يقلص عدد النواب بدرجة كبيرة) . وهيهات ان اخطىء ، ايها الرفاق، اذا ما قلت ، ان ٩٩٪ من عمال الدانمارك لا يستحسنون مثل هذه الخطوات السياسية من جانب القادة والوزراء الاشتراكيين الديموقراطيين .

افلا يستطيع الشيوعيون دعوة المنظمات النقابية والاشتراكية الديموقراطية في الدانمارك لمناقشة تلك او غيرها من المسائل الملحة ، وابداء رايهم ، والنضال معها سوية من اجل جبهة بروليتارية موحدة لتحقيق المطالب العمالية ؟ ففي تشرين اول (اكتوبر) الماضي ، عندما توجه رفاقنا الدانماركيين بنداء الى النقابات لمقاومة خفض المعونات للعاطلين ، ومن اجل حقوق النقابات الديموقراطية ، انضمت حوالي مائة منظمة نقابية محلية ، الى الجبهة الموحدة .

اما في السويد ، فان حكومة الاشتراكيين الديموقراطيين تأتي الى السلطة للمرة الثالثة ، غير ان الشيوعيين السويديين ، رفضوا عمليا تطبيق تاكتيك الجبهة الموحدة لفترة طويلة . فلماذا ؟ هل انهم ضد الجبهة الموحدة ؟ كلا ، بالطبع ، فقد كانوا الى جانب الجبهة مبدئيا ، الى جانب الجبهة عموما ، غير انهم لم يدركوا ، باية مناسبة . وحول اي القضايا ، وللدفاع عن اية مطاليب يمكن اقامة الجبهة البروليتارية الموحدة بنجاح ، وبما يباشرون ، وكيف يباشرون . وقبل تشكيل حكومة الاشتراكيين الديموقراطيين ببضعة شهور وخلال الحملة الانتخابية ، خرج الحزب الاشتراكي الديموقراطي بمنهاج ، يتضمن طائفة من المطاليب التي يمكن ان تدرج في برنامج الجبهة البروليتارية الموحدة . مثلا شعارات «ضد المكوس» ، «ضد العسكرة» و «لوضع حد للمماطلة في مسألة الضمان ضد البطالة» ، «وضمان تقاعدات كافية للشيوخ» و «عدم السماح بوجود منظمات مثل «مونك كوربس (١)» و«يسقط التشريع الطبقي الذي تطالب به الاحزاب البورجوازية ، ضد النقابات المهنية» .

وقد صوت اكثر من مليون شغيل في السويد خلال عام ١٩٣٢ ، الى جانب المطالب التي رفعها الاشتراكيون الديموقراطيون ، ورحبوا خلال عام ١٩٣٣ بتشكيل الحكومة الاشتراكية الديموقراطية ، آملين بتحقيق هذه المطالب . فهل كان بالامكان

---

(١) منظمة فاشية في السويد كانت موجودة تمارس عملها علنا

ان يوجد وضع اكثر ملاءمة ، واكثر انسجاما مع رغبة الجماهير العمالية ، من نداء يوجهه الحزب الشيوعي الى المنظمات الاشتراكية الديموقراطية والنقابية ، للقيام باعمال مشتركة لتنفيذ هذه المطالب التي رفعها الحزب الاشتراكي الديموقراطي ؟

فلو تسنت فعلا ، لتنفيذ مطالب الاشتراكيين الديموقراطيين هذه الامكانية لتعبئة الجماهير الواسعة ، ولرص صفوف منظمات العمال الاشتراكيين الديموقراطيين والشيوعيين في جبهة موحدة ، لما خامرنا الشك في ان الطبقة العاملة في السويد كانت ستربح من ذلك. ولما ابتهج الوزراء الاشتراكيون الديموقراطيون كثيرا بذلك ولما حدث في كل الاحوال ، ما حدث الان ، عندما زادت الحكومة بعض المكوس بدل الغائها ، وزادت الميزانية العسكرية ، بدل تقليصها ، وبدل احباط كل تشريع ، موجه ضد النقابات العمالية ، قدمت هي نفسها مشروع قانون مماثل الى البرلمان . لقد شن الحزب الشيوعي السويدي حملة موفقة حقا ، بروح الجبهة البروليتارية الموحدة ، وحقق ما جعل حتى كتلة الاشتراكيين الديموقراطيين البرلمانية تشعر في غاية الامر ، انها مضطرة الى التصويت ضد مشروع القانون الحكومي — فأحبط في الوقت الراهن .

اما الشيوعيون النرويجيون فقد احسنوا صنعا ، حينما دعوا في الاول من ايار (مايو) منظمات حزب العمال الى تظاهرات مشتركة ، وقد حملت مطالب ، كانت تتفق اجمالا ، ومطالب المنهاج الانتخابي لحزب العمال النرويجي . وعلى الرغم من ان هذه الخطوة الموجهة نحو الجبهة الموحدة ، كانت ضعيفة التحضير ، وان قيادة حزب العمال النرويجي وقفت ضدها ، فقد جرت تظاهرات الجبهة الموحدة في ثلاثين منطقة .

كان كثير من الشيوعيين يخشون قبلا ، انهم سيقترفون عملا انتهازيا ، اذا لم يعارضوا كل مطلب جزئي من مطالب الاشتراكيين الديموقراطيين بمطالبهم الخاصة التي تزيده من حيث الجذرية اضعافا . وقد كان ذلك موقفا ساذجا . فاذا ما قدم الاشتراكيون الديمقراطيون ، على سبيل المثال ، طلبا بحل المنظمات الفاشية، فلا داعي لان نضيف : «والغاء البوليس الحكومي» (لان مثل هذا الطلب يصح في مقام اخر) ، وعلينا ان نقول للعمال الاشتراكيين الديموقراطيين : اننا على استعداد لقبول مطلب حزبكم هذا ، كمطلب من مطالب الجبهة البروليتارية الموحدة وللنضال من اجل تحقيقه حتى النهاية . فهلموا نسير سوية .

وفي تشيكوسلوفاكيا ايضا ، يمكن وينبغي ان تستغل بعض المطالب التي يقدمها الحزب الاشتراكي الديموقراطي التشيكي والالماني ، لبناء الجبهة الموحدة للطبقة العاملة . فعندما يريد الاشتراكيون الديموقراطيون مثلا ، تامين العمل للعاطلين ، او الغاء القوانين التي تحد من ادارة البلديات الذاتية ، كما جرى ذلك منذ عام ١٩٢٧ — فينبغي تحديد هذه المطالب مع القواعد ، وفي كل منطقة ، وان يشن بالتضامن مع المنظمات الاشتراكية الديموقراطية ، النضال من اجل تحقيقها . او اذا ما نددت الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية بالعناصر الفاشية في جهاز

الدولة «على وجه العموم» فعلينا ان نشخص في كل منطقة دعاة الفاشية بشكل ملموس ، وان نشن النضال مع العمال الاشتراكيين الديموقراطيين ، من اجل تنحيتهم من مؤسسات الدولة .

وفي بلجيكا ، دخل زعماء الحزب الاشتراكي الديموقراطي وعلى راسهم «اميل فاندرفيلد» في عداد الحكومة الائتلافية . وقد حققوا هذا «النصر» بفضل حملتهم الطويلة العريضة من اجل مطلبين رئيسيين : ١ ـ الغاء المراسيم الاستثنائية، ٢ ـ تحقيق مشروع «دي مان» (١) . والمسألة الاولى هامة جدا . فقد اصدرت الحكومة السابقة ١٥٠ مرسوما استثنائيا رجعيا ، وقع عبؤها الثقيل على كاهل الشعب الكادح . وكان يعتقد انها ستلغى فورا . وقد طالب الحزب الاشتراكي بذلك . ولكن هل الغت الحكومة الجديدة الكثير من هذه المراسيم ؟ انها لم تلغ ولا مرسوما واحدا ، انما خففت بعضها ، لتقدم نوعا من «الرشوة» الرمزية ، عن الوعود السخية التي قطعها الزعماء الاشتراكيون (على غرار ذلك «الدولار الرمزي» الذي اقترحت على اميركا بعض الدول الاوروبية تسديدا لديونها الحربية التي تبلغ الملايين) .

اما بقدر ما يتعلق الامر بتحقيق مشروع «دي مان» الموعود ، فقد حدث في الامر انعطاف لا تتوقعه الجماهيرية الاشتراكية الديموقراطية ، اذ صرح الوزراء الاشتراكيون بان من الضروري بادىء الامر ، تذليل الازمة الاقتصادية ، والاقتصار على تطبيق الاجزاء التي تحسن وضع الراسماليين الصناعيين والبنوك، من مشروع «دي مان» ومن ثم سيكون بالامكان تنفيذ التدابير الهادفة الى تخفيف وضع العمال . لكن الى متى سينتظر العمال حصتهم من «الرخاء» الذي يعدهم به مشروع «دي مان»؟ لقد اغدق على اصحاب البنوك البلجيكيين «بفيث من الذهب الخالص»، فقد تم خفض الفرنك البلجيكي بمقدار ٢٨٪ ، فأفلح الصيارفة بان يغنموا عن طريق هذا الاجراء اربعة مليارات ونصف مليار فرنك على حساب ذوي الاجور ، وعلى حساب مدخرات الناس البسطاء . لكن كيف وفق بين ذلك وبين مضمون مشروع «دي مان» ؟ اذا صدقنا نص المشروع ، فهو يعد «بملاحقة اختلاسات الاحتكارات ومناورات المضاربين» .

استغلال ومضاربات الاحتكارات

وعلى اساس مشروع «دي مان» عينت الحكومة لجنة للرقابة على البنوك ،

---

(١) (دي مان) هو احد القادة الاشتراكيين الديمقراطيين الذي وضع برنامجا عام ١٩٣٣ يقضي بالتحول الى الاشتراكية بطريقة سلمية واصبح هذا البرنامج خطة يسير عليها الحزب الديمقراطي الاشتراكي البلجيكي .

لكن اللجنة مؤلفة من أصحاب البنوك الذين يقومون الان بمراقبة انفسهم بغبطة وانشراح !

ويعد مشروع «دي مان» بطائفة من الوعود المعسولة الاخرى : « تقليص وقت العمل» ، «تسوية اجور العمل» ، «حد ادنى للاجور» ، «تنظيم نظام شامل للضمان الاجتماعي» ، «توسيع اسباب الراحة بنتيجة البناء السكني» وهلمجرا . وكل هذه ، مطالب يمكن ان نساندها نحن الشيوعيين ، وعلينا ان نتجه الى المنظمات العمالية في بلجيكا قائلين لها : لقد نال الرأسماليون ما يكفي ويزيد بكثير . فلنطالب الوزراء الاشتراكيين الديموقراطيين ، بتنفيذ وعودهم التي قطعوها للعمال . ولنرص صفوفنا في جبهة موحدة لحماية مصالحنا بنجاح . واننا نساند ، ايها الوزير فانديرفيلد ، المطالب العمالية الواردة في برنامجكم ، لكننا نعلن جهارا : اننا نعتبر هذه المطالب جدية ، واننا نريد افعالا ، لا اقوالا جوفاء ، ولذلك فاننا نوحد مئات الالوف من العمال في النضال من اجل هذه المطالب .

وعلى هذا المنوال ، سيكون بوسع الشيوعيين في البلدان التي تسيرها حكومات اشتراكية ديموقراطية ، ان ينجحوا باستخدامهم بعض المطالب المدرجة في برامج الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية نفسها ، والوعود الانتخابية كمنطلق لتحقيق الاعمال المشتركة مع المنظمات والاحزاب الاشتراكية الديموقراطية ، في شن حملة بعد ذلك ، لاقامة الجبهة الموحدة ، على اساس العديد من المطالب الجماهيرية الاخرى ، في النضال ضد زحف الرأسمال ، ضد الفاشية ، وخطر الحرب .

ولا بد ان نأخذ بنظر الاعتبار ، بعدئذ ، ان الاعمال المشتركة مع الاحزاب والمنظمات الاشتراكية الديموقراطية ، اذا كانت تتطلب من الشيوعيين على العموم ، توجيه نقد جدي وجيه الى الاشتراكية الديموقراطية ، كايديولوجية وتاكتيك للتعاون الطبقي مع البورجوازية ، وايضاحا رفاقيا لا يكل لبرنامج وشعارات الشيوعية وسط العمال الاشتراكيين الديموقراطيين ، فان لهذه المهمة خطورتها الخاصة في النضال من اجل الجبهة الموحدة ولاسيما في البلدان التي تقوم فيها حكومات اشتراكية ديمقراطية .

النضال من اجل الوحدة النقابية

ايها الرفاق ! ان تحقيق الوحدة النقابية على النطاق الوطني والعالمي ، ينبغي ان يكون اهم مرحلة في تعزيز الجبهة الموحدة .

فمن المعروف ان التاكتيك الانشقاقي للقادة الاصلاحيين يطبق في النقابات المهنية ببالغ الاصرار . ولا غرو في ذلك : فان سياستهم في التعاون الطبقي مع البورجوازية بلغت هنا غايتها العملية في نطاق المؤسسات مباشرة ، وعلى حساب

المصالح الحيوية لجماهير العمال . وقد اثار هذا ، بالطبع ، نقدا ومقاومة عنيفين لهذا التاكتيك ، في اوساط العمال الثوريين المنضوين تحت لواء الشيوعيين . ولهذا السبب احتدم في النقابات اعنف صراع بين الشيوعية والاصلاحية .

وكلما ازداد الوضع في بلدان الراسمالية تعقيدا وصعوبة ، ازدادت سياسة زعماء نقابات امستردام رجعية ، وازدادت تدابيرهم عدوانية حيال سائر العناصر المعارضة داخل النقابات . حتى ان قيام الدكتاتورية الفاشية في المانيا ، وزحف الراسمال الداهم في جميع البلدان الراسمالية لم يخفف من غلواء هذه العدوانية. او ليس مما له دلالته ، ان تصدر خلال عام ١٩٣٣ وحده ، في انكلترا وهولندا وبلجيكا والسويد ، احط التعميمات الادارية لطرد الشيوعيين والعمال الثوريين من النقابات ؟ كما ظهر في انكلترا عام ١٩٣٣ تعميم يمنع الفروع المحلية للنقابات من الدخول في المنظمات المعادية للحرب وغيرها من المنظمات الثورية . وقد كان ذلك توطئة «للتعميم الاسود» الشهير ، الذي اصدره المجلس العام للنقابات الانكليزية ، والذي اعتبر خارج القانون ، كل نقابة تسمح في صفوفها لمندوبين مرتبطين بشكل او آخر بالمنظمات الشيوعية . وماذا نقول عن قيادة النقابات الالمانية ، التي فرضت عقوبات لا مثيل لها على العناصر الثورية في النقابات !

بيد ان تكتيكنا لا ينبغي ان ينطلق من سلوك بعض الزعماء النقابيين في امستردام ، مهما خلق هذا السلوك من صعوبات للنضال الطبقي ، بل ينبغي الانطلاق قبل كل شيء ، من واقع اين توجد الجماهير العمالية . وعلينا ان نعلن هنا جهارا : ان العمل في النقابات هو المسألة الاكثر الحاحا لجميع الاحزاب الشيوعية . وعلينا ان نحقق انعطافا فعليا في العمل النقابي ، بوضعنا مسألة النضال من اجل الوحدة النقابية في مركز الصدارة .

منذ عشر سنوات قال الرفيق ستالين : «اين هو سر قوة الاشتراكية الديموقراطية في الغرب ؟ انه في استنادها الى النقابات المهنية . واين هو سر ضعف الاحزاب الشيوعية في الغرب ؟ انه في كونها غير مرتبطة ، وان بعض العناصر في هذه الاحزاب الشيوعية ، لا تريد الارتباط بالنقابات . ولذلك فان المهمة الاساسية للاحزاب الشيوعية في الغرب تتلخص ، في اللحظة الراهنة ، في ان تشن حملة من اجل الوحدة النقابية وتصل بها حتى نهايتها ، وان يدخل النقابات جميع الشيوعيين بلا استثناء ، لينجزوا هناك عملا منظما وصبورا ، لرص صفوف الطبقة العاملة ضد راس المال ، والوصول بهذه الطريقة الى حد ، تستطيع معه الاحزاب الشيوعية الاستناد الى النقابات .

فهل نفذت توجيهات الرفيق ستالين هذه ؟ كلا ، ايها الرفاق ، انها لم تنفذ .

لقد قرر كثير من رفاقنا اغفال هذه المهمة الشاقة ، متجاهلين تعلق العمال بالنقابات بامستردام ، ومتهيبين امام صعوبات العمل داخلها . وكانوا يتحدثون على الدوام عن الازمة التنظيمية في النقابات بامستردام ، وعن تهرب العمال من النقابات ، ولكنهم لم يلاحظوا ، ان النقابات بدأت بالنمو من جديد ، بعد تدهورها

المعروف في بداية الازمة الاقتصادية العالمية . وكانت خاصية الحركة النقابية تتلخص بالذات ، في ان هجوم البورجوازية على الحقوق النقابية ، ومحاولة تكتيل النقابات في العديد من البلدان (بولونيا والمجر وغيرهما) ، وتقليص الضمان الاجتماعي ، ونهب اجور العمل ، جعلت العمال رغم غياب المقاومة من جانب الزعماء النقابيين الاصلاحيين ، يرصون صفوفهم بمزيد من القوة حول النقابات ، لان العمال ارادوا ويريدون ان يروا في النقابة المدافع المستميت عن مصالحهم الطبقية الملحة . وبذلك يمكن تفسير ، ان اغلبية نقابات امستردام والنقابات في فرنسا وتشيكوسلوفاكيا وبلجيكا والسويد وهولندا وسويسرا وغيرها ، قد نمت كميا في السنوات الاخيرة . كما زاد اتحاد العمل الاميركي عدد اعضائه في السنتين الأخيرتين زيادة ملموسة .

ولو كان رفاقنا الالمان قد ادركوا مهمة العمل النقابي الذي طالما حدثهم عنها الرفيق تيلمان مرات عديدة ، ادراكا افضل ، لكان وضع النقابات احسن مما كان عليه في الواقع اثناء قيام الدكتاتورية الفاشية . ففي نحو نهاية عام ١٩٣٢ لم يدخل سوى ١٠٪ من اعضاء الحزب الى النقابات الحرة . وذلك بالرغم من ان الشيوعيين كانوا ، بعد مؤتمر الكومنترن السادس ، على راس العديد من الاضرابات. وكان رفاقنا يكتبون في الصحافة عن ضرورة تكريس ٩٠٪ من قوانا للعمل في النقابات ، اما في التطبيق فكان كل شيء يتركز حول المعارضة النقابية الثورية التي كانت تسعى عمليا الى الحلول محل النقابات . وماذا بعد ما اخذ هتلر السلطة ؟ في غضون سنتين ، قاوم كثير من رفاقنا ، باصرار وانتظام ، شعار النضال الصائب من اجل اعادة النقابات الحرة .

وبوسعي ان اورد امثلة مشابهة من جميع البلدان الراسمالية الاخرى تقريبا .

غير اننا احرزنا النجاح الاول في النضال من اجل وحدة الحركة النقابية في البلدان الاوروبية . واعني في النمسا الصغيرة ، وضع بمبادرة الحزب الشيوعي ، اساس للحركة النقابية السرية . فبعد معارك شباط (فبراير) ، القى الاشتراكيون الديموقراطيون وعلى رأسهم اوتوباور بشعار «ان النقابات الحرة لا يمكن اعادتها الا بعد سقوط الفاشية» ، اما الشيوعيون فبادروا الى اعادة النقابات . وكانت كل مرحلة من مراحل هذا العمل من الجبهة الموحدة الحية للبروليتاريا النمسوية . ولقد كان النجاح في اعادة النقابات الحرة في ظروف العمل السري هزيمة جدية للفاشية . وقد وجد الاشتراكيون الديموقراطيون انفسهم في مفترق الطريق . فحاول شطر منهم اجراء مفاوضات مع الحكومة ، وشكل الآخرون ، بعد ان رأوا نجاحاتنا ، نقاباتهم السرية الخاصة الموازية لنقاباتنا . غير ان الطريق كان واحدا لا غير : اما الاستسلام امام الفاشية ، او النضال المشترك ضد الفاشية ومن اجل وحدة النقابات ، وتحت ضغط الجماهير قررت القيادة المترددة للنقابات الموازية ، التي اسسها زعماء نقابيون سابقون ، ان تحقق الوحدة . اما اساس هذه الوحدة فهو النضال بلا هوادة ضد زحف الراسمال والفاشية ، وضمان الديموقراطية في النقابات . واننا نرحب ببادرة توحيد النقابات هذه ، فهي اول بادرة مماثلة بعد

الانشقاق الشكلي للحركة النقابية في اعقاب الحرب ، ولذا تكتسب اهمية دولية .

اما الجبهة الموحدة في فرنسا ، فهي تعتبر بلا ريب ، دفعة هائلة نحو تحقيق الوحدة النقابية . وقد عرقل قادة الاتحاد العام للعمل ، وما يزالون يعرقلون بكل الوسائل تحقيق الوحدة ، معارضين المسألة الرئيسية لسياسة النقابات الطبقية بمسائل ، ذات اهمية فرعية ثانوية ، او شكلية . وكان تأسيس النقابات الموحدة على النطاق المحلي ، التي شملت ، بين عمال السكك الحديد مثلا ، قرابة ثلاثة ارباع تعداد كلا النقابتين ، نجاحا لا ريب فيه ، للنضال من اجل وحدة النقابات .

اننا نقف بحزم الى جانب اعادة الوحدة النقابية في كل بلد وعلى النطاق الدولي .

واننا مع النقابة الموحدة في كل فرع انتاجي . ونحن مع الاتحاد الواحد للنقابات في كل بلد .

اننا مع الاتحاد الدولي الموحد للنقابات حسب فروع الانتاج .

واننا مع الاممية الموحدة للنقابات على اساس النضال الطبقي .

اننا مع النقابات الطبقية الموحدة ، باعتبارها من اهم دعائم الطبقة العاملة في نضالها ضد زحف الراسمال والفاشية . ومع ذلك فاننا لا نضع لتوحيد المنظمات النقابية سوى شرط واحد : النضال ضد رأس المال ، النضال ضد الفاشية ومن اجل الديموقراطية النقابية الداخلية .

ان الزمن لا ينتظر . وان مسألة وحدة الحركة النقابية ، سواء على النطاق الوطني او العالمي ، هي بالنسبة لنا ، مسألة الرسالة العظمى لتوحيد طبقتنا في منظمات نقابية جبارة ضد عدونا الطبقي . واننا نرحب بنداء الاممية الحمراء للنقابات ، الى اممية امستردام – في عشية اول ايار من هذا العام – الذي تضمن اقتراحا لمناقشة مسألة شروط واساليب وطرق واشكال توحيد الحركة النقابية العالمية . وقد رفض قادة اممية امستردام هذا الاقتراح ، ملوحين بالحجة البالية، القائلة بان وحدة الحركة النقابية لا يمكن تحقيقها الا في نطاق اممية امستردام ، التي ، لا بد ان نقول هنا ، انها لا تضم سوى منظمات نقابية لقسم واحد من البلدان الاوروبية .

غير ان على الشيوعيين ، اثناء عملهم في النقابات ، ان يواصلوا النضال بلا كلل من اجل وحدة الحركة النقابية . وعلى النقابات الحمراء والاممية النقابية (البروفنترن) ان تبذل كل ما بوسعها ، لتقريب ساعة تحقيق النضال المشترك لجميع النقابات ضد زحف الراسمال والفاشية ، ولاقامة وحدة الحركة النقابية ، بالرغم من المقاومة العنيدة من جانب القادة الرجعيين لاممية امستردام . وعلينا ان نقدم للنقابات الحمراء و (البروفنترن) دعمنا الشامل في هذا الاتجاه .

واننا نوصي في البلدان التي تقوم فيها نقابات حمراء غير كبيرة ، بان تناضل للدخول في النقابات الاصلاحية الكبيرة ، مع المطالبة بحرية الدفاع عن آرائها ، وبارجاع المفصولين ، اما فى البلدان التي تقوم فيها نقابات حمراء ونقابات اصلاحية

كبيرة ، فنوصي بالنضال من اجل عقد مؤتمر للتوحيد على اساس منهاج النضال ضد زحف الراسمال وضمان الديموقراطية النقابية .

وينبغي القول بشكل قاطع تماما ، بان العامل الشيوعي ، والعامل الثوري ، الذي لا ينتمي الى النقابة الجماهيرية في مهنته ، والذي لا يناضل من اجل تحويل النقابة الاصلاحية الى منظمة نقابية طبقية حقا ، والذي لا يناضل من اجل وحدة الحركة النقابية على اساس الصراع الطبقي ، فان هذا العامل الشيوعي ، وهذا العامل الثوري لا ينهض بواجبه البروليتاري الاسمى .

الجبهة الموحدة والشبيبة

لقد اوضحت ، ايها الرفاق ، مدى الدور الذي يلعبه ، في الانتصار على الفاشية ، اجتذاب الشبيبة المنتمية الى المنظمات الفاشية . وعلينا ان نعلن بصراحة، في معرض الحديث عن الشبيبة : لقد تجاهلنا مهمتنا لاجتذاب جماهير الشبيبة الكادحة الى النضال ضد زحف الراسمال ، وضد الفاشية وخطر الحرب ، وتجاهلنا هذه المهمة في العديد من البلدان . وقد قللنا من اهمية الشبيبة البالغة ، في النضال ضد الفاشية ، ولم نحسب في كل الاحوال ، حسابا لمصالح الشبيبة الاقتصادية والسياسية والثقافية الخاصة . ونحن كذلك لم نعر اهتماما للتربية الثورية للشبيبة .

اما الفاشية فانها تستغل كل ذلك استغلالا حاذقا ، اذ زجت في بعض البلدان، ولا سيما في المانيا ، شطرا كبيرا من الشبيبة ، في طريق معاداة البروليتاريا . وينبغي ان نأخذ بعين الاعتبار ، ان الفاشية لا تجتذب الشبيبة بمجرد الرومانسية العسكرية . انما هي تطعم وتكسو قسما من الشبيبة في صفوف الكتائب ، وتعطي عملا للبعض ، وحتى انها تؤسس ما تسمى بالجمعيات الثقافية للشبيبة ، ساعية من وراء ذلك الى ان توحي للشبيبة بانها تريد فعلا ، ويمكنها ان تطعم ، وتكسو وتعلم جماهير الشبيبة الكادحة ، وتؤمن لها العمل .

اما اتحادات شبيبتنا الشيوعية في العديد من البلدان الراسمالية ، فما زالت انعزالية في جلها ، منعزلة عن الجماهير . ويتلخص ضعفها الاساسي ، في انها ما تزال تسعى لمحاكاة الاحزاب الشيوعية ، واساليب واشكال عملها ، متناسية ، ان الكومسومول ، ليس حزبا شيوعيا للشبيبة . وهي لا تدخل في حسابها بما يكفي ، واقع ان هذه منظمة لها مهامها الخاصة المتميزة . وان اساليبها واشكالها في العمل والتربية ، وفي النضال ، ينبغي ان تكيف وفقا لمستوى الشبيبة واحتياجاتها الملموسة .

لقد ضربت شبيبتنا الشيوعية امثلة لا تنسى على البطولة في النضال ضد التعسف الفاشي والرجعية البورجوازية . غير انها كان يعوزها مزيد من المقدرة لان

تكسب بصورة ملموسة وعنيدة ، جماهير الشبيبة الواقعة تحت تأثير معاد . ويشهد ذلك على العزوف الذي لم يذلل حتى الان ، عن العمل في المنظمات الفاشية الجماهيرية ، وعلى الموقف حيال الشبيبة الاشتراكية وغيرها من الشبيبة غير الشيوعية ، ذلك الموقف الذي لم يكن صائبا على الدوام .

ان الاحزاب الشيوعية ، التي يجب عليها ان تقود وتساعد الكومسومول في اعماله ، تتحمل المسؤولية في كل ذلك ، لان معضلة الشبيبة ليست معضلة الكومسومول وحده . انها معضلة الحركة الشيوعية باسرها . وعلى الاحزاب الشيوعية ومنظمات الكومسومول ، ان تخطو ، في النضال من اجل الشبيبة ، خطوة حاسمة الى امام . اما المهمة الرئيسية لحركة الشبيبة الشيوعية في البلدان الراسمالية ، فهي السير بشجاعة في طريق تحقيق الجبهة الموحدة ، وفي طريق تنظيم وتوحيد الجيل الفتي الكادح . اما مدى التأثير الهائل الذي مارسته على حركة الشبيبة الثورية ، حتى الخطوات الاولى في هذا الاتجاه ، فتدل عليه امثلة فرنسا والولايات المتحدة في الآونة الاخيرة . فقد كان كافيا مجرد الشروع ، بتحقيق الجبهة الموحدة في هذين البلدين ، للحصول فورا على نتائج هامة . وبهذا الصدد ، يجدر بنا التنويه في مضمار الجبهة الدولية الموحدة ، بالمبادرة الناجحة التي قام بها اعداء الفاشية في باريس ، واللجنة المعادية للحرب ، لتحقيق التعاون الدولي بين جميع منظمات الشبيبة المعادية للفاشية .

وتدل هذه الخطوات الناجحة في المسيرة نحو جبهة الشبيبة الموحدة في الآونة الاخيرة ، على ان اشكال جبهة الشبيبة الموحدة لا يجوز تطبيقها اعتباطا ، ولا ينبغي ان تكون على غرار ما تمارسه الاحزاب الشيوعية . وعلى اتحادات الشبيبة الشيوعية ان تسعى بكل وسيلة الى توحيد جميع المنظمات الجماهيرية للشبيبة غير الفاشية ، بما في ذلك اقامة مختلف التنظيمات العامة للنضال ضد الفاشية ، ضد الجور الفادح ، وعسكرة الشبيبة ، ومن اجل الحقوق الاقتصادية والثقافية للجيل الفتي ، والى ان تجتذب الشبيبة الى جانب الجبهة المعادية للفاشية ، حيثما كانت : في المؤسسات ، في معسكرات العمل الاجباري ، في مكاتب العمل ، في الثكنات والاسطول ، في المدارس او في مختلف التنظيمات الرياضية والثقافية وسواها .

وعلى شبيبتنا الشيوعية ان تناضل ، اثناء تطويرها الكومسومول وتعزيزه ، من اجل تأسيس جمعيات لاتحادات الشبيبة الشيوعية والاشتراكية على اساس النضال الطبقي ضد الفاشية .

الجبهة الموحدة للنساء

ايها الرفاق ، ان الغض من شان العمل بين النساء الكادحات ، وسط النساء العاملات والعاطلات ، والفلاحات وربات البيوت ، ليس اقل منه ضررا في مضمار العمل وسط الشبيبة . ولكن الفاشية اذا كانت اشد اجحافا للشباب ، فانها تنسى

المراة بصلف وعنت مفرطين ، متلاعبة بارهف احاسيس الام ، وربة البيت ، والعاملة المستوحدة ، غير الواثقة بيوم الغد . فان الفاشية التي تنتحل دور المحسن ، تلقي بالفتات الى الاسر الجائعة ، محاولة بذلك كتم استغاثات البؤس الذي اشاعته في صفوف النساء الكادحات خاصة ، والعبودية الشنعاء التي جلبتها اليهن الفاشية . فهي تطرد العاملات من الانتاج ، وتبعث بالفتيات المحتاجات الى القرى عنوة ، قاضية عليهن بان يصبحن خادمات بلا اجر في بيوت الاغنياء وملاكي الارض . كما ان الفاشية التي تعد المراة بعش الزوجية السعيد ، تدفع بالمراة ، اكثر من اي نظام رأسمالي آخر ، الى طريق البغاء .

وعلى الشيوعيين ، ولا سيما شيوعياتنا ، ان يتذكروا ، ان من غير الممكن شن النضال الناجح ضد الفاشية والحرب . ما لم نجتذب جماهير النساء الواسعة ، الى هذا النضال . ولا يمكن بلوغ ذلك بمجرد التحريض ، بل علينا ان نجد ، آخذين بعين الاعتبار كل وضع ملموس ، امكانية تعبئة جماهير النساء الكادحات حول مطالبهن ومصالحهن الآنية ، في النضال ضد الغلاء ، ومن اجل زيادة الاجور على اساس مبدأ «للعمل المتساوي اجر متساو» وضد التسريحات الجماعية ، وضد كل بادرة من بوادر عدم المساواة ازاء المراة ، وضد النير الفاشي .

وعلينا ، اثناء العمل من اجل اجتذاب النساء الكادحات الى الحركة الثورية ، الا نخشى من ان نشكل لهذا الغرض ، تنظيمات نسائية مستقلة ، حيثما قضت الحاجة . اما الوهم القائل ، بان من الضروري ، للنضال ضد «الانفصالية النسوية» في الحركة العمالية ، ان نصفي التنظيمات النسوية السائرة تحت قيادة الاحزاب الشيوعية في البلدان الراسمالية ، فانه وهم طالما انزل اضرارا فادحة بقضيتنا .

ومن الضروري ايجاد ابسط الاشكال واكثرها مرونة ، لاقامة الروابط والنضال المشترك بين جميع المنظمات النسوية الثورية والاشتراكية الديموقراطية والمعادية للفاشية . وعلينا ان ننجح مهما كلف الثمن ، في جعل العاملات والنساء الكادحات يناضلن كتفا لكتف مع اشقائهن الطبقيين في صفوف الجبهة الموحدة للطبقة العاملة والجبهة الشعبية المعادية للفاشية .

الجبهة الموحدة المعادية للامبريالية

ان مسألة الجبهة الموحدة ضد الامبريالية ، تكتسب اهمية استثنائية فيما يتعلق بالوضع الدولي والداخلي المتغير ، في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة .

ومما لا غنى عنه ، عند تشكيل جبهة موحدة واسعة للنضال ضد الامبريالية في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة ، ان يؤخذ بنظر الاعتبار قبل كل شيء الظروف التي يجري فيها النضال المعادي للامبريالية من قبل الجماهير ، درجة اختلاف نضج حركة التحرر الوطني ، ودور البروليتاريا فيها ، ونفوذ الحزب الشيوعي على الجماهير الواسعة .

فان المسألة في البرازيل ، ليست كما في الهند ، والصين ، وغيرهما من البلدان .

وعلى الحزب الشيوعي البرازيلي ، الذي وضع البداية الصحيحة لتطور الجبهة الموحدة ضد الامبريالية بانشاء حلف التحرر الوطني (١) ، أن يبذل الجهود لتوسيع هذه الجبهة باضطراد عن طريق اجتذاب ملايين الجماهير الفلاحية اولا ، لفرض تشكيل فصائل جيش وطني ثوري ، تبقى امنية للثورة حتى النهاية ، ثانيا، ولاقامة سلطة حلف التحرر الوطني ثالثا .

اما في الهند فعلى الشيوعيين ان يساندوا ، ويوسعوا ويساهموا في جميع الحملات الجماهيرية المعادية للامبريالية ، بما فيها التي يتراسها الاصلاحيون الوطنيون ، وعليهم ان يشنوا ، مع الحفاظ على استقلالهم السياسي والتنظيمي ، نضالا داخل المنظمات المشتركة في حزب المؤتمر الوطني الهندي ، وتساعد على بلورة جناح وطني ثوري فيها ، بغية تصعيد حركة التحرر الوطني لشعوب الهند ضد الامبريالية البريطانية .

اما في الصين ، حيث افلحت الحركة الشعبية باقامة مناطق سوفييتية على مساحة كبيرة في البلاد ، وبتنظيم جيش احمر جبار ، فقد عرّض الهجوم اللصوصي من جانب الامبريالية اليابانية ، وخيانة حكومة نانكينغ ، للخطر وجود الشعب الصيني العظيم . وتقوم المناطق السوفييتية الصينية بمثابة نقطة التجمع للنضال ضد استعباد الصين وتقسيمها على ايدي الامبرياليين ، ونقطة تجمع ، ستوحد جميع القوى المعادية للامبريالية في كفاح الشعب الصيني الوطني .

ولذا نحن نستحسن مبادرة الحزب الشيوعي الصيني الباسل الشقيق ، لاقامة اوسع جبهة موحدة معادية للامبريالية ، ضد الامبريالية اليابانية وعملائها الصينيين، مع جميع القوى المنظمة ، العاملة على اراضي الصين والمستعدة لشن نضال حقيقي من اجل انقاذ بلادها ووطنها .

وانا على يقين ، من انني سأعبر عن مشاعر وافكار مؤتمرنا كله ، اذا قلت : باننا ، باسم البروليتاريا الثورية في العالم كله ، نبعث بتحية اخوية لاهبة الى جميع السوفييتات في الصين ، والى الشعب الصيني الثوري . واننا نبعث بتحية اخوية لاهبة الى الجيش الاحمر الصيني البطولي الذي تمرس في آلاف المعارك ، واننا نعرب للشعب الصيني عن عزمنا الراسخ على دعم نضاله من اجل تحرره التام من سائر الوحوش الامبريالية ومن صنائعهم الصينيين .

في سبيل حكومة الجبهة الموحدة

ايها الرفاق ! لقد وضعنا نهجا حازما وجريئا للجبهة الموحدة للطبقة العاملة ،

---

(١) منظمة جماهيرية معادية للفاشية اسست عام ١٩٣٥ في البرازيل بقيادة الحزب الشيوعي البرازيلي .

وانا على استعداد لتطبيقه بدأب تام .

واذا ما سألتم ، هل اننا نحن الشيوعيين ، لا نقف على ارضية الجبهة الموحدة الا في النضال من اجل المطالب الجزئية ، ام اننا مستعدون للاضطلاع بالمسؤولية ، حتى عندما يدور الحديث عن تشكيل حكومة على اساس الجبهة الموحدة ، فاننا سنقول بأقصى الشعور بالمسؤولية : نعم ، اننا نأخذ بعين الاعتبار ، ان وضعا كهذا قد يحدث ، عندما سيكون تشكيل حكومة الجبهة البروليتارية ، او الجبهة الشعبية المعادية للفاشية ، ليس ممكنا وحسب ، بل وضروريا لمصلحة البروليتاريا ، وفي مثل هذه الحال ، سنقف نحن بلا تردد ، الى جانب قيام مثل تلك الحكومة .

انني لا اتحدث هنا عن حكومة ، يمكن ان تشكل بعد انتصار الثورة البروليتارية ، وليس من المستبعد ، بالطبع ، ان يكون بالامكان فور اسقاط البورجوازية في بلد معين ، ان تشكل حكومة سوفييتية على اساس ائتلاف حكومي يقيمه الحزب الشيوعي مع حزب معين (او مع جناحه اليساري) ، الذي يشارك في الثورة . فان حزب البلاشفة الروس المنتصر ، ادخل بعد ثورة اكتوبر ، كما هو معروف ، في صفوف الحكومة السوفييتية ، ممثلين عن الاشتراكيين الثوريين اليساريين . وكانت تلك احدى خواص الحكومة السوفييتية بعد انتصار ثورة اكتوبر .

والامر هنا لا يتعلق بمثل هذه الحالة ، بل بامكانية تشكيل حكومة الجبهة الموحدة في عشية انتصار الثورة السوفييتية وقبلها .

فما هي هذه الحكومة ؟ وفي اي وضع يمكن الحديث عنها ؟

انها قبل كل شيء حكومة النضال ضد الفاشية والرجعية . وينبغي لها ان تكون حكومة ، نشأت كنتيجة لحركة الجبهة الموحدة ، وهي لا تحد باية حال ، من نشاط الحزب الشيوعي ، والمنظمات الجماهيرية للطبقة العاملة ، بل تتخذ ، على العكس ، الاجراءات الحازمة ضد الاحتكارات المالية المعادية للثورة وضد عملائها الفاشست .

ففي اللحظة المناسبة ، واستنادا الى حركة الجبهة الموحدة المتنامية ، ينادي الحزب الشيوعي بتشكيل مثل هذه الحكومة على اساس منهاج محدد معاد للفاشية .

في اية ظروف موضوعية سيكون بالامكان تشكيل مثل هذه الحكومة ؟

يمكن الاجابة على هذا السؤال باقصى العمومية : في ظروف ازمة سياسية ، عندما لم تعد الطبقات الحاكمة قادرة على مواجهة النهوض الجبار للحركة الجماهيرية المعادية للفاشية ، لكن هذا مجرد افق عام ، قد تستحيل بدونه ، في التطبيق ، امكانية تشكيل حكومة الجبهة الموحدة ، فليس بالامكان ادراج قضية تشكيل حكومة الجبهة الموحدة ، في جدول الاعمال ، كمهمة سياسية ملحة ، ما لم تتوفر شروط خاصة محددة . وفي اعتقادي اننا ينبغي ان نولي اكبر الاهتمام للشروط التالية :

اولا ، عندما يكون جهاز الدولة البورجوازية متفككا ومشلولا بدرجة كبيرة ، بحيث لا تستطيع معها البورجوازية ان تعرقل قيام حكومة للنضال ضد الرجعية والفاشية .

ثانيا ، عندما تهب اوسع الجماهير الكادحة ، ولا سيما النقابات الجماهيرية ، هبة عارمة بوجه الفاشية والرجعية ، ولكنهـا ما تزال غير مستعدة بعد للقيام بانتفاضة، وللنضال تحت قيادة الحزب الشيوعي من اجل اقامة السلطة السوفييتية.

ثالثا ، عندما يؤدي الاستقطاب والميل نحو اليسار في صفوف الاشتراكية الديموقراطية وغيرها من الاحزاب المشتركة في الجبهة الموحدة ، الى حد يجعل شطرا هاما منها يصر على اتخاذ التدابير الصارمة ضد الفاشست وبقية الرجعيين ، ويناضل بالاشتراك مع الشيوعيين ضد الفاشية ، ويقف جهارا ضد الشطر الرجعي المعادي للشيوعية في حزبه الخاص .

اما متى وفي اية بلدان سيطرا عمليا مثل هذا الوضع ، الذي ستتوفر فيه الشروط المذكورة الى حد معين ، فليس بالامكان التكهن بذلك مسبقا ، ولكن بالنظر الى ان مثل هذه الامكانية غير مستبعدة ، في اي بلد راسمالي ، يتحتم علينا ان نأخذها بعين الاعتبار والا نتجه ونستعد لهذه الامكانية وحدنا ، بل علينا ان نوجه نحوها بالطرق المناسبة ، الطبقة العاملة ايضا .

اما كوننا نطرح للمناقشة اليوم ، هذه المسألة بصورتها العامة ، فذلك يرتبط بالطبع ، بتقديرنا للوضع ، ولاقرب آفاق التطور ، وكذلك بالنمو الفعلي لحركة الجبهة الموحدة في العديد من البلدان خلال الآونة الاخيرة . ففي غضون ما يزيد على العشر سنوات ، كان الوضع في البلدان الرأسمالية بشكل لم يصبح معه من الضروري للاممية الشيوعية ان تناقش مثل هذه المسائل .

انكم تتذكرون ، ايها الرفاق ، اننا ناقشنا في مؤتمرنا الرابع عام ١٩٢٢ ، وكذلك في مؤتمرنا الخامس عام ١٩٢٤ الشعار التالي : حكومة عمالية ، او عمالية فلاحية . وقد دار الحديث في البداية من حيث الجوهر ، حول مسألة تكاد تماثل المسألة التي نحن بصددها اليـوم . وما زالت المناقشات التي دارت في الاممية الشيوعية ، آنذاك حول المسألة المذكورة ، ولا سيما حول الاخطاء السياسية ، التي اقترفت بصدد ذلك ، ذات اهمية بالنسبة لشحذ يقظتنا حيال خطر الانحراف الى يمين او «يسار» الخط البولشفي في هذه المسألة . ولذلك فانني سأتعرض بايجاز الى بعض هذه الاخطاء ، لنستمد منها العبر اللازمة لاحزابنا في سياستها الراهنة .

كانت سلسلة الاخطاء الاولى ناجمة عن واقع ان مسألة الحكومة العمالية لم تكن واضحة ، وكانت مرهونة الى حد كبير بوجود ازمة سياسية . ولذلك استطاع الانتهازيون اليمينيون تفسير الامر بشكل ، جعل من الواجب ان نسعى الى قيام الحكومة العمالية ، التي يدعمها الحزب الشيوعي ، في كل وضع «طبيعي» اذا صح القول . اما اليساريون المتطرفون ، فلم يعترفوا ، على العكس ، الا بحكومة عمالية لا تقوم الا عن طريق الانتفاضة المسلحة بعد اسقاط البورجوازية . وكان كلا الموقفين غير صحيح ، وعليه ، فلكي نتجنب تكرار اخطاء مماثلة ، نولي الان اهتماما كبيرا للتقييم الدقيق للظروف الخاصة الملموسة للازمة السياسية ، ولنهوض الحركة

الجماهيرية ، يصبح معه تشكيل حكومة الجبهة الموحدة ، ممكنا وضروريا من الناحية السياسية .

وكانت الطائفة الثانية من الاخطاء ، ناجمة عن واقع ان مسألة الحكومة العمالية لم تكن مرتبطة بتصاعد الحركة الجماهيرية الكفاحية لجبهة البروليتاريا الموحدة . ولذلك تسنت للانتهازيين اليمينيين ، امكانية تشويه المسألة ، فقد آلوا بها الى التاكتيك اللامبدأي للتحالف مع الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية على اساس المساومات البرلمانية الصرفة . اما اليساريون المتطرفون ، فراحوا ، على العكس ، يصرخون «لا ائتلافات مع الاشتراكية الديموقراطية المعادية للثورة» معتبرين من حيث الجوهر كل الاشتراكيين الديموقراطيين اعداء للثورة .

وكان كلا الموقفين غير صائب ، ونحن نؤكد الان ، من جهة ، اننا لا نريد بذلك قطعا ، «حكومة عمالية» من شأنها ان تكون مجرد توسيع للحكومة الاشتراكية الديموقراطية ، فاننا نرجح حتى التخلي عن صفة «حكومة عمالية» ، ونرجح الحديث عن حكومة الجبهة الموحدة ، التي تختلف من حيث طابعها السياسي اختلافا تاما ، اختلافا مبدئيا بالقياس الى جميع الحكومات الاشتراكية الديموقراطية التي يطلق عليها عادة «حكومة عمالية» . فبينما تمثل الحكومة الاشتراكية الديموقراطية اداة للتعاون الطبقي مع البورجوازية لمصلحة صيانة النظام الراسمالي ، تمثل حكومة الجبهة الموحدة جهازا لتعاون طليعة البروليتاريا الثورية مع بقية الاحزاب المعادية للفاشية ، لمصلحة الشعب الكادح كله ، حكومة للنضال ضد الفاشية والرجعية . ومن الواضح ، ان هذين امران مختلفان جذريا .

ونحن نؤكد ، من جهة ثانية ، ضرورة التمييز بين معسكري الاشتراكية الديموقراطية المختلفين . اذ يوجد ، كما اسلفنا القول ، معسكر اشتراكي ديموقراطي رجعي ، لكن يوجد وينمو الى جانب ذلك ، معسكر الاشتراكيين الديموقراطيين اليساريين ، معسكر العمال الذين يزدادون ثورية . ويتلخص الفارق الحاسم بينهما عمليا ، في موقفهما من الجبهة الموحدة للطبقة العاملة . فان الاشتراكيين الديموقراطيين الرجعيين يناوئون الجبهة الموحدة ، وهم يفترون على حركة الجبهة الموحدة ، ويخربونها ويفسخونها ، لانها تقوّض سياستهم في التواطؤ مع البورجوازية . والاشتراكيون الديموقراطيون اليساريون هم الى جانب الجبهة الموحدة ، وهم يدافعون ويطورون حركة الجبهة الوطنية ويعززونها . نظرا لان حركة الجبهة الموحدة هذه حركة كفاحية ضد الفاشية والرجعية ، وستكون على الدوام ، القوة المحركة التي تدفع حكومة الجبهة الموحدة الى النضال ضد البورجوازية الرجعية . وبقدر ما يشتد ساعد هذه الحركة الجماهيرية ، ستكون تحت تصرف حكومة الجبهة قوة اكبر للنضال ضد الرجعيين . وكلما اتقن تنظيم هذه الحركة الجماهيرية في القاعدة ، وكلما اتسعت شبكة الهيئات الطبقية اللاحزبية للجبهة الموحدة في المؤسسات ، ووسط العمال العاطلين ، وفي الاحياء العمالية ، ووسط سطاء الناس في المدن والقرى ، ازدادت الضمانات ضد التدهور المحتمل لسياسة

حكومة الجبهة الموحدة .

اما الطائفة الثالثة من الآراء الخاطئة ، التي ظهرت في المناقشات السابقة ، فقد كانت تتعلق بالسياسة العملية «للحكومة العمالية» . وكان الانتهازيون اليمينيون يعتبرون ، ان على «الحكومة العمالية» ان تظل ضمن «اطار الديموقراطية البورجوازية» ، وبالتالي لا يجوز لها ان تتخذ اية خطوات ، تخرج عن هذا الاطار . اما اليساريون المتطرفون ، فقد تخلوا عمليا ، وعلى العكس من ذلك ، عن اية محاولة لاقامة حكومة الجبهة الموحدة .

في عام ١٩٢٣ تجلت في سكونيا وتيورنغيا ، صورة بليغة للتطبيق الانتهازي اليميني بشأن «الحكومة العمالية» . فان دخول الشيوعيين في الحكومة السكونية سوية مع الاشتراكيين الديموقراطيين اليساريين (كتلة تسايغنر) لم يكن خطأ بحد ذاته ، بل على العكس ، فان الوضع الثوري في المانيا كان يبرر ذلك كليا . غير ان الشيوعيين كان يتحتم عليهم ، بدخولهم الحكومة ، استغلال مواقعهم لتسليح البروليتاريا قبل كل شيء . لكنهم لم يفعلوا ذلك . حتى انهم لم يصادروا اي مسكن لفني ، رغم ان حاجة العمال الى المساكن كانت كبيرة الى حد جعل الكثيرين منهم يظلون مع اسرهم واطفالهم بلا سقف يقيهم . كما انهم لم يفعلوا شيئا لتنظيم حركة العمال الجماهيرية الثورية . وقد سلكوا عموما سلوك الوزراء البرلمانيين الاعتياديين «ضمن اطار الديموقراطية البورجوازية» . ومن المعروف ان ذلك كان نتيجة لسياسة «براندلر» وانصاره الانتهازية . وقد ترتب على ذلك افلاس ذريع الى حد جعلنا نشير حتى الان الى الحكومة السكونية ، كمثال كلاسيكي على ما لا ينبغي ان يفعله الثوريون في الحكومة .

ايها الرفاق ، اننا نريد من كل حكومة للجبهة الموحدة سياسة مختلفة تماما ، ونطالبها بان تحقق مطالب ثورية جذرية ، محددة ومناسبة للوضع ، مثل : الرقابة على الحكومة ، الرقابة على البنوك ، وحل البوليس واستبداله بالميليشيا العمالية المسلحة الخ ...

لقد دعانا لينين قبل ١٥ عاما الى ان نركز كل اهتمامنا «بالتحري عن اشكال الانتقال او المضي نحو الثورة البروليتارية» ولعل حكومة الجبهة الموحدة ستكون من اهم اشكال الانتقال . ان النصيين اليساريين يتجنبون توجيه لينين هذا على الدوام ، وكانوا ، بصفتهم دعاة محدودي الافق ، لا يتحدثون الا عن «الهدف» دون ان يحفلوا ولو قليلا «باشكال الانتقال» . اما الانتهازيون اليمينيون فقد حاولوا استحداث «مرحلة ديموقراطية وسيطة» فريدة من نوعها ، بين دكتاتورية البورجوازية ودكتاتورية البروليتاريا ، ليوحوا للعمال باكذوبة النزهة البرلمانية السلمية من احدى الدكتاتوريتين الى الثانية . وقد سموا هذه «المرحلة الوسيطة» الموهومة ، «بالشكل الانتقالي» حتى لقد استشهدوا بلينين ! غير ان هذا التحايل لم يصعب فضحه : لان لينين كان يتحدث عن شكل الانتقال والمضي نحو «الثورة البروليتارية» اي نحو الاطاحة بالدكتاتورية البورجوازية ، وليس عن شكل انتقالي

ما بين الدكتاتورية البورجوازية والدكتاتورية البروليتارية .

لماذا اولى لينين كل هذه الاهمية لشكل الانتقال نحو الثورة البروليتارية ؟

لانه كان يضع في الحسبان «القانون الاساسي لكل الثورات العظمى» القانون، القائل بان الدعاية والتحريك وحدهما ليسا بقادرين على ان يعوضا عن التجربة السياسية الخاصة للجماهير ، عندما يتعلق الامر باجتذاب جماهير الشغيلة الواسعة حقا الى جانب الطليعة الثورية ، وهو الشرط الذي لا يمكن بدونه شن النضال الظافر من اجل السلطة . والخطأ المألوف لدى الانعزاليين اليساريين هو تصورهم ، بان القيادة الشيوعية تستطيع بمجرد انبثاق الازمة السياسية (او الثورية) ان تطرح شعار الانتفاضة الثورية ، فتسير الجماهير الواسعة وراءها !

كلا ، فان الجماهير ليست مستعدة لذلك دائما ، وحتى في مثل هذه الازمة، فقد شاهدنا ذلك في مثال اسبانيا . وان مساعدة الجماهير الغفيرة على ان تدرك ، بالسرعة الممكنة ، ما الذي ينبغي ان تفعل ، واين تجد الحل الحاسم ، واي حزب جدير بثقتها ، ذلك هو ما يجعل من الضروري ، سواء الشعارات الانتقالية ، او الاشكال الخاصة «للانتقال او المضي نحو الثورة البروليتارية» . والا فان الجماهير الشعبية الواسعة ، الواقعة في شراك الشعارات والتقاليد الديموقراطية البورجوازية الصغيرة ، يمكن ان تتردد حتى في حالة وجود وضع ثوري ، وان تضل وتتخبط ، دون ان تجد الطريق الى الثورة ، ومن ثم تقع تحت ضربات الجلادين الفاشست .

ولهذا بالذات ، نطرح امكانية تشكيل حكومة الجبهة الموحدة المعادية للفاشية في ظروف الازمة الثورية . وبقدر ما تشن هذه الحكومة نضالا فعليا ضد اعداء الشعب ، وتضمن حرية العمل «للطبقة العاملة ولحزبها الشيوعي» ، سندعمهما ، نحن الشيوعيين ، دعما شاملا ، وسنقاتل ، بصفتنا جنودا للثورة ، في خط النار الامامي . ولكننا نقول بصراحة الى الجماهير :

ان هذه الحكومة لا تستطيع ان تجلب الخلاص النهائي . فهي غير قادرة على الاطاحة بالسيادة الطبقية للمستغلين ، ولذلك فانها لا تستطيع ان تزيل خطر ثورة الردة الفاشية كليا . وعليه فان من الضروري ان نستعد للثورة الاشتراكية ! فلا خلاص الا بالسلطة السوفييتية !

وعند تقييم التطور الراهن للوضع الدولي ، نرى ، ان الازمة السياسية تنضج في عدة بلدان . ومن هنا تنشأ الاهمية الكبيرة لاتخاذ قرار حاسم في مؤتمرنا فيما يتعلق بمسألة حكومة الجبهة الموحدة .

فلو افلحت احزابنا بان تستغل على النمط البولشفي ، امكانية تشكيل حكومة الجبهة الموحدة ، والنضال من اجل تشكيلها ، وكذلك من اجل بقاء حكومة التحضير الثوري للجماهير في السلطة ، لكان ذلك خير مبرر لنهجنا الرامي الى اقامة حكومة الجبهة الموحدة .

ان واحدا من اضعف جوانب نضال احزابنا ضد الفاشية يتلخص ، في انها لا تتصدى بما فيه الكفاية وفي الوقت المناسب ، للرد على ديماغوجية الفاشية ، وانها ما زالت حتى الان تنظر باستخفاف الى مسائل النضال ضد الايديولوجية الفاشية . وكان كثير من رفاقنا ، لا يعتقدون بان مثل هذا الخليط الرجعي للايديولوجية البورجوازية كما هي الحال مع الايديولوجية الفاشية ، التي غالبا ما تصل في سخافاتها حد الهوس ، قادر على الفوز بنفوذ جماهيري. وكان ذلك خطأ فاحشا . فان تعفن الراسمالية الذي قطع شوطا بعيدا ، يتغلغل الى صلب ايديولوجيتها وثقافتها ، اما وضع الجماهير الشعبية اليائس ، فيجعل بعضا من فئاتها قابلا لعدوى القاذورات الايديولوجية لهذا التعفن .

ولا يجوز لنا في اية حال ان نقلل من شأن عدوى الايديولوجية الفاشية . وعلينا ، بالعكس ، ان نشن من جانبنا نضالا ايديولوجيا واسعا على اساس الحجج البسيطة والواضحة ، والسلوك الصائب المحكم التدبير ازاء تميز الخصائص النفسية القومية للجماهير الشعبية .

ان الفاشست ينبشون تأريخ كل شعب ، ليظهروا بمظهر الورثة والمواصلين لكل ما هو سام وبطولي في ماضيه ، ويستغلون كل ما هو مشين ومهين لمشاعر الشعب القومية ، كسلاح ضد اعداء الفاشية . وتصدر في المانيا مئات الكتب ، التي ترمي وراء غاية واحدة وهي تزوير تأريخ الشعب الالماني ، بما يتماشى مع الروح الفاشية ، ويسعى المؤرخون الاشتراكيون القوميون المستجدون ، الى ان يظهروا تأريخ المانيا بطريقة يفهم منها ، ان خط التطور الذي ادى الى ان يعتلي مسرح التأريخ «المنقذ» القومي «لرسالة» الشعب الالماني «العريف» الذائع الصيت ، المنحدر من اصل نمسوي ، يتخلل كخيط احمر ، وبمشيئة «سنة تأريخية ما» التطور التأريخي طوال الفي عام ! وتظهر هذه الكتب اعظم رجالات الشعب الالماني في الماضي ، وكأنهم فاشست ، اما الحركات الفلاحية الكبيرة فتصور وكأنها ارهاصات مباشرة للحركة الفاشية .

ويسعى موسوليني سعيا حثيثا الى خلق رصيد له ، على حساب شخصية غاريبالدي البطولية . ويلوّح الفاشست الفرنسيون بجان دارك كبطلة من ابطالهم . وينادي الفاشست الاميركيون بتقاليد حروب الاستقلال الاميركية ، وبأمجاد واشنطن ولنكولن . ويستغل الفاشست البلغار حركة التحرر الوطني في سبعينات القرن الماضي ، وابطالها المحببين ، فاسيل ليفسكي ، ستيفان كاراجا وغيرهما .

اما اولئك الشيوعيون ، الذين يظنون ، ان ذلك كله لا صلة له بقضية الطبقة العاملة ، والذين لا يفعلون شيئا ، ليضيئوا امام الجماهير الشعبية ، ماضي شعبهم، بطريقة صحيحة تأريخيا ، وبالروح الماركسية الحقة ، الماركسية اللينينية الحقة ، لربط نضالهم الراهن بتقاليده الثورية في الماضي ... ان اولئك الشيوعيين يقدمون

عن طواعية الى المزورين الفاشست ، كل ما هو ثمين في تأريخ الامـة ، لتضليل الجماهير الشعبية (تصفيق) .

كلا ، ايها الرفاق ! اننا نهتم بكل مسألة خطيرة ، لا في حاضر ومستقبل شعبنا وحسب ، بل وفي ماضيه ايضا . ونحـن الشيوعيين ، لا ننتهج سياسة ضيقة الافق ، سياسة المصالح اليومية للعمـال ، لاننا لسنا مناضلين نقابيين محدودين ، ولسنا كقادة الحرفيين في القرون الوسطى ، وانما نحن ممثلو المصالح الطبقية لاهم واعظم طبقة في مجتمعنا المعاصر ... الطبقة العاملة ، المكلفة بمهمة تحرير البشرية من اهوال النظام الراسمالي ، والتي اطاحت بنير الرأسمالية وباتت الطبقة الحاكمة في سدس الكرة الارضية . اننا حماة المصالح الحيوية لجميع فئات الكادحين المستغلين ، اي لاغلبية الشعب الساحقة في كل بلد راسمالي .

واننا نحن ، الشيوعيين ، لخصوم مبدئيون الداء للقومية البورجوازية بكـل اشكالها ، غير اننا لسنا انصارا للعدمية القومية ، ولا يجوز لنا ان نتصرف هكذا ابدا. وان مهمة تربية العمال وسائر الكادحين بروح الاممية ، هي من المهام الاساسية لكل حزب شيوعي . لكن من يظن ، ان ذلك يسمح له وحتى يلزمه بان يبصق على كل المشاعر القومية للجماهير الكادحة ، فهو بعيد عـن البولشفية الحقة ، ولم يدرك شيئا من تعاليم لينين وستالين فيما يتعلق بالمسألة القومية .

فان لينين الذي كان يناضل دائما بحزم وثبات ضد القومية البورجوازية ، ضرب لنا مثلا على المسلك الصحيح ازاء مسألة المشاعر القومية في مقـاله «حول الاعتزاز القومي لدى الروس» الذي كتبه في عام ١٩١٤ . واليكم ما كتب لينين :

«هل ان الشعور بالعزة القومية ، غريب علينا ، نحن ابناء روسيا الكبرى ، البروليتاريين الواعين ؟ كلا ، بالطبع ! فاننا نحب لغتنا ووطننا ، واننا نعمل باقصى الجهود ، من اجل النهوض بجماهيره الكادحة (اي بتسعة اعشار سكانه) الى مستوى حياة الديموقراطيين والاشتراكيين الواعية . وشد ما يحز في نفوسنا ، ان نرى ونتحسس ما يتعرض له وطننا الرائع من تعسف وجور وازدراء ، على ايدي جلادي القيصرية والنبلاء والراسماليين . واننا لنعتز ، بان هذه المظالم اثارت المقاومة في اوساطنا ، في اوساط ابناء روسيا الكبرى ، وان هـذه الاوساط قـد اخرجت راديتشجيف ، والديسمبريين ، ثوريي السبعينات (١) ، وان الطبقة العاملة في روسيا الكبرى قد اسست في عام ١٩٠٥ حزبا ثوريا جبارا للجماهير ..

واننا لمفعمون بشعور الاعتزاز القومي ، لان الامة الروسية الكبرى ، قد خلقت هي ايضا طبقتها الثورية ، وبرهنت على انها جديرة بان تهب الانسانية امثلة عظمى على النضال من اجل الحرية والاشتراكية ، ولـم تهبها مجرد المذابح العظمى ، وصفوف المشانق والسجون ، والمجاعات الكبرى ، والخنوع المفرط امـام القسس والقياصرة وملاكي الارض والراسماليين .

---

(١) من القرن الماضي . (المترجم)

وانا لمفعمون بشعور الاعتزاز القومي ، ولذلك بالذات ، فاننا نمقت اشد المقت ماضينا العبودي ... وحاضرنا العبودي ، عندما يقتادنا نفس اولئك الملاكين بمساعدة الراسماليين ، الى الحرب ، لنخنق بولونيا واوكرانيا : ولنسحق الحركة الديموقراطية في ايران والصين ، ولنوطد أقدام زمرة آل رومانوف البوبرينسكيين والبوريشكيتيين ، التي تسم بالعار الكرامة القومية الروسية .

هذا ما كتبه لينين عن الاعتزاز القومي .

انني لاعتقد ، ايها الرفاق ، بأنني لم اسيء التصرف في محكمة لايبزيغ ، حينما انبريت للذود عن الشرف القومي للجماهير الكادحة في بلغاريا الذين يناضلون بتفان ضد مغتصبي السلطة الفاشست ، اولئك البرابرة والوحوش الحقيقيين ، في محاولتهم لوصم الشعب البلغاري بالبربرية .

ايها الرفاق ! ان الاممية البروليتارية ، يجب ان «تتأقلم» ، ان صح هذا التعبير ، في كل بلد ، لتمد جذورا عميقة في تربة الوطن . فالاشكال الوطنية لنضال البروليتاريا الطبقي ، وللحركة العمالية في مختلف البلدان ، لا تتنافى مع الاممية البروليتارية ، بل على العكس ، ففي هذه الاشكال بالذات يمكن الدفاع بنجاح عن المصالح الاممية البروليتارية .

ولا بد لنا ، بطبيعة الحال ، ان نكشف في كل مكان وفي كل الاحوال ، وان نبرهن للجماهير بشكل ملموس ، على ان البورجوازية الفاشية تنتهج ، متذرعة بالدفاع عن المصالح القومية العامة ، سياستها الانانية لاضطهاد واستغلال شعبها بالذات ، وكذلك لنهب وسلب الشعوب الاخرى . لكننا لا يجوز لنا الاقتصار على ذلك فقط . فمن الضروري ان نشير في نفس الوقت وعن طريق نضال الطبقة العاملة ذاتها ، وفي حملات الاحزاب الشيوعية ، الى ان البروليتاريا ، تمثل بانتفاضها ضد كل نوع من العبودية والظلم القومي ، المكافح الحقيقي الوحيد في سبيل الحرية والاستقلال الوطني للشعب .

ان مصالح النضال الطبقي الذي تخوضه البروليتاريا ضد مستغلي الوطن ومضطهديه ، لا تتنافى ومصالح المستقبل الحر السعيد للامة . وعلى العكس : فان الثورة الاشتراكية ستعني خلاصا للامة ، وستفتح لها الطريق نحو الارتقاء . وان الطبقة العاملة ، عندما تبني في الوقت الراهن منظماتها الطبقية ، وتعزز مواقعها ، وعندما تذود عن الحقوق والحريات الديموقراطية غائلة الفاشية ، وتناضل للاطاحة بالراسمالية ، فانها بذلك ، تناضل منذ الان من اجل مستقبل الامة المنشود .

كما ان البروليتاريا الثورية تناضل لانقاذ ثقافة الشعب ، وعتقها من اغلال الراسمال الاحتكاري المحتضر ، ومن الفاشية البربرية ، التي تستبيحها . وان الثورة البروليتارية هي وحدها التي تستطيع الحيلولة دون موت الثقافة ، والنهوض بها الى اقصى مراتب الازدهار بصفتها ثقافة شعبية حقا ــ قومية بشكلها واشتراكية بمحتواها ــ كما تتحقق امام اعيننا في اتحاد الجمهوريات

السوفييتية الاشتراكية بقيادة ستالين .

ان الاممية البروليتارية ، ليست فقط ، لا تتعارض مع نضال الكادحين في مختلف البلدان من اجل التحرر الوطني والاجتماعي والثقافي ، انما هي تؤمن ، بفضل التضامن البروليتاري الاممي ، والوحدة الكفاحية ، الدعم اللازم لانتصار هذا النضال . ولا تستطيع الطبقة العاملة في البلدان الراسمالية ان تحرز النصر، الا بالتعاون الاوثق مع البروليتاريا المنتصرة في الاتحاد السوفييتي . ولن تستطيع الشعوب المستعمرة والاقليات القومية المضطهدة الفوز بتحررها ، الا في النضال يدا بيد مع بروليتاريا البلدان الامبريالية . وان طريق انتصار الثورة البروليتارية في البلدان الامبريالية لا يمر الا عبر التحالف الثوري للطبقة العاملة في البلدان الامبريالية مع حركة التحرر الوطني للبلدان المستعمرة والتابعة، كما علمنا ماركس، «ان شعبا يضطهد شعوبا اخرى ، لا يمكن ان يكون حرا» .

اما الشيوعيون ، الذين ينتمون الى امة مضطهدة تابعة ، فلن يحالف النجاح نضالهم ضد الشوفينية في اوساط امتهم ، ما لم يبرهنوا خلال مجرى حركتهم التحررية ، على انهم يناضلون في الواقع ، لتحرير امتهم من نير اجنبي . كما ان شيوعيي الامة المضطهدة (بكسر الهاء) ، لا يستطيعون ، من جهة اخرى ، ان يفعلوا ما هو ضروري لتربية الجماهير الكادحة لامتهم ، بروح الاممية ، ما لم يخوضوا نضالا حازما ضد سياسة الاضطهاد التي تمارسها بورجوازيتهم «الخاصة» ومن اجل حق تقرير المصير التام للامم المضطهدة من قبلها . واذا لم تفعل ذلك فانها سوف لن تساعد كادحي الامم المضطهدة ولن تتخلص من الخرافات القومية .

اننا اذا ناضلنا بهذه الروح ، واذا ما اثبتنا في مجمل عملنا الجماهيري وعلى نحو مقنع ، اننا متحررون ، من العدمية القومية ، ومن البورجوازية القومية على حد سواء ، آنذاك فقط سنستطيع شن نضال ناجح حقا ضد ديماغوجية الفاشية الشوفينيـــة .

ولذلك فان من الضروري جدا ، ان يتم التطبيـــــق الصائب والملموس للسياسة الوطنية اللينينية ـ الستالينية . فذلك شرط ضروري اطلاقا ، للنضال الموفق ضد الشوفينية ، الاداة الرئيسية بيد الفاشست ، للتأثير ايديولوجيا على الجماهير .

٣ ـ توطيد الاحزاب الشيوعية والنضال من اجل وحدة البروليتاريا السياسية

ايها الرفاق ! ان اهمية الدور القيادي للحزب الشيوعي في النضال لبنـــاء الجبهة الموحدة يتعاظم بشكل استثنائي . فان الحزب الشيوعي هو وحده ، في الواقع ، المبادر والمنظم للجبهة الموحدة للطبقة العاملة ، وهو قوتها المحركة .

ولا تستطيع الاحزاب الشيوعية ضمان تعبئة جماهير الكادحين الواسعـــة للنضال الموحد ضد الفاشية وزحف راس المال ، الا بتعزيز صفوفها تعزيزا شاملا،

وتطوير مبادراتها وتطبيق السياسة الماركسية ـ اللينينية ، والتاكتيك الصائب المرن ، الذي يراعي الوضع الملموس ومواقع القوى الطبقية .

تعزيز صفوف الاحزاب الشيوعية

لقد نمت احزابنا الشيوعية في الفترة ما بين المؤتمرين السادس والسابع نموا ملحوظا ، وترسخت اقدامها بلا ريب . لكن الركون الى ذلك ، وهم بالغ الخطورة . فبقدر ما تتسع صفوف جبهة الطبقة العاملة الموحدة ، ينبثق امامنا مزيد من المهام الجديدة المعقدة ، ويترتب علينا ان نعمل بمزيد من الحزم من اجل توطيد احزابنا سياسيا وتنظيميا . كما ان جبهة البروليتاريا الموحدة تخلق من العمال جيشا ، لن يكون قادرا على اداء رسالته الا اذا كان على راس هذا الجيش قوة قيادية ، ترسم له الاهداف والسبل. ولا يمكن ان تكون هذه القوة الا حزبا بروليتاريا ثوريا قويا .

وعندما نبذل ، نحن الشيوعيين ، قصارى جهودنا من اجل بناء الجبهة الموحدة ، فاننا لا نفعل ذلك من وجهة نظر ضيقة لاستدراج اعضاء جدد الى الحزب الشيوعي . غير اننا ملزمون بأن نوطد صفوف الاحزاب الشيوعية ، وأن نزيد نموها العددي ، وذلك لاننا نصبو مخلصين الى توطيد الجبهة الموحدة . فان توطيد الاحزاب الشيوعية ليس كسبا حزبيا ضيقا ، بل هو في مصلحة الطبقة العاملة جمعاء .

ان الوحدة ، والتلاحم الثوري ، والاستعداد الكفاحي للاحزاب الشيوعية ـ هي اثمن راس مال ، ليس لنا وحسب ، بل وللطبقة العاملة بأسرها . ولقد شفعنا استعدادنا للسير مع الاحزاب والمنظمات الاشتراكية الديموقراطية ، في النضال ضد الفاشية ، وسنشفعه في المستقبل ايضا ، بنضال لا هوادة فيه ، ضد الاشتراكية الديموقراطية باعتبارها ايديولوجية وتطبيقا للتفاهم مع البورجوازية، وبالتالي ضد اي نوع لتسرب هذه الايديولوجية الى صفوفنا الخاصة .

واننا نجد ، عند تطبيق سياسة الجبهة الموحدة بجراة وحزم ، عراقيل في صفوفنا ، وعلينا ان نزيلها مهما كلف الثمن ، وفي اقرب وقت .

لقد شنت جميع الاحزاب الشيوعية في البلدان الراسمالية نضالا مثمرا ، بعد المؤتمر السادس للكومنترن ، ضد الاتجاه الانتهازي نحو التكيف وفق ظروف الاستقرار الراسمالي وضد عدوى الاوهام الاصلاحية والشرعية ... وقد طهرت احزابنا صفوفها من شتى اصناف الانتهازيين ، معززة بذلك وحدتها وقدرتها الكفاحية البولشفية . وشن نضال اقل نجاحا ضد الانعزالية ، وفي غالب الاحوال لم يشن مثل هذا النضال اطلاقا . ان الانعزالية لم تعد تظهر في اشكال بدائية ، سافرة ، كما كانت تظهر في السنوات الاولى لقيام الاممية الشيوعية ، انما اخذت

تعرقل تطور السياسة الجماهيرية البلشفية ، متسترة وراء الاعتراف الشكلي بالموضوعات البلشفية . ولم يعد ذلك في ايامنا هذه «مرضا طفوليا» في اغلب الاحيان ، كما كتب لينين ، بل آفة متأصلة ، لا يمكن بدون التخلص منها انجاز مهمة بناء الجبهة البروليتارية الموحدة ، والانطلاق بالجماهير من مواقف الاصلاحية الى جانب الثورة .

ان الانعزالية ، الانعزالية المزهوة بذاتها ، كما شخصناها في مسودة القرار، تعرقل في الوضع الراهن ، قبل كل شيء نضالنا لتحقيق الجبهة الموحدة . وان الانعزالية ، الراضية بضيق افقها العقائدي ، وبانقطاعها عن الحياة الواقعية للجماهير ، والقانعة بأساليبها المبسطة في حل اعقد قضايا الحركة العمالية ، على اساس الخطط النمطية ، هي انعزالية ، تدّعي العلم بكل شيء ، وتربأ بنفسها ان تتعلم من الجماهير ، ومن عبر الحركة العمالية ، وهي ، بكلمة واحدة «انعزالية تميد لصولتها الجبال» . وتأبى الانعزالية المغرورة ، فهي لا تريدَ ولا تستطيع ان تفهم ان قيادة الطبقة العاملة من قبل الحزب الشيوعي لا تأتي من تلقاء ذاتها . وانما ينبغي احراز قيادة الحزب الشيوعي في معارك الطبقة العاملة . ولا حاجة لنا الى التشدق بدور الشيوعيين القيادي ، بل علينا ان نستحق ، بعملنا الجماهيري اليومي ، وبسياستنا الصائبة ، وان نكسب ثقة الجماهير العمالية . ولا سبيل الى ذلك الا اذا حسبنا في سياستنا ، نحن الشيوعيين ، حسابا جديا للمستوى الفعلي لوعي الجماهير الطبقي ، ولدرجة ثوريتهم ، وتقييمنا للوضع الملموس برويّة وامعان ، لا على اساس اهوائنا ، بل على اساس ما هو حاصل فعلا . وعلينا ان نسيِّر ، خطوة فخطوة ، وبأناة ، عملية انتقال الجماهير الواسعة الى مواقف الشيوعية . ولا ينبغي لنا اطلاقا ان ننسى كلمات لينين ، الذي حذّرنا بأقصى الحزم يقول : «وخلاصة القول هو ، الا نتوهم ان الذي نحسه ، هو ما تحسه الطبقة ، وتحسه الجماهير بالذات» .

ايها الرفاق ، هل اضمحلت في صفوفنا ، مثل هذه العناصر النصية ، التي لا ترى في سياسة الجبهة الموحدة سوى المخاطر في كل مكان وزمان ؟ ان الجبهة الموحدة برمتها ، خطر ، في نظر هؤلاء الرفاق . غير ان هذه «المبدئية» الانعزالية ان هي الا العجز السياسي حيال صعوبات القيادة المباشرة لنضال الجماهير .

وتتجلى الانعزالية بوجه خاص في الغض من شأن التحول الثوري للجماهير، وفي المبالغة في سرعة انسحابها عن مواقع الاصلاحية ، وفي محاولات طفر المراحل الشاقة والمهام المعقدة للحركة . وغالبا ما كانت اساليب قيادة الجماهير تستبدل بأساليب قيادة الجماعة الحزبية الضيقة . كما استصغرت متانة الروابط التقليدية بين الجماهير ومنظماتها وقياداتها ، وعندما لم تقطع الجماهير هذه الروابط على الفور ، راحوا يعاملونها بعنف كما يعاملون قياداتها الرجعية . ولفق اعتباطا تاكتيك وشعارات لكل البلدان ، ولم يؤخذ بعين الاعتبار الوضع الملموس في كل بلد على حدة . كما استخف بضرورة النضال العنيد في اوساط الجماهير ذاتها ،

من اجل الفوز بثقتها ، واغفلت ضرورة النضال من اجل المطالب الجزئية للعمال، وضرورة العمل في النقابات الاصلاحية والمنظمات الفاشية الجماهيرية . وغالبا ما استبدلت سياسة الجبهة الموحدة بنداءات فارغة ودعاية باهتة المعالم .

ولم تكن الموضوعات الانعزالية أقل اعاقة لاختيار الناس بشكل صائب ، ولتربية وارتقاء الملاكات ، المرتبطة بالجماهير ، والمتمتعة بثقتها ، تلك الملاكات ، العالية الثورية ، والمجربة في المعارك الطبقية ، والبارعة في التوفيق بين التجربة العملية في النشاط الجماهيري ، وبين الصلابة المبدئية البولشفية .

ان الانعزالية عرقلت ، على هذا النحو والى درجة كبيرة ، نمو الاحزاب الشيوعية ، وعقدت مهمة انتهاج سياسة جماهيرية فعلية ، وحالت دون استغلال مصاعب العدو الطبقي لتعزيز مواقع الحركة الثورية ، واعاقت العمل من اجل جر جماهير البروليتاريا الواسعة الى جانب الاحزاب الشيوعية .

كما يتحتم علينا ، ونحن نناضل بأقصى الحزم لاستئصال وتذليل اخر بقايا الانعزالية المزهوة بذاتها ، ان نشحذ يقظتنا ونضالنا بصورة شاملة ، ضد الانتهازية اليمينية ، وضد كل مظاهرها الملموسة ، آخذين بعين الاعتبار ، ان خطرها سيتعاظم بتعاظم الجبهة الموحدة الواسعة . وهنالك بعض الاتجاهات حاليا، تتجلى في استصغار دور الحزب الشيوعي في صفوف الجبهة الموحدة ، وفي التهادن مع الايديولوجية الاشتراكية الديموقراطية . ومن الضروري الا يغيب عن بالنا ، ان تاكتيك الجبهة الموحدة هو وسيلة لاقناع العمال الإشتراكيين الديموقراطيين عيانا، بصواب السياسة الشيوعية ، وبخطأ السياسة الاصلاحية ، وليس للتهادن مع تطبيق الاشتراكية الديموقراطية وايديولوجيتها . وان النضال الناجح من اجل اقامة الجبهة الموحدة يتطلب لا محالة نضالا مستمرا في صفوفنا ضد اتجاه استصغار دور الحزب ، ضد الاوهام الشرعية ، ضد التشبث بموقف العفوية والاوتوماتيكية سواء فيما يتعلق بقضية القضاء على الفاشية ، او باقامة الجبهة الموحدة ، وضد اقل تردد في لحظة العمل الحاسم .

يقول الرفيق ستالين : «ان من الضروري ان يتقن الحزب في عملية التوفيق بين اسم المبدئية (دون ان يصل بها حد الانعزالية) واقصى الارتباط والاتصال بالجماهير (دون ان يصل بها حد الذيلية) . الامر الذي لا يمكن للحزب بدونه لا ان يعلم الجماهير ولا ان يتعلم منها ، ولا قيادة الجماهير والنهوض بها الى مستوى الحزب ، ولا الاصغاء الى صوتها وادراك احتياجاتها الملحة» .

الوحدة السياسية للطبقة العاملة

ايها الرفاق ! ان تطور الجبهة الموحدة للنضال المشترك بين العمال الشيوعيين والاشتراكيين الديموقراطيين ضد الفاشية وهجوم الراسمال ، يثير كذلك مسالة

الوحدة السياسية ومسألة الحزب السياسي الجماهيري الواحد للطبقة العاملة .
ويزداد العمال الاشتراكيون الديموقراطيون اقتناعا من تجربتهم الخاصة ، بأن النضال ضد العدو الطبقي يتطلب قيادة سياسية موحدة ، لان ثنائية القيادة تعيق تعزيز النضال الموحد الذي تخوضه الطبقة العاملة .

ان مصالح نضال البروليتاريا الطبقي وانتصار الثورة البروليتارية تملي ضرورة وجود حزب سياسي بروليتاري موحد من كل بلد . ومن الطبيعي ان تحقيق ذلك ليس بهذه السهولة والبساطة . فهو يتطلب نضالا وعملا دائبا ، وسيكون بحكم الضرورة عملية قد تطول كثيرا او قليلا . وعلى الاحزاب الشيوعية، ان تأخذ بأيديها مبادرة التوحيد ، بالاستناد الى طموح العمال نحو توحيد الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية ومختلف منظماتها مع الاحزاب الشيوعية .

ان قضية توحيد قوى الطبقة العاملة في حزب بروليتاري ثوري موحد ، هي الان، في الوقت الذي تدخل فيه الحركة العمالية الدولية مرحلة تصفية الانشقاق، قضيتنا ، قضية الاممية الشيوعية .

لكن اذا كان الاتفاق على النضال ضد الفاشية وزحف الراسمال والحرب ، يكفي لقيام الجبهة الموحدة بين الاحزاب الشيوعية والاشتراكية الديموقراطية ، فان تحقيق الوحدة السياسية لا يمكن الا على اساس العديد من الشروط المحددة ذات الطابع المبدئي .

ولا مجال لقيام هذه الوحدة الا :

اولا : اذا توفر الاستقلال التام عن البورجوازية ، والانفصال التام عن حلف الديموقراطية الاشتراكية مع البورجوازية .

ثانيا : اذا توفرت وحدة العمل مسبقا .

ثالثا : اذا اعترف بضرورة الاطاحة الثورية بسلطة البورجوازية واقامة دكتاتورية البروليتاريا على غرار السوفييتات .

رابعا : اذا تم التخلي عن مساندة البورجوازية الخاصة في الحرب الامبريالية .

خامسا : اذا اسس الحزب على اساس المركزية الديموقراطية ، التي تضمن وحدة الارادة والعمل ، والمختبرة في تجربة البلاشفة الروس .

وعلينا ان نوضح بصبر وبروح رفاقية ، للعمال الاشتراكيين الديموقراطيين لماذا يستحيل بدون هذه الشروط تحقيق الوحدة السياسية للطبقة العاملة. وعلينا ان نناقش معهم فحوى واهمية هذه الشروط .

لماذا ينبغي الاستقلال التام عن البورجوازية والانفصال التام عن حلف الاشتراكيين الديموقراطيين مع البورجوازية ، لتحقيق وحدة البروليتاريا السياسية ؟

لان كل تجربة الحركة العمالية ولاسيما تجربة الخمسة عشر عاما من سياسة الائتلاف في المانيا ، قد دلت على ان سياسة التعاون الطبقي ، سياسة تابعة

للبورجوازية تؤدي الى هزيمة الطبقة العاملة ، وانتصار الفاشية . وان طريق النضال الطبقي المثابر ضد البورجوازية ، طريق البلاشفة وحده ، هو الطريق المضمون شطر الانتصار .

ولماذا نعتبر اقامة وحدة العمل المسبقة شرطا للوحدة السياسية ؟

لان وحدة العمل لصد هجوم الراسمال والفاشية ، ممكنة ، ولا مناص منها، قبل توحيد اغلبية العمال على اساس منهاج سياسي عام لاسقاط الراسمالية ، اما بلورة وحدة الآراء حول السبل والاهداف الاساسية للنضال البروليتاري ، التي لا يمكن بدونها توحيد الاحزاب ، فتتطلب مزيدا من الوقت طال ام قصر . ولأن وحدة الآراء يمكن بلورتها على الوجه الافضل منذ اليوم ، وفي غمرة النضال المشترك ضد العدو المشترك . اما اذا اقترحنا الوحدة الفورية بدل الجبهة الموحدة ، فذلك يعني وضع الحصان وراء العربة ، والاعتقاد بان العربة ستسير الى امام . وبما ان مسألة الوحدة السياسية ليست في نظرنا ، مناورة ، كما هي في نظر الكثيرين من الزعماء الاشتراكيين الديموقراطيين ، فاننا نطالب بتحقيق وحدة العمل باعتبارها من اهم المراحل في النضال من اجل الوحدة السياسية .

لماذا يتحتم الاعتراف بالاطاحة الثورية بالبورجوازية ، واقامة دكتاتورية البروليتاريا على غرار السلطة السوفييتية ؟

لان تجربة انتصار ثورة اوكتوبر الاشتراكية العظمى ، من جهة ، والعبر المريرة في المانيا ، النمسا ، واسبانيا ، طوال فترة ما بعد الحرب ، من الجهة الثانية ، اكدت ان انتصار البروليتاريا لا يمكن تحقيقه الا عن طريق الاطاحة الثورية بالبورجوازية ، وان البورجوازية ستفضل اغراق الحركة العمالية ببحر من الدماء ، على السماح للبروليتاريا باقامة الاشتراكية بالطرق السلمية . وتدل تجربة ثورة اكتوبر بوضوح ، على ان المضمون الاساسي للثورة البروليتارية هو مسألة دكتاتورية البروليتاريا ، المدعوة لتحطيم مقاومة المستثمرين المستعصين ، ان تسلح الثورة في النضال ضد الامبريالية وايصالها حتى النصر التام للاشتراكية. ولكي تتحقق دكتاتورية البروليتاريا بصفتها دكتاتورية الاغلبية العظمى حيال الاقلية التافهة ، حيال المستغلين — ولا يمكن تحقيقها الا بهذا الشكل — فمن الضروري تشكيل السوفييتات التي تشمل جميع فئات الطبقة العاملة ، والجماهير الاساسية للفلاحين وغيرهم من الكادحين ، الذين لا يمكن ، بدون ايقاظهم وضمهم الى جبهة النضال الثوري ، تعزيز انتصار البروليتاريا .

ولماذا يكون التخلي عن مساندة البورجوازية في الحرب الامبريالية ، شرطا للوحدة السياسية ؟

لان البورجوازية تخوض حربا امبريالية من اجل مآربها الجشعة، ضد مصالح الاغلبية الساحقة للشعوب ، مهما كانت الذريعة التي تشن بها هذه الحرب ، ولأن جميع الامبرياليين يقرنون الاستعداد المحموم للحرب بالتشديد الاقصى لاستغلال واضطهاد الكادحين داخل البلاد . ومساندة البورجوازية في مثل هذه الحرب

تعني خيانة لمصالح البلاد ومصالح الطبقة العاملة العالمية .

واخيرا ، لماذا ينبغي بناء الحزب على اساس المركزية الديموقراطية ، كشرط للوحـدة ؟

لأن الحزب القائم على اساس المركزية الديموقراطية ، هو وحده ، القادر على ضمان وحدة الارادة والعمل ، والوصول بالبروليتاريـا الى الانتصار علـى البورجوازية ، التي تتصرف بسلاح جبار هو جهاز الدولة المركزي . ولقد اجتاز تطبيق مبدأ المركزية الديموقراطية اختبارا تاريخيا رائعا في تجربة الحـزب البولشفي الروسي ، حزب لينين وستالين .

أجل ، ايها الرفاق ، اننا ننادي بحزب سياسي جماهيري موحد للطبقـة العاملة ، لكن من هنا ايضا تنشأ ، كما قال الرفيق ستالين الضرورة الى « حزب كفاحي ، حزب ثوري ، له من الشجاعة ما يؤهله للسير بالبروليتاريا الى النضال في سبيل السلطة ، وله من التجربة ، ما يؤهله للاهتداء في الظروف المتشابكة للوضع الثوري . ومن المرونة ما يجعله يتفادى كل ما يتربص به خلال سيره نحو الهـدف » .

هذا هو ما يحدونا الى النضال من اجل الوحدة السياسيـــة على اساس الشروط المذكورة .

اننا مع الوحدة السياسية للطبقة العاملة ! ولذلك فاننا على استعداد للتعاون أوثق التعاون مع جميع الاشتراكيين الديموقراطيين ، الذين يساندون الجبهـة الموحدة ، ويمحضون تأييدهم للتوحيد على اساس الشروط المذكورة . ولكن بما اننا مع الوحدة ، فسنناضل بحزم ضد كل الديماغوجيين «اليساريين» الذيـن يسعون الى اتخاذ خيبة امل العمال الإشتراكيين الديموقراطيين ، وسيلة الـى تشكيل احزاب او امميات اشتراكية جديدة ، موجهة ضد الحركـة الشيوعية ، فتعمق على هذا النحو الانشقاق في صفوف الطبقة العاملة .

واننا لنرحب بالطموح المتعاظم وسط العمال الاشتراكيين الديموقراطيين ، الى الجبهة الموحدة مع الشيوعيين . فاننا نرى في هذا الواقع نمو وعيهم الثوري، وبداية للتغلب على انشقاق الطبقة العاملة . واننا لنعلن ، آخذين بعين الاعتبار ان وحدة العمل ضرورة لا مناص منها ، وانها السبيل القويم لقيام وحدة البروليتاريا السياسية ، ان الاممية الشيوعية وفروعها مستعدة للدخول في مفاوضات مـع الاممية الثانية وفروعها ، لتحقيق وحدة عمل الطبقة العاملة في النضال ضـد زحف الرأسمال ، ضد الفاشية ، وضد خطر حرب امبريالية جديدة .

خاتمـة

ايها الرفاق !

انني انهي تقريري . وكما ترون ، فاننا نطرح الان ، على نحو جديد ، جملة

من القضايا ، ولاسيما قضية الجبهة الموحدة ، والموقف حيال الاشتراكية الديموقراطية ، والنقابات الاصلاحية ، وغيرها من المنظمات الجماهيرية ، انطلاقا من دراسة الوضع الذي اعقب المؤتمر السادس ، ومن عبر نضالنا ، واستنادا الى درجة التعزيز التي حققتها احزابنا .

وقد يوجد من ذوي الحكمة من يرى في ذلك كله ارتدادا عن مواقعنا المبدئية، وانحرافا ما الى اليمين ، عن خط البولشفية . لكن ثم ماذا ! ان الناس في بلادنا ، بلغاريا ، يقولون : «ان الدجاجة الجوعانة تحلم بالشعير» .

فليفكر الدجاج السياسي كما يشاء .

فلا يهمنا ذلك الا قليلا . والذي يهمنا كثيرا هو ان تفهم احزابنا والجماهير الواسعة في العالم ، ما نسعى اليه ، فهما صحيحا .

فلن نكون ماركسيين – لينينيين ثوريين ، وتلامذة جديرين لماركس وانجلز ولينين ، ما لم نعد النظر ، كما ينبغي ، في سياستنا وتاكتيكنا ، وفقا لما يمليه الوضع المتغير والتحولات الطارئة على الحركة العمالية العالمية .

ولن نكون ثوريين حقا ، ما لم نتعلم من تجربتنا الخاصة ومن تجربة الجماهير .

وقد آن لاحزابنا في البلدان الراسمالية ان تناضل وتعمل باعتبارها احزاب سياسية للطبقة العاملة حقا ، وان تلعب دور العامل السياسي فعلا في حياة بلدانها ، وان تنتهج دائما وابدا ، سياسة بولشفية جماهيرية فعالة ، لا ان تقتصر على مجرد الدعاية والانتقاد ، ومجرد الدعوات الفارغة الى النضال من اجل دكتاتورية البروليتاريا .

اننا اعداء كل نمطية جامدة . ونحن نريد مراعاة الوضع الملموس في كل لحظة وفي كل مكان معين ، لا ان يجري العمل وفق قالب مقرر لكل زمان ومكان، والا ننسى ان موقف الشيوعيين لا يمكن ان يظل واحدا في مختلف الظروف .

اننا نريد ان يحسب حساب دقيق لسائر مراحل تطور الصراع الطبقي ، ونمو الوعي الطبقي لدى الجماهير بالذات ، وان نشخص ببراعة، في كل مرحلة ، ونحل المهام الملموسة للحركة الثورية ، التي تتناسب مع تلك المرحلة .

اننا نسعى لايجاد لغة مشتركة مع الجماهير الواسعة ، لكي نناضل ضد العدو المشترك ، وان نجد السبل الى التغلب نهائيا على انعزال الطليعة الثورية عن جماهير البروليتاريا وجميع الكادحين ، وكذلك الى انهاء العزلة الوبيلة بين الطبقة العاملة نفسها وحلفائها الطبيعيين في النضال ضد البورجوازية والفاشية.

اننا نريد اجتذاب اوسع الجماهير الى النضال الطبقي الثوري ، وتقريبها من الثورة البروليتارية ، انطلاقا من حاجاتها ومصالحها الملحة وعلى اساس تجربتها الخاصة .

اننا نريد ان نقرن ، على مثال بلاشفتنا الروس الامجاد ، وبالاقتداء بالحزب القائد للاممية الشيوعية – الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي – البطولة

الثورية التي يتحلى بها الشيوعيون الالمان والاسبان ، والنمساويـــون وغيرهم ، بالواقعية الثورية الحقة ، وأن نضع حدا لآخر بقايا التخبطات الفكرية حـــــول القضايا السياسية الجديدة .

اننا نريد ان نسلح احزابنا بالعدة الكاملة لتحل ما يواجهها من المهام السياسية البالغة التعقيد . ولا بد من النهوض ، لهذا الغرض ، بمستواها النظري وتربيتها بروح الماركسية ــ اللينينية الحية ، لا بروح النصية القاتلة .

اننا نريد ان نستأصل من بين صفوفنا ، الانعزالية المغرورة ، التي تشكل في المقام الاول ، حجر عثرة في طريقنا الى الجماهير ، وتعرقل انتهاج سياســـة جماهيرية بولشفية حقا .

اننا نريد ان نشدد ، بكل السبل ، نضالنا ضد جميع المظاهر الملموســـة للانتهازية اليمينية ، آخذين بعين الاعتبار ، ان الخطر من هذه الجهة سيتزايـــد بالذات اثناء العمل على انتهاج سياستنا ونضالنا الجماهيري .

اننا نريد من شيوعيي كل بلد ان يستخلصوا ويستفيدوا في الوقت المناسب من جميع العبر التي توفرها تجربتهم الخاصة باعتبارهم طليعة ثورية للبروليتاريا. ونريد لهم ان يتعلموا بأسرع ما يمكن ، كيف يخوضون غمار الصراع الطبقي ، لا ان يقعدوا على الشاطىء ليراقبوا ، ويسجلوا تلاطم الامواج ، بانتظار الطقس الجميل.

هذا هو ما نريده نحن !

واننا نريد كل ذلك ، لان الطبقة العاملة على راس جميع الكادحين ، ستكون بفضل ذلك ، وبرص صفوفها في جيش الثورة اللجب، وبقيادة الاممية الشيوعية، قادرة بلا ريب على اداء رسالتها التأريخية ــ على ان تكنس الفاشية ومعهـــا الراسمالية من على وجه الارض .

حول وحدة الطبقة العاملة ضد الفاشية[١]

ايها الرفاق ! ان المناقشات المسهبة حول تقريري تشهد على اهتمام المؤتمر البالغ بالقضايا والمهام التكتيكية الاساسية لنضال الطبقة العاملة ضد زحف الراسمال والفاشية ، وضد خطر الحرب الامبريالية .

وبتلخيصنا الان للمناقشات التي استغرقت ثمانية ايام ، نستطيع القول بان جميع موضوعات التقرير الجوهرية قد لقيت استحسان المؤتمر بالاجماع . فلم يعترض اي متحدث على الموضوعات التكتيكية التي رسمناها ، ولا على القرار المقترح .

ويمكننا القول بجراة بان اي مؤتمر من مؤتمرات الاممية الشيوعية السابقة لم يظهر مثل هذا التماسك السياسي والايديولوجي الذي ظهر الان . ويشهد الاجماع التام في المؤتمر على ان ادراك ضرورة اعادة النظر في سياستنا وتكتيكنا وفق ما تقتضيه الاوضاع الراهنة وعلى اساس تجربة السنوات الاخيرة الزاخرة بالعبر ، قد نما كليا في صفوفكم .

ولا ريب في ان هذا الاجماع يمكن ان يعتبر من بين العوامل الاكثر اهمية لايجاد حل صائب لمهمة الحركة البروليتارية الدولية الرئيسية الاكثر الحاحا ـ اي تحقيق وحدة العمل بين جميع فصائل الطبقة العاملة في النضال ضد الفاشية .

ولحل هذه المهمة بنجاح ، ينبغي اولا ـ ان يستخدم الشيوعيون ببراعة سلاح التحليل الماركسي اللينيني ، بعد ان يدرسوا بامعان وضع وموقع القوى الطبقية في تطورها ، وأن يضعوا على ضوء ذلك ، خطط نشاطهم الكفاحي . وعلينا ان نستاصل بلا رحمة ميلنا الى الانماط الجامدة ، والصيغ البالية ، والقوالب الجاهزة ، ذلك الميل الذي غالبا ما يعيق رفاقنا . وعلينا ان نضع حدا لهذا الوضع الذي يلجأ فيه الشيوعيون الذين تنقصهم الدراية والقدرة على التحليل الماركسي اللينيني الى استبدال هذا التحليل بعبارات عامة وشعارات غامضة من طراز «مخرج ثوري من الازمة» دون ان يحاولوا العمل بجد لان يوضحوا في اية ظروف وفي اي تناسب للقوى الطبقية ، واي درجة للنضج الثوري لدى البروليتاريا

---

(١) كلمة الاختتام في المؤتمر العالمي السابع للاممية الشيوعية ، ١٣ آب ـ اغسطس ـ ١٩٣٥ .

والكادحين ، وفي اي مدى لتأثير الحزب الشيوعي ، يمكن ايجاد مثل هذا المخرج الثوري من الازمة . وما لم يتوفر هذا التحليل ، فان جميع الشعارات المماثلة تصبح صدى مبهما ، وعبارة جوفاء ، ليس من شأنها الا ان تعقد مهامنا الراهنة. وما لم يتوفر التحليل الماركسي اللينيني الملموس ، فلن نستطيع ابدا ان نطرح ونحل بشكل صائب لا مسألة الفاشية ، ولا مسألة الجبهة البروليتارية والجبهة الشعبية الموحدة ، ولا مسألة موقفنا حيال الديموقراطية البورجوازية ، ولا مسألة حكومة الجبهة الموحدة ، او مسألة التحولات الجارية في صفوف الطبقة العاملة ولاسيما وسط العمال الاشتراكيين الديموقراطيين ، ولا العديد من القضايا الجديدة المعقدة الاخرى ، التي تطرحها وستطرحها امامنا الحياة ذاتها وتطور الصراع الطبقي .

ثانيا ــ اننا بحاجة الى رجال حيويين ، رجال ينشأون في اوساط الطبقة العاملة ، وفي غمرة نضالها اليومي ، رجال خليقين بالعمل الكفاحي ، أمناء بلا تحفظ لقضية البروليتاريا ، ستنفذ على كواهلهم وبفضل حيويتهم ، قرارات مؤتمرنا هذا . فبدون بلاشفة ، وبدون ملاكات ماركسية لينينية ، لا نستطيع ان نحل هذه المهام الهائلة ، التي تواجه الكادحين في الكفاح ضد الفاشية .

ثالثا ــ اننا بحاجة الى رجال متسلحين ببوصلة النظرية الماركسية اللينينية، لاستخدامها ببراعة ، والا فانهم سيتحولون الى رجال محدودي الافق ، قصيري النظر ، تطبيقيين ، عاجزين عن النفاذ الى جوهر الامور ، لا يجدون الحلول الا بين آونة واخرى ، ولا يهتدون الى افق النضال الرحب الذي يدل الجماهير الكادحة الى اين نمضي نحن ، والى اين نقودها .

رابعا ــ اننا بحاجة الى تنظيم للجماهير بغية تطبيق قراراتنا وتجسيدها في الحياة . فلا يكفينا مجرد نفوذنا الفكري ــ السياسي . لذا علينا ان نكف عن الركون الى عفوية الحركة ، الذي هو احد نواقصنا الاساسية . ولنتذكر ان الجماهير لن تلجأ الى شاطىء الشيوعية بدون عمل منظم ، عنيد ، ومتواصل ، وصبور ، قد يبدو بلا طائل احيانا . ولكي ننجح بتنظيم الجماهير ، علينا ان نتقن الفن اللينيني في الا نكتفي باطلاع الشيوعيين وحدهم على قراراتنا ، بل وان نطلع اوسع جماهير الكادحين ايضا . وعلينا ان نتعلم كيف نتحدث الى الجماهير ، لا بلغة الصيغ الادبية ، بل بلغة المناضلين من اجل قضية الجماهير الذين تعكس كل كلمة من كلماتهم وكل فكرة من افكارهم ، افكار وامزجة الملايين .

انني اريد ان اتطرق بالدرجة الاولى الى هذه المسائل في كلمتي الختامية .

ايها الرفاق ! لقد لقي المؤتمر الموضوعات التكتيكية السياسية بحماسة واجماع . والواقع ان الحماسة والاجماع امران رائعان بحد ذاتهما . لكن الافضل من ذلك ان يقترنا بموقف انتقادي عميق حيال المهام التي تواجهنا ، وباستيعاب صائب للقرارات المتخذة وبتفهم فعلي لوسائل وطرق تطبيق هذه القرارات في الظروف الملموسة لكل بلد .

ذلك اننا اتخذنا من قبل وباجماع تام ، قرارات ليست سيئة. غير ان المصيبة كانت تتلخص في اننا اتخذناها بصورة شكلية محضة ، وفي احسن الاحوال ، لم تحط علما بهذه القرارات سوى الطليعة غير الواسعة للطبقة العاملة . فلم تصبح قراراتنا جزء لا يتجزأ من الجماهير الواسعة ، ولم تتحول الى دليل لعمل الملايين.

فهل باستطاعتنا القول اننا قد تخلصنا كليا ، من هذا المسلك الشكلي حيال القرارات المتخذة ؟ كلا . ينبغي القول بانه قد ظهرت في مناقشات بعض الرفاق، حتى في هذا المؤتمر ، بقايا الشكلية ، كما احسسنا احيانا بالطموح الى استبدال التحليل الملموس للواقع وللتجربة الحية ، بصيغة جاهزة جديدة ، وبقالب مبسط متهافت ، وباحلال ما نرغب نحن به وغير الموجود بعد ، محل الواقع الموجود فعلا.

النضال ضد الفاشية ينبغي ان يكون ملموسا

ان اية تشخيصات عامة للفاشية ، مهما كانت صادقة بحد ذاتها ، لا تعفينا من ضرورة ان ندرس ونحسب حسابا ، بشكل ملموس، لخصائص تطور الفاشية، ولمختلف اشكال الدكتاتورية الفاشية في مختلف البلدان ، وفي شتى المراحل . ومن الضروري ان يجري في كل بلد ، تتبع ، ودراسة ، وتقصي لكل ما هو متميز قوميا ، ومتفرد قوميا في الفاشية ، وان يجري رسم اساليب العمل واشكال النضال ضد الفاشية تبعا لذلك .

فلقد حذّرنا لينين بأصرار من كل «نمطية ، وكل تعبير ميكانيكي ، للقواعد التكتيكية ، قواعد النضال ، ومن المساواة بينها» . ويصح هذا التوجيه بشكل خاص ، عندما يتعلق الامر بالنضال ضد عدو يستغل بكل ذلك الوضوح والعنت ، المشاعر القومية لدى الجماهير ، واوهامها ، وامزجتها المعادية للراسمالية، لمصلحة راس المال الكبير . ان مثل هذا العدو ينبغي ان يعرف بدقة وشمول . ومن الضروري الرد فورا على مناوراته المختلفة ، والكشف عن تحركاته الخفية ، وان نكون على استعداد لنتصدى له في كل ميدان ، وفي كل لحظة . ولا ينبغي ان نتحرج حتى من ان نتعلم من العدو ، اذا ساعدنا ذلك ، على ان ندق عنقه بسرعة وبشكل مضمون .

وانه لمن الاخطاء الفادحة ان يرسم مخطط عام لتطور الفاشية بالنسبة لجميع البلدان والشعوب . فلن ينفعنا مثل هذا المخطط ، بل سيعيقنا عن شن النضال الفعلي . فانه يؤدي بنا ، فضلا عن اي شيء اخر ، الى ان ندفع اعتباطا الى معسكر الفاشية ، بتلك الفئات من السكان التي يمكن ان نجرها في مرحلة معينة من مراحل التطور ، وبالسلوك الصائب حيالها ، الى النضال ضد الفاشية ، او ان نضمن حيادها على الاقل .

ولناخذ مثلا تطور الفاشية في فرنسا والمانيا . ان بعض الرفاق يعتقدون

بان الفاشية لا يمكن على العموم ان تتطور في فرنسا بمثل السهولة التي تتطور بها في المانيا . فما هو الصحيح ، وما هو الخاطىء هنا ؟ الصحيح هو ان المانيا لم تكن توجد فيها مثل التقاليد الديموقراطية الراسخة ، كما في فرنسا ، التي انجزت في القرنين الثامن عشر ، والتاسع عشر ، عدة ثورات . وصحيح كذلك ان فرنسا هي البلد الذي كسب الحرب ، وفرض معاهدة فرساي على بلدان اخرى ، وان الجماهير في فرنسا لا تعاني من ذلك الشعور القومي المثلوم الذي لعب ذلك الدور الكبير في المانيا . وصحيح ان الجماهير الفلاحية الاساسية في فرنسا لها ميول جمهورية ، معادية للفاشية ، ولاسيما في المناطق الجنوبية ، خلافا لالمانيا حيث كان جزء هام من الفلاحين واقعا تحت نفوذ الاحزاب الرجعية قبل وصول الفاشية الى السلطة .

لكن بالرغم من الفوارق الموجودة في تطور الحركة الفاشية في فرنسا والمانيا، وبالرغم من العوامل التي تعرقل زحف الفاشية في فرنسا ، سيكون من قصر النظر ، ايها الرفاق ، ان لا نرى النمو المتواصل للخطر الفاشي في هذه البلاد ، وان نقلل من امكانية انقلاب فاشي . فثمة في فرنسا طائفة من العوامل التي تسهل تطور الفاشية . فلا تنسوا ان الازمة الاقتصادية التي ذر قرنها في فرنسا بعد البلدان الراسمالية الاخرى ، ما فتئت تتعمق وتحتدم ، مما يسهل الامر كثيرا على الديماغوجية الفاشية الجامحة . كما ان للفاشية الفرنسية مواقع قوية جدا في الجيش ، وفي اوساط الضباط لم تتسن للاشتراكيين القوميين في الرايخسفير(١) قبل مجيئهم الى السلطة . وبعد ، فان فساد النظام البرلماني لم يتخذ في اي بلد من البلدان تقريبا ، تلك المقاييس المريعة التي اتخذها في فرنسا ، ولا اثار لدى الجماهير مثل ما اثار فيها ، من الامتعاض الذي يستغله الفاشست الفرنسيون كما نعلم ، استغلالا ديماغوجيا في النضال ضد الديموقراطية البورجوازية . ولا تنسوا كذلك ان خوف البورجوازية الفرنسية المفرط من فقدان زعامتها السياسية والعسكرية فياوروبا ، يساعد على نمو الفاشية فيها .

ومن هنا يتضح ان الانتصارات التي حققتها الحركة المعادية للفاشية في فرنسا ، والتي تحدث عنها هنا الرفيقان توريز وكاشان ، وابتهجنا لها نحن بكل جوارحنا ، ما زالت بعيدة عن ان تعتبر واقعا ، يشهد بان الجماهير الكادحة قد افلحت كليا بسد الطريق على الفاشية . ومن الضروري التأكيد ثانية وبكل اصرار، على الخطورة البالغة لمهام الطبقة العاملة الفرنسية في النضال ضد الفاشية ـ تلك المهام التي اتيت على ذكرها في تقريري .

ومن الخطر ايضا ان نخدع انفسنا حول ضعف الفاشية في بقية البلدان التي لا تجد الفاشية فيها قاعدة جماهيرية واسعة . فان لدينا امثلة لبلدان كبلغاريا

---

(١) اسم الجيش الالماني .

ويوغوسلافيا وفنلندا . جاءت فيها الفاشية الى السلطة بالرغم من افتقارها الى قاعدة واسعة ، وبالاستناد الى القوات الحكومية المسلحة ، وحاولت بعد ذلك توسيع قاعدتها عن طريق استغلال جهاز الدولة .

ولقد كان الرفيق «دات» على صواب ، حينما قال انه كان هنالك ميل في صفوفنا للنظر الى الفاشية عموما ، ودونما اعتبار للخصائص الملموسة للحركات الفاشية في مختلف البلدان ، وظن خاطىء بان كل التدابير الرجعية التي تتخذها البورجوازية هي ضرب من الفاشية ، وحتى اعتبار المعسكر اللاشيوعي كله فاشيا . فان النضال ضد الفاشية ، لم يتعزز ، بل على العكس ، ضعف من جراء ذلك .

ولكن ما تزال هنالك بقايا السلوك النمطي الجامد حيال الفاشية . افليس من مظاهر هذا السلوك النصي الجامد ، ان يزعم بعض الرفاق بان «النظام الجديد» لروزفلت يمثل بحد ذاته شكلا من اشكال تطور البورجوازية نحو الفاشية ، اكثر حدة ووضوحا من «الحكومة القومية» في انكلترا مثلا ؟ ولا بد ان يكون المرء مفرقا في النصية والجمود ، لكي لا يرى ، ان الدوائر الراسمالية الاميركية الموغلة بالرجعية ، التي تهاجم روزفلت ، هي التي تمثل تلك القوة التي تشجع الحركة الفاشية وتنظمها في الولايات المتحدة الاميركية . اما عدم رؤية الفاشية الفعلية الناشئة في الولايات المتحدة الاميركية ، وراء العبارات المرائية لمثل هذه الاوساط فيما يتعلق «بحماية الحقوق الديموقراطية للمواطنين الاميركيين» فذلك يعني تضليل الطبقة العاملة في نضالها ضد عدوها الالد .

وتتطور في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة ، كما اشير هنا ، زمر فاشية معينة ، غير ان الحديث لا يمكن ان يدور هنا قطعا ، عن تلك الفاشية التي الفنا مشاهدتها نحن في المانيا ، ايطاليا ، وبقية البلدان الراسمالية . وينبغي ان تدرس هنا ، وتؤخذ بنظر الاعتبار ، الظروف الاقتصادية والسياسية والتأريخية الخاصة ، التي اتخذت الفاشية وستتخذ ، اشكالها المناسبة ، وفقا لها .

ان بعض الرفاق ، المصابين بخمول الذهن ، حين يعجزون عن رؤية ظواهر الواقع الحي ، يستعيضون عن الدراسة الوافية المفصلة للواقع الملموس ، وتناسب القوى الطبقية ، بصيغ لا تدل على شيء . وهم لا يشبهون الرماة الذين يصيبون الهدف بدقة ، بل الرماة «الحاذقين» الذين يضربون خارج الهدف بدقة وانتظام، فتارة فوقه وتارة دونه ، ومرة بعيدا عنه واخرى قريبا منه . اما نحن ، ايها الرفاق ، بصفتنا مناضلين شيوعيين في الحركة العمالية ، وبصفتنا طليعة ثورية للطبقة العاملة ، فنريد ان نصبح رماة يصيبون الهدف فعلا وبلا خطأ .

جبهة بروليتارية موحدة ام جبهة شعبية معادية للفاشية

يكد بعض الرفاق اذهانهم عبثا متسائلين ، بم نبدأ ـ أبالجبهة البروليتارية

الموحدة ام بالجبهة الشعبية المعادية للفاشية ؟

ويزعم البعض بان من غير الممكن الشروع في اقامة الجبهة الشعبية المعادية للفاشية ، ما لم تنظم جبهة موحدة وطيدة للبروليتاريا .

وبما ان اقامة جبهة بروليتارية موحدة تصطدم بمقاومة الفئة الرجعية من الاشتراكيين الديموقراطيين في العديد من البلدان ـ هكذا يفكر آخرون ـ فمن الافضل ان نبدأ على الفور بالجبهة الشعبية ، وعلى هذا الاساس وحده ستتطور الجبهة الموحدة للطبقة العاملة .

ان كلا الطرفين لا يفهمان ، كما يبدو ، ان الجبهة البروليتارية ، والجبهة الشعبية المعادية للفاشية ترتبطان بديالكتيك النضال الحي، وتتشابكان، وتتداخلان في مجرى النضال الفعلي ضد الفاشية ، ولا يفصل بينهما جدار صيني على الاطلاق .

ومن غير الممكن ، في الواقع ، التفكير تفكيرا جديا ، بامكان تحقيق الجبهة الشعبية المعادية للفاشية تحقيقا فعليا ، دون تحقيق وحدة عمل الطبقة العاملة نفسها ، التي هي القوة القيادية في هذه الجبهة . وفي الوقت ذاته ، يتوقف تطور الجبهة البروليتارية الموحدة المضطرد ، الى حد كبير ، على تحولها الى جبهة شعبية ضد الفاشية .

فتأملوا ، ايها الرفاق ، احد هؤلاء النصيين ، يقف ازاء قرارنا هذا وكأي متحذلق حقيقي يضع خطته الجاهزة التالية :

في البداية جبهة موحدة للبروليتاريا من تحت ، على النطاق المحلي ،
ثم جبهة موحدة من تحت على نطاق منطقي ،
وبعدئذ جبهة موحدة من فوق ، تجتاز نفس المراحل ،
ومن ثم وحدة الحركة النقابية ،
وبعدها اجتذاب الاحزاب الاخرى المعادية للفاشية ،
ثم جبهة شعبية واسعة من فوق ومن تحت ،

وبعد ذلك ينبغي للحركة ان ترتفع الى مستوى عال ، وتتصاعد فيها الروح السياسية والثورية ، وهلمجرا وهلمجرا .

انكم ستقولون ، ايها الرفاق ، ان هذا سخف مبيّن . انني معكم . لكن المصيبة هي ان مثل هذا السخف الانعزالي ما زال يلاحظ بشكل او اخر وعلى نطاق واسع في صفوفنا مع الاسف .

لكن كيف هو الامر في الواقع ؟ ان علينا ، بالطبع ، ان نناضل في كل مكان لاقامة جبهة شعبية شاملة للكفاح ضد الفاشية . ولكننا لن نذهب في العديد من البلدان ، ابعد من الاحاديث عن الجبهة الشعبية ، اذا لم نفلح ، عن طريق تعبئة الطبقة العاملة ، بقهر مقاومة الجناح الرجعي من الاشتراكية الديموقراطية ، لجبهة النضال البروليتاري الموحدة . هكذا هي الحال ، في انكلترا قبل كل شيء ، حيث تشكل الطبقة العاملة اغلبية السكان ، وحيث تجر النقابات وحزب العمال وراءهما

الشطر الاكبر من الطبقة العاملة . وهكذا هي الحال ، في بلجيكـــا والبلدان الاسكندنافية ، حيث تواجه الاحزاب الشيوعية القليلة التعداد ، اتحادات نقابية جماهيرية قوية واحزابا اشتراكية ديموقراطية كبيرة عدديا .

وسيقترف الشيوعيون في هذه البلدان خطأ سياسيا كبيرا ، اذا ما تخلوا عن النضال من اجل اقامة الجبهة البروليتارية الموحدة ضمن محادثات عامة من اجل الجبهة الشعبية ، التي لا يمكن ان تقوم بدون اشتراك المنظمات الجماهيرية للطبقة العاملة . ولكي تقوم في هذه البلدان ، جبهة شعبية حقيقية ، على الشيوعيين ان ينهضوا بعمل سياسي وتنظيمي جبار وسط الجماهير العمالية . وعليهم ان يبددوا الاوهام لدى هذه الجماهير التي تعتبر ان منظماتها الجماهيرية الاصلاحية تجسيد للوحدة البروليتارية ، وان يقنعوا هذه الجماهير بان اقامة الجبهة الموحدة مـــع الشيوعيين يعني انتقال هذه الجماهير الى مواقع النضال الطبقي ، وان مثل هذا الانتقال سيضمن النصر للنضال ضد زحف راس المال والفاشية . واننا لن نذلل ما يواجهنا من عقبات في الطريق ، بوضع مهام اوسع هنا ، بل على العكس ، فاننا اذ نناضل لازاحة هذه العراقيل ، نهيىء الظروف لا بالاقوال ، بل بالافعال ، لايجاد جبهة شعبية حقا للنضال ضد الفاشية ، وضد زحف الراسمال وضد خطر حرب امبرياليـــة .

والوضع يختلف عن ذلك في بلدان كبولونيا ، حيث تتطور الى جانب الحركة العمالية ، حركة فلاحية قوية ، وحيث ان للفلاحين منظماتهم الخاصة ، التـــي يزداد نضالها جذرية تحت وطأة الازمة العقارية ، وحيث يثير الاضطهاد القومـــي التذمر وسط الاقليات القومية . فان تطور جبهة النضال الشعبية الشاملة هنـــا سيسير جنبا الى جنب مع تطور الجبهة البروليتارية الموحدة ، وربما تسبق حركة الجبهة الشعبية الشاملة ، حركة الجبهة العمالية في مثل هذه البلدان .

خذوا مثلا على ذلك ، اسبانيا التي تجتاز عمليـــة الثورة البورجوازيـــة الديموقراطية . اذ يمكن القول بان التفكك التنظيمي للبروليتاريا هنا ، يتطلب تحقيق الوحدة التامة لنضال الطبقة العاملة قبل اقامة الجبهة العمالية الفلاحية ضد «ليروس» و«خيل روبلس» ، فاننا اذا ما طرحنا المسألة علـــى هذا الوجه ، فسيندفع بالبروليتاريا الى العزلة عن الفلاحين ، وسنفضي الى التخلي عن شعار الثورة الزراعية عمليا وبالتالي سنيسّر لاعداء الشعب ، امكانية تصديع صفوف البروليتاريا والفلاحين وتأليب الاخيرين على الطبقة العاملة . وكـــان ذلك كما تعلمون ، احد الاسباب الاساسية لهزيمة الطبقة العاملة في معارك اوكتوبر ١٩٣٤ في اشتوريا .

لكن علينا الا ننسى شيئا واحدا :

ففي جميع البلدان التي تكون فيها البروليتاريا قليلة العدد نسبيا ، وحيث ترجح كفة الفلاحين وفئات البورجوازية الصغيرة في المدن ــ يتعين علينا ان نبذل قصارى جهودنا من اجل اقامة جبهة موحدة وطيدة للطبقة العاملة ذاتها ، لكـــي

تستطيع ان تتبوأ مكانتها باعتبارها عاملا قياديا لسائر الكادحين .

وهكذا ، ايها الرفاق ، فليس بالامكان ان تعطى ، عند حل مسألة الجبهة البروليتارية والجبهة الشعبية ، اية وصفات وافية لجميع اوضاع الحياة ولكل البلدان ولكل الشعوب . فان الشمولية في مثل هذه المسألة وتطبيق نفس الوصفات بالذات على كل البلدان ، يعني ، اذا سمحتم ، جهلا مطلقا ، وعلينا ان نحارب الجهل دائما ولاسيما اذا تستر وراء قناع الوصفات الشمولية .

حول دور الاشتراكية الديموقراطية وموقفها من جبهة البروليتاريا الموحدة

ايها الرفاق ! ان الاجابة الصحيحة على سؤال ، هل تمثل الاشتراكية الديموقراطية في اللحظة الراهنة ، وأين يمكن ان تمثل ، الدعامة الرئيسية للبورجوازية ، تكتسب اهمية بالغة من وجهة نظر مهماتنا التكتيكية .

لقد تناول هذه المسألة بعض الرفاق الذين شاركوا في المناقشات (الرفيقان فلورين ، ودات) ، ولكن علينا ان نوفيها حقها على وجه اكمل ، نظرا لاهميتها . انها مسألة يطرحها ، ولا يمكن الاان يطرحها العمال من جميع التيارات ولاسيما العمال الاشتراكيون الديموقراطيون .

وعلينا ان نأخذ بعين الاعتبار ، ان وضع الاشتراكية الديموقراطية في الدولة البورجوازية وموقفها من البورجوازية قد تغير في العديد من البلدان او هو في طور التغيير .

اولا : لان الازمة قد زعزعت من الاساس حتى وضع الفئات العمالية الاكثر استقرارا ، ونعني ما تسمى بارستقراطية العمال ، التي تستند اليها الاشتراكية الديموقراطية بالدرجة الاولى ، كما هو معروف . وحتى هذه الفئات بدات تغير وجهات نظرها السابقة ، باستمرار ، فيما يتعلق بجدوى سياسة التعاون الطبقي مع البورجوازية .

ثانيا : باتت البورجوازية نفسها ، في العديد من البلدان ، كما اشرت في تقريري ، مضطرة الى التخلي عن الديموقراطية البورجوازية ، واللجوء الى الشكل الارهابي لدكتاتوريتها ، مجردة الاشتراكية الديموقراطية بذلك ، لا من وضعها السابق في جهاز دولة راس المال المالي وحسب ، بل وحرمتها في بعض الظروف ، حتى من علنيتها وعرّضتها الى الملاحقات والتنكيل .

ثالثا : بتأثير العبر المستمدة من هزيمة العمال في المانيا ، النمسا ، واسبانيا التي جاءت نتيجة لسياسة التعاون الطبقي التي انتهجتها الاشتراكية الديموقراطية حيال البورجوازية ، وبتأثير انتصار الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي ، كنتيجة للسياسة البولشفية ولتطبيق الماركسية الثورية ، تتصاعد الروح الثورية لدى العمال الاشتراكيين الديموقراطيين ، ويبدأ انعطافهم نحو الصراع الطبقي ضد

البورجوازية .

ان هذه الاسباب بمجملها تعيق بشكل متزايد ، وتجعل من المستحيل على الاشتراكية الديموقراطية في بعض البلدان ، ان تظل متشبثة بدورها السابق كدعامة للبورجوازية .

ان العجز عن فهم ذلك ، ضار جدا ، لاسيما في تلك البلدان التي جردت الفاشية فيها ، الديموقراطية الاشتراكية من شرعيتها . ومن وجهة النظر هذه، كان صحيحا الانتقاد الذاتي الذي مارسه الرفاق الالمان الذين نوهوا في خطاباتهم بضرورة القضاء على التشبث الاعمى بنصوص الصيغ والقرارات البالية ، المتعلقة بالديموقراطية الاشتراكية ، والتخلص من تجاهل التغيرات في وضعها الجديد .

ومن الواضح ، ان تجاهلا كهذا يؤدي الى تحريف خطنا لبناء وحدة الطبقة العاملة ويسهل العمل التخريبي من قبل العناصر الرجعية في اوساط الاشتراكية الديموقراطية .

غير ان عملية النضج الثوري داخل الحزب الاشتراكي الديموقراطي ، الجارية الان في كل البلدان ، تتطور بشكل غير متناسق ، ولا يجوز ان نتصور الامور ، كما لو ان العمال الاشتراكيين-الديموقراطيين الذين تتصاعد فيهم الروح الثورية ، سينتقلون فورا وبنطاق جماهيري الى مواقع الصراع الطبقي الدائب ، وسيتحدون مع الشيوعيين مباشرة وبدون اية مراحل وسيطة . فان ذلك سيكون في العديد من البلدان ، عملية طويلة ، ومعقدة ، بدرجة او اخرى ، وستتوقف جوهريا وفي كل الاحوال على سياستنا وتكتيكنا الصائبين . وعلينا ان نقيم حسابا حتى لاحتمال ان بعض الاحزاب والمنظمات الاشتراكية الديموقراطية ستظل ، ابان انتقالها من مواقف التعاون الطبقي مع البورجوازية الى مواقف الصراع الطبقي ضد البورجوازية ، محتفظة بكيانها المستقل الى حين . وبطبيعة الحال ، لا يمكن النظر الى هذه الاحزاب والمنظمات ، آنذاك ، كدعامة للبورجوازية .

كما لا ينبغي ان ننتظر من العمال الاشتراكيين الديموقراطيين الذين يخضعون منذ عشرات السنين لتأثير ايديولوجية التعاون الطبقي مع البورجوازية ، ان يفترقوا من تلقاء ذاتهم مع هذه الايديولوجية بحكم تأثير الظروف الموضوعية وحدها. كلا، ان من واجبنا نحن الشيوعيين ان نعينهم على الانعتاق من سلطان الايديولوجية الاصلاحية . وينبغي ان يتم ايضاح مبادىء الشيوعية ومنهاجها ، بروح رفاقية ، وبأناة وصبر ، مع مراعاة مستوى النضج السياسي لمختلف العمال الاشتراكيين ـ الديموقراطيين . اما انتقادنا للاشتراكية الديموقراطية ، فينبغي ان يكون اكثر دقة ومنهجية . ويجب ان يقوم على اساس تجربة الجماهير الاشتراكية ـ الديموقراطية نفسها . وعلينا ان نضع في الحسبان ان من الممكن والواجب تسهيل التطور الثوري للعمال الاشتراكيين ـ الديموقراطيين ، استنادا الى تجربة النضال المشترك ضد العدو الطبقي ، وبالسير يدا بيد مع الشيوعيين . وما من وسيلة لدى العمال الاشتراكيين ـ الديموقراطيين اكثر جدوى لتخطي ترددهم وشكوكهم ، من

اشتراكهم في الجبهة البروليتارية الموحدة .
وانا سنبذل كل ما في وسعنا ، لتسهيل الامر ، ليس على العمال الاشتراكيين الديموقراطيين وحدهم ، بل وعلى جميع مناضلي الاحزاب الاشتراكية ـ الديموقراطية ، الذين يريدون الانتقال باخلاص الى المواقف الثورية الطبقية ، ويصبون حقا الى العمل والنضال معنا ضد العدو الطبقي . لكننا نعلن في الوقت ذاته : اما اولئك القادة ، والمسؤولون القاعديون والعمال الاشتراكيون والديموقراطيون ، الذين يواصلون مساندة الدور الانشقاقي للزعماء الرجعيين ، ويناهضون الجبهة الموحدة وبذلك يساعدون العدو الطبقي بصورة مباشرة او غير مباشرة ، فانهم يأخذون على عاتقهم ، بمجرد هذا العمل ، مسؤولية لا تقل عن المسؤولية التأريخية لاولئك الذين ساندوا السياسة الاشتراكية الديموقراطية للتعاون الطبقي، تلك السياسة التي فرطت بالثورة في العديد من البلدان الاوروبية خلال عام ۱۹۱۸ ومهدت الطريق امام الفاشية .
ان مسألة الموقف من الجبهة الموحدة هي الحد الفاصل بين الجناح الرجعي للاشتراكية الديموقراطية وفئاتها المتطورة ثوريا . وبقدر ما يكون نضالنا اشد حزما ضد المعسكر الرجعي للاشتراكية الديموقراطية المتحالفة مع البورجوازية ، تكون مساعدتنا للجناح الثوري أشد جدوى وفعالية . وسيسير تبلور مختلف العناصر ضمن المعسكر اليساري بمزيد من السرعة ، كلما ناضل الشيوعيون ، بمزيد من الحزم من اجل الجبهة الموحدة مع الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية . كما ان مجرى الصراع الطبقي ومساهمة الاشتراكيين الديموقراطيين في حركة الجبهة الموحدة ستكشف عمن هو «يساري» بالاقوال ، وعمن هو يساري بالفعل في هذا المعسكر .

حول حكومة الجبهة الموحدة

اذا كان موقف الاشتراكية ـ الديموقراطية من مسألة التحقيق الفعلي للجبهة البروليتارية الموحدة ، القرينة الرئيسية في كل بلد ، على ما اذا كان دور الحزب الاشتراكي الديموقراطي او مختلف فئاته في الدولة البورجوازية ، قد تغير ، والى اي مدى تغير ، فان موقف الاشتراكية ازاء مسألة حكومة الجبهة الموحدة هو دليل قاطع على ذلك .

وفي الوضع الذي تطرح فيه مسألة تشكيل حكومة الجبهة الموحدة في جدول الاعمال كمهمة عملية مباشرة ، فان هذه المسألة ستكون حجر المحك لسياسة الاشتراكية الديموقراطية في البلد المعين : فاما مع البورجوازية المتطورة فاشيا، واما مع البروليتاريا الثورية ضد الفاشية ، لا بالاقوال ، بل بالافعال . هكذا سيطرح السؤال المحتوم سواء في لحظة قيام حكومة الجبهة الموحدة او اثناء حكمها .

ويخيّل اليّ ، ايها الرفاق ، ان التقرير استوفى ما هو ضروري لتعيين الاتجاه التكتيكي العام فيما يتعلق بطابع وظروف قيام حكومة الجبهة الموحدة او الجبهة الشعبية المعادية للفاشية. اما طلب المزيد، اي تحديد كل الانواع والظروف المحتملة لقيام مثل هذه الحكومة ، فيعني التخبط في تخمينات عقيمة .

وبودي ان احذركم من تبسيط هذه المسألة وقولبتها . فان الحياة اكثر تعقيدا من كل القوالب الجاهزة . فلا يصح مثلا تصوير المسألة وكأن حكومة الجبهة الموحدة ، مرحلة حتمية في الطريق نحو اقامة دكتاتورية البروليتاريا . فذلك غير صحيح ، كما كان غير صحيح من قبل ، طرح المسألة وكأنه سوف لن تكون في البلدان الفاشية اية مراحل وسيطة، وكأن الدكتاتورية الفاشية ستستبدل حتما وبصورة مباشرة بدكتاتورية البروليتاريا .

فان جوهر المسألة يتلخص فيما يلي : هل ستكون البروليتاريا ذاتها مستعدة في اللحظة الحاسمة للاطاحة بالبورجوازية واقامة سلطتها مباشرة ، وهل ستنجح في ان تضمن في هذه الحالة مساندة حلفائها ، ام ستكون حركة الجبهة البروليتارية الموحدة او الجبهة الشعبية المعادية للفاشية قادرة في المرحلة المناسبة على ان تسحق وتطيح بالفاشية فقط ، بدون الانتقال مباشرة الى تصفية الدكتاتورية البورجوازية . اما ان تتخلى في هذه الحالة وعلى هذا الاساس وحده، عن اقامة الجبهة الموحدة او الجبهة الشعبية ، فسيكون ذلك قصر نظر سياسي غير جائز ، وليس سياسة ثورية جدية .

وليس من الصعب ان نفهم كذلك ، ان اقامة حكومة الجبهة الموحدة في البلدان التي لم تصل فيها الفاشية الى السلطة بعد ، شيء يختلف عنه في بلدان الدكتاتورية الفاشية . فان قيام مثل هذه الحكومة في البلدان الاخيرة ، لا يمكن تحقيقه الا في عملية الاطاحة بالسلطة الفاشية . لما في البلدان التي تتطور فيها الثورة البورجوازية الديموقراطية فان بالامكان ان تتحول حكومة الجبهة الشعبية الى حكومة لدكتاتورية العمال والفلاحين الديموقراطية .

وكما اسلفنا القول في التقرير ، فان الشيوعيين سيساندون حكومة الجبهة الموحدة مساندة شاملة ما دامت ستناضل فعلا ضد اعداء الشعب وتطلق حرية العمل للحزب الشيوعي والطبقة العاملة . اما مسألة اشتراك الشيوعيين في الحكومة ، فتتوقف كليا على الوضع الملموس . وان مثل هذه القضية ستحسم في كل حالة على حدة . ولا يمكن هنا اعطاء اية وصفات جاهزة بصورة تمهيدية .

الموقف من الديموقراطية البورجوازية

اشير اثناء المناقشات ، الى ان الحزب البولوني ، الذي يعبىء الجماهير ضد هجوم الفاشية على حقوق الكادحين ، «ما يزال يعاني تخوفا من الصياغة الايجابية

للمطالب الديموقراطية لئلا يشيع الاوهام الديموقراطية وسط الجماهير» ، ومثل هذا التخوف من الصياغة الايجابية للمطالب الديموقراطية لا يقتصر وجوده ، بشكل او اخر ، على الحزب البولوني وحده .

فأين هو مصدر هذا الخوف ، ايها الرفاق ؟ انه الفهم الخاطىء ، غير الديالكتيكي لمسألة الموقف من الديموقراطية البورجوازية . اننا نحن الشيوعيين، انصار ثابتون للديموقراطية السوفييتية ، التي اسفرت تجربتها العظيمة عن دكتاتورية البروليتاريا في الاتحاد السوفييتي ، حيث اعلن هذه اللحظة في مرسوم المؤتمر السابع للسوفييتات ، مبدأ الانتخابات العامة المتكافئة ، المباشرة والسرية. بينما تصفى فيالبلدان الراسمالية اخر بقايا الديموقراطيةالبورجوازية. وتفترض الديموقراطية السوفييتية انتصار الثورة البروليتارية ، وتحويل الملكية الفردية لوسائل الانتاج الى ملكية اجتماعية ، وانطلاق اغلبية الشعب العظمى في طريق الاشتراكية . وليست هذه الديموقراطية بحد ذاتها شكلا مكتملا ، انما هي تتطور وستتطور تبعا لانتصارات البناء الاشتراكي المستمرة ، ولقيام المجتمع اللاطبقي والقضاء على بقايا الراسمالية في الاقتصاد وفي وعي الناس .

غير ان ملايين الناس الكادحين ، الذين يعيشون في ظل الراسمالية ، مضطرون اليوم الى تحديد مواقفهم من تلك الاشكال التي تتجلى فيها السيطرة البورجوازية في شتى البلدان . ونحن لسنا فوضويين ، واننا لا ننظر بلا اكتراث قطعا الى النظام السياسي القائم في بلد ما : فهل هو دكتاتورية البورجوازية المتقمصة شكل الديموقراطية البورجوازية ام الدكتاتورية البورجوازية في شكلها الفاشي السافر . ونحن بصفتنا انصارا للديموقراطية السوفييتية ، فاننا سنذود عن كل شبر من المكتسبات الديموقراطية التي انتزعتها الطبقة العاملة بنضال طويل وعنيد ، وسنناضل بحزم من اجل توسيعها .

فما اكثر الضحايا التي قدمتها الطبقة العاملة في انكلترا حتى تم لها حق الاضرابات والوجود العلني لنقاباتها ، وحرية الاجتماعات والصحافة ، وتوسيع حقوقها الانتخابية وغيرها ! وكم عشرات من الوف العمال وهبوا حياتهم في المعارك الثورية في فرنسا خلال القرن التاسع عشر ، لكي ينتزعوا ابسط الحقوق والامكانيات العلنية لتنظيم قواهم في النضال ضد المستثمرين ! لقد اراقت بروليتاريا جميع البلدان سيولا من دمائها من اجل احراز الحريات البورجوازية الديموقراطية ، وهي في طبيعة الحال ستناضل بكل قواها من اجل صيانة هذه الحريات .

ان موقفنا من الديموقراطية البورجوازية ليس واحدا في كل الحالات . فقد خاض البلاشفة الروس اثناء ثورة اكتوبر مثلا ، نضال حياة او موت ضد جميع الاحزاب السياسية التي كانت تناوىء ، تحت راية الديموقراطية البورجوازية ، قيام دكتاتورية البروليتاريا . وقد ناضل البلاشفة ضد تلك الاحزاب ، لان راية الديموقراطية البورجوازية صارت آنذاك راية لتعبئة جميع القوى المعادية للثورة

في النضال ضد انتصار البروليتاريا .

اما اليوم فالوضع مختلف في البلدان الراسمالية . اذ ان ثورة الـــردة الفاشية تهاجم الديموقراطية البورجوازية ، سعيا منها لان تفرض على الكادحين نظام الاستغلال والاضطهاد والاشد بربرية . وتضطر جماهير الكادحين في كثير من البلدان الراسمالية الى ان تختار اليوم، لا بين دكتاتورية البروليتاريا والديموقراطية البورجوازية ، بل بين الديموقراطية البورجوازية والفاشية .

وعدا ذلك يتميز الوضع حاليا ، عن الوضع في عهد الاستقرار الراسمالي مثلا ، فلم يوجد آنذاك مثل هذا الخطر الفاشي الداهم . وكان العمال الثوريون يواجهون آنذاك في العديد من البلدان دكتاتوريـــة البورجوازية في شكـــل الديموقراطية البورجوازية ، التي ركزوا عليها نيرانهم الحامية. فقد كانوا يناضلون في المانيا ضد جمهورية «فايمار» لا لانها كانت جمهورية ، بل لانها كانت جمهورية بورجوازية ، وكانت تقمع حركة البروليتاريا الثورية ، ولاسيمـــا في اعوام ١٩١٨ ، ١٩٢٠ ، ١٩٢٣ .

لكن هل كان بمقدور الشيوعيين ان يظلوا على موقفهم ذلك ، حينما بدات الحركة الفاشية ترفع راسها ، وحيمنا نظم الفاشست في المانيا عام ١٩٣٢ مثلا، وسلحوا مئات الالوف من كتائب الكوماندوس ضد الطبقة العاملة ؟ كلا ، بالطبع. وكان خطأ الشيوعيين يتلخص ، لاسيما في المانيا ، في انهم لم يأخذوا بعـــين الاعتبار التحولات الطارئة ، وظلوا يكررون تلك الشعارات ويتشبثون بتلك المواقف التكتيكية ، التي كانت صائبة قبل عدة سنوات ، لاسيما في الوقت الذي كان فيه النضال من اجل دكتاتورية البروليتاريا ذا طابع آني ، وعندما تجمعت تحت راية جمهورية فايمار ، كما حدث في عامي ١٩١٨ – ١٩٢٠ ، كل قـــوى ثورة الردة في المانيا .

اما ان تلجئنا الحاجة اليوم ايضا الى التنويه بوجود تخوف ما في صفوفنا حيال رفع المطالب الديموقراطية الايجابية ، فيدل على مدى عجز رفاقنا عـــن استيعاب الطريقة الماركسية – اللينينية في تناول مثل هذه القضايا الهامة فـــي تكتيكنا . ويقول البعض ، ان النضال من اجل الحقوق الديموقراطية يمكـــن ا يصرف العمال عن النضال من اجل دكتاتورية البروليتاريـــا . وليس من نافل القول ان نذكّر بما كتبه لينين بهذا الصدد : «ان من الخطأ الفاحش ، ان نظن ، بان النضال من اجل الديموقراطية يمكن ان يصرف البروليتاريا عـــن الثـــورة الاشتراكية او ان يغطي عليها ويحجبها الخ ... بل على العكس ، فكما ان من غير الممكن وجود اشتراكية ظافرة لا تطبق الديموقراطية التامة ، فليس مـــن الممكن كذلك ان تعد للانتصار على البورجوازية ، بروليتاريا ، لا تشن نضالا دائبا وشاملا وثوريا من اجل الديموقراطية» .

وينبغي لجميع رفاقنا ان يتذكروا هذه الكلمات جيدا ، آخذين بعين الاعتبار ان التاريخ شهد كثيرا منالحركات الصغيرة في سبيل حقوقالطبقة العاملة الاولية،

التي تمخضت عن ثورات كبيرة . ولكننا لكي نستطيع ربط النضال من اجل الحقوق الديموقراطية بنضال الطبقة العاملة من اجل الاشتراكية ، يتحتم علينا قبل كل شيء ان نتخلى عن المواقف النصية الجامدة ، حيال مسألة الدفاع عن الديموقراطية البورجوازية .

الخط الصائب وحده ليس كافيا

ايها الرفاق ! ان رسم النهج الصائب ، هو بحد ذاته ، امر اساسي بالنسبة للاممية الشيوعية ولكل فرع من فروعها . غير ان الخط الصائب وحده لا يكفي لقيادة الصراع الطبقي بشكل ملموس .

ولا مناص في هذه الحال ، من تنفيذ جملة من الشروط ولاسيما الشروط التاليـة :

اولا – ان يضمن تنظيميا تطبيق القرارات المتخذة في مجمل النشاط العملى وأن تذلل بحزم كل العقبات التي تقف في هذا السبيل . وان ما قالـه الرفيق ستالين في المؤتمر السابع عشر للحزب الشيوعي السوفييتي فيما يتعلق شروط تطبيق الخط الحزبي ، يمكن وينبغي ان تطبق برمتها على القرارات التي يتخذها مؤتمرنـا .

فقد قال الرفيق ستالين : «يظن البعض بأنه يكفي وضع الخط الحزبـي الصائب ، واعلانه على الملأ ، وعرضه على شكل موضوعات وقرارات ، والتصويت عليه بالاجماع ، لكي يأتي النصر من تلقاء ذاته ، وينهمر كالسيل كما يقال . وهذا غير صحيح ، بالطبع . انه ضلال مبين . ولا يمكن ان يفكر علـى هذا النمط الا البيروقراطيون والمسلكيون المتزمتون ... فان القرارات والبيانات البليغة المؤيدة للخط الحزبي العام ، ليسبت سوى بداية العمل ، لانها لا تعني سوى الرغبة في الانتصار ، لا الانتصار ذاته . وبعد صياغة الخط الصائب ، وايجاد الحل الصائب للمسألة ، يتوقف نجاح مهمتنا على العمل التنظيمي ، وعلى تنظيـم النضال من اجل تطبيق الخط الحزبي ، والاختيار الصحيح للناس ، وعلى التحقق من سير تطبيق قرارات الهيئات القيادية . وبدون ذلك ، يتعرض خـط الحزب الصائب وقراراته الصحيحة الى خطر التشويه الجدي . وفضلا عن ذلك ، فان العمل التنظيمي هو الذي يقرر ، بعد ايجاد الخط الحزبي الصحيح ، كل شيء بما في ذلك مصير الخط السياسي نفسه – تحقيقه او اخفاقه» .

ولا نرى اننا بحاجة الى ان نضيف شيئا الى هذه الملاحظات القيمة التـي ينبغي ان تكون منطلقا لنا في مجمل عمل الحزب .

اما الشرط الثاني ، فهو القدرة على جعل قرارات الكومنترن وفروعـه قرارات تتبناها اوسع الجماهير . وتتعاظم الحاجة الى ذلك الان ونحن نواجـه مهمة تشكيل جبهة موحدة للبروليتاريا ، واجتذاب اوسع الجماهير الشعبية الى

صفوف الجبهة الشعبية المعادية للفاشية . ان عبقرية لينين السياسية والتكتيكية تتجلى على أسطعها وأبلغها في القدرة على الاخذ بيد الجماهير وايصالها الى ان تفهم بتجربتها الخاصة ، خط الحزب وشعاراته الصائبة . ولو تتبعنا مجمل تاريخ البولشفية ، هذا الكنز الكبير للستراتيجية والتكتيك السياسيين للحركة العمالية الثورية ، لاستطعنا الاقتناع ، بان البلاشفة لم يستبدلوا اساليب قيادة الجماهير بأساليب قيادة الحزب على الاطلاق .

ولقد اشار الرفيق ستالين الى ان احدى خصائص تكتيك البلاشفة الروس في فترة التحضير لاكتوبر ، هي انهم استطاعوا ان يحددوا بدقـة تلك السبل والمنعطفات ، التي تؤدي بالجماهير بدهيا الى شعارات الحزب ، والى «عتبـة الثورة» نفسها ، مع مساعدتها على ان تتحسس وتمحص ، وتتبين صواب هذه الشعارات بتجربتها الخاصة ، وانهم لم يخلطوا بين قيادة الحزب وقيادة الجماهير وراوا بوضوح الفارق بين نوعي القيادة الاول والثاني ، واضعين التكتيك بهـذه الطريقة، لا بوصفه علما لقيادة الحزب وحسب، بل ولقياده ملايين الشغيلة ايضا.

ومن الضروري ، بعدئذ ، ان يؤخذ بنظر الاعتبار ، ان استيعاب قراراتنا من قبل الجماهير الواسعة ، غير ممكن ، ما لم نتعلم نحن التحدث بلغة تفهمهـا الجماهير . ولكننا لا نجيد التحدث دائما ، ببساطة ووضوح وبتعابير قريبة الـى الجماهير ومفهومة لديها . كما اننا لا نزال عاجزين عن تجنب الصيغ المتحذلقة والمستظهرة . فانظروا نداءاتنا ، وصحفنا ، ومقرراتنا وموضوعاتنا ، لتروا ، انها غالبا ما تكتب بلغة معقدة ، وتطرح بشكل غامض بحيث يتعذر فهمها حتى على مناضلي حزبنا ، ناهيكم عن العمال البسطاء .

اننا لو فكرنا ، ايها الرفاق ، بان العمال الذين يوزعون ويقرأون هـذه النداءات ، ولاسيما في البلدان الفاشية ، يجازفون بحياتهم ، لادركنا بمزيد من الوضوح لماذا يتعين علينا ان نكتب للجماهير بلغة سهلة المتناول لكي لا تذهب الضحايا التي تقدمها ، أدراج الرياح .

ويصح ذلك بدرجة مماثلة على تحريكنا ودعايتنا الشفهية . وعلينا ان نعترف بصراحة تامة في هذا الشأن ، بان الفاشست غالبا ما يكونون اكثر براعة ومرونة من بعض رفاقنا .

فانني اتذكر مثلا اجتماعا للعاطلين في برلين قبيل مجيء هتلر الى السلطة. وكان ذلك اثناء الدعوى المقامة على الاخويـن سكليارك المعروفين بمضارباتهما وفضائحهما ، والتي استمرت بضعة شهور . وقد استغـل الخطيب الاشتراكي القومي الذي تكلم في الاجتماع ، تلك الدعوى لمآربه الديماغوجية . فأشار الـى الفضائح والرشاوى وغيرها من الجرائم التي اقترفها الاخوان سكليارك ، واكد ان الدعوى ضدهما ستستمر شهورا ، ثم حسب كم ستكلف الشعب الالماني من مئات الالوف من الماركات ، واعلن في عاصفة من تصفيق الحاضرين ، ان اللصوص من أمثال الاخوين سكليارك ينبغي رميهم بالرصاص بلا مماطلات ، وتقديم الاموال

التي انفقت على المحاكمة الى العمال العاطلين .

ثم نهض احد الشيوعيين وطلب الكلمة . وقد رفض رئيس الاجتماع بادىء الامر ، لكنه اضطر الى اعطائه الكلمة تحت ضغط الحاضرين الذين ارادوا ان يستمعوا الى الشيوعي . وعندما اعتلى الشيوعي المنصة كان الجميع ينتظرون بفارغ الصبر ماذا سيكون الجواب الشيوعي . لكن ماذا قال صاحبنا ؟

لقد هتف بصوت هادر : «ايها الرفاق لقد انفض تو"ا الاجتماع الكامل للاممية الشيوعية . وقد حدد الطريق لانقاذ الطبقة العاملة . اما المهمة الرئيسية التي وضعها أمامنا ، ايها الرفاق ، فهي «كسب اغلبية الطبقة العاملة» (ضحك). وقد اكد الاجتماع ان من الواجب «اشاعة السياسة» في حركة العمال العاطلين عن العمل ، ودعا الاجتماع الى رفع هذه الحركة الى مستوى اعلى» ... وقد استطرد الخطيب متحدثا بمثل هذه الروح ، وهو يظن كما يبدو ، انه «يوضح» مقررات الاجتماع .

فهل كان لمثل هذا الخطاب ان يستحوذ على اذهان العمال العاطلين ؟

وهل يقنع العمال بواقع ان الاستعداد يجري اولا لاشاعة السياسة في صفوفهم ثم الروح الثورية ، وبعدئذ تجري تعبئتهم من اجل النهوض بحركتهم الى مستوى اعلى ؟

وكنت انا اجلس في احدى زوايا القاعة واراقب بمرارة كيف كان العمال العاطلون يتحرقون لسماع الشيوعي ، ليعلموا منه ما الذي ينبغي ان يفعلوه ، وكيف بدأوا بعدئذ يتثاءبون ويظهرون خيبتهم على المكشوف . ولم استغرب انا اطلاقا لما منع رئيس الاجتماع في النهاية ، خطيبنا من الكلام منعا فظا بدون ان يثير احتجاجا من جانب المجتمعين .

ليست هذه ، مع الاسف ، الحادثة الوحيدة في نشاطنا الدعائي . ولم تجر مثل هذه الحوادث في المانيا وحدها . ومثل هذا التحريك ، ايها الرفاق ، يعني تحريكا ضد انفسنا بالذات . وقد آن الاوان لنضع حدا والى الابد ، لمثل هذه الاساليب الصبيانية ، اذا لم نصفها بأشد من هذا الوصف .

لقد تسلم الرئيس الرفيق كوسيفين اثناء تقريري ، رسالة هامة من قاعة المؤتمر ، موجهة الي ، وسأتلوها عليكم :

«الرجاء ان تتناولوا في تقريركم امام المؤتمر ، القضية التالية : ان جميع قرارات وتوجيهات الكومنترن يجب ان تكتب في المستقبل ، بحيث لا يفهمها الشيوعيون المهيئون وحدهم ، بل وان يستطيع كل كادح مهما افتقر الى الاعداد، ان يفهم على الفور ، حين يقرأ مواد الكومنترن ، ماذا يريد الشيوعيون . وما النفع الذي تعود به الشيوعية على الانسانية . فان بعض القيادات الحزبية تنسى ذلك . ويجب لفت نظرها بجدية ، الى ان تقوم بالتحريك والدعاية للشيوعية بلغة مفهومة » .

ولست اعلم بالضبط من هو كاتب هذه الرسالة . بيد انني لا اشك ، بان

هذا الرفيق قد عبَّر في رسالته عن رغبة وامنية ملايين العمال . ويظن كثير من رفاقنا ، بأنهم كلما استعملوا الكلمات الطنانة ، والصيغ والموضوعات التي لا تفهمها الجماهير ، كانت دعايتهم وتحريكهم افضل بكثير ، ناسين ان اعظم زعيمين ونظريين للطبقة العاملة في عصرنا ــ لينين وستالين ، كانا يتحدثان ويكتبان دائما بأبسط ما تفهمه الجماهير من التعابير .

وينبغي لكل منا ان يستوعب كقانون بولشفي القاعدة الاولية التالية :

عندما تكتب او تتحدث ، فعليك ان تفكر دائما بالعامل البسيط ، الذي ينبغي ان يفهمك ، وان يستجيب لندائك ، ويقتفي خطاك ! وعليك ان تفكر لمن ستكتب ومن ستخاطب .

حول الملاكات

ايها الرفاق ، ان قراراتنا مهما كانت جيدة ستظل حبرا على ورق ، ما لم يوجد الناس القادرون على تجسيدها في الحياة . لكنني اراني مضطرا ، مع الاسف ، الى القول بان مؤتمرنا قد مر مرور الكرام على احدى اهم المسائل ، الا وهي مسألة الملاكات .

لقد نوقش تقرير اللجنة التنفيذية للكومنترن في غضون سبعة ايام تقريبا ، وقد تحدث خطباء كثيرون من مختلف البلدان ، الا ان نفرا منهم فقط تعرض بشكل خاطف الى هذه المسألة الجوهرية جدا بالنسبة للاحزاب الشيوعية والحركة العمالية . فان احزابنا ما زالت في تطبيقها بعيدة عن ادراك ان الناس، الملاكات ، هم الذين يحسمون القضية . وانها غير قادرة على تربية الملاكات ، «كما يربي البستاني شجرته المحببة» ، على حد تعبير الرفيق ستالين ، وان «تقيّم الناس ، وتثمن الملاكات ، وكل عامل ، قادر على ان يقدم نفعا لقضيتنا العامة» .

ان موقف الاستخفاف من مسألة الملاكات يزداد خطورة ، اذا اخذنا بنظر الاعتبار ، اننا نفقد على الدوام قسما من اعز ملاكاتنا في النضال . لاننا لسنا جمعية علمية ، بل حركة كفاحية، تقتحم خط النار دائما وابدا. وان اكثر عناصرنا نشاطا وبسالة ووعيا يحتلون الصفوف الاولى . والعدو يقتفي بالذات اولئك الاكثر نشاطا ، ويغتالهم ويزج بهم في السجون والمعتقلات ، ويعرضهم لصنوف التعذيب ، ولاسيما في البلدان الفاشية . الامر الذي يفرض علينا بأقصى الشدة، ضرورة التعويض عنهم باستمرار ، واعداد وتربية ملاكات جديدة ، والحفاظ على الموجود منها بحرص بالغ .

وتكتسب مسألة الملاكات حدة بالغة كذلك، بسبب اتساع الحركة الجماهيرية من اجل الجبهة الموحدة بتأثير منا ، وتستنهض هذه الحركة آلافا مؤلفة من البروليتاريين النشيطين . وفضلا عن ذلك ، تنضوي تحت لواء احزابنا لا مجرد

العناصر الثورية الشابة والعمال المتحمسين ، الذين لم يشاركوا في الحركة السياسية من قبل، بل ويؤم صفوفنا غالبا اعضاء ومناضلون سابقون من الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية . وتحتاج هذه الملاكات الجديدة الى اهتمام بالغ ، وخصوصا في الاحزاب السرية ، لاسيما وان هذه الملاكات الهزيلة الاعداد نظريا، غالبا ما تواجه في عملها التطبيقي أعقد المعضلات السياسية واكثرها خطورة ، وعليها ان تتدبرها بنفسها .

ان مسألة السياسة الصحيحة فيما يتعلق بالملاكات هي اهم مسألة تواجه احزابنا وكذلك الكومسومول ، وجميع المنظمات الجماهيرية ، ومجمل الحركة العمالية الثورية .

ففيم تتلخص السياسة الصائبة المتعلقة بالملاكات ؟

اولا ، من الضروري ان نعرف الناس . ولا تتوفر في احزابنا اعتياديا ، المثابرة على دراسة الملاكات . سوى أن الحزب الشيوعي الفرنسي ، والحزب الشيوعي الصيني - في الشرق - قد احرزا وحدهما في الآونة الاخيرة بعض النجاحات في هذا الشأن . وفي حينها ، باشر الحزب الشيوعي الالماني - قبل ان يصبح سريا - بدراسة ملاكاته ايضا . وتدل تجربة هذه الاحزاب ، على انها ما ان بدات بدراسة الناس ، حتى بدات تكتشف مناضلين ، كانوا مغمورين قبلا - وبدات هذه الاحزاب من جهة ثانية تطهر صفوفها من العناصر الغريبة الضارة فكريا وسياسيا . وحسبنا ان نسوق مثالا على ذلك سيلور وباربه في فرنسا ، اللذين انكشفا عند وضعهما تحت المجهر البلشفي ، كعميلين للعدو الطبقي ، فطردا من الحزب . وقد ساعد فحص الملاكات في المجر على كشف الافكار الاستفزازية لعملاء العدو المتسترين ببراعة .

ثانيا ، من الضروري ترقية الملاكات بصورة صائبة . ولا ينبغي ان تكون الترقية اعتباطا ، بل أن تكون احدى الوظائف الطبيعية للحزب . ومن الخطل ان تتم الترقية لاعتبارات حزبية ضيقة ، دون مراعاة ما اذا كان للشيوعي المرقى ارتباطات مع الجماهير . ويجب ان تتم الترقية ، بعد ان تؤخذ بعين الاعتبار جدارة المناضلين المعنيين ، لانجاز مهمة او اخرى من مهام الحزب ، وشعبيتهم وسط الجماهير . وهنالك في احزابنا امثلة عن ترقيات اعطت نتائج باهرة . اذ تجلس في هيئة رئاسة مؤتمرنا مثلا شيوعية اسبانية هي الرفيقة دولاريس (١) . وقبل سنتين كانت ما تزال في المنظمات القاعدية ، غير انها برزت منذ الاشتباكات الاولى بالعدو كمحرض ومناضل رائع . وبعد ان ارتفعت الى قيادة الحزب ، برهنت على انها اجدر عضو فيها .

وبوسعي ان اسوق عدة شواهد مماثلة في بعض البلدان الاخرى .

لكن ترقية الملاكات في اغلب الاحوال تتم بغير نظام ، واعتباطا ، ولذلك فهي

---

(١) دولاريس ايباروري - لا باسيوناريا .

ليست موفقة دائما . اذ يرتفع الى القيـــادة احيانا ، المتحذلقون والمتشدقـون والثرثارون ، الذين لا يعودون بغير الضرر على القضية .

ثالثا ، من الضروري استخدام الملاكات استخداما بارعا . وعلينا ان نجيـد كشف واستخدام المزايا القيمة لكل مناضل . وان الناس المثاليين لا وجود لهم . وعلينا ان نتقبل الناس على علاتهم ، وان نقوّم اخطاءهم ونواقصهم . واننا نعرف امثلة صارخة في احزابنا ، على اساءة معاملة الشيوعيين الطيبين الشرفاء ، الذين كان بوسعهم ان يعودوا بنفع كبير ، لو انهم اضطلعوا باعمال تناسبهم اكثر .

رابعا ، من الضروري التوزيع الصائب للملاكات . ولا بد قبل كل شيء من وجود عناصر سليمة في الحلقات الرئيسية للحركة ، ترتبط بالجماهير ، وينبغي وجود عدد مناسب من المناضلين النشيطين في المراكز الضخمة ، وليس من السهل نقل الملاكات من مكان لآخر في البلدان الرأسمالية . اذ ان هذه المهمة تصطدم هنا بسلسلة كاملة من العقبات والصعوبات ، بما في ذلـك الامور ذات الطابـع المادي والعائلي وغير ذلك من الصعوبات التي يجب اخذها بعين الاعتبار وتذليلها باسلوب مناسب ، الامر الذي لا نعيره الاهتمام اللازم اعتياديا .

خامسا ، من الضروري اسداء المساعدة المستمرة للملاكات . ويجب ان تتجلى هذه المساعدة في الارشادات الوافية ، وفي الاشراف الرفاقي ، وفي تقويم الاخطاء والنواقص ، وفي القيادة اليومية الملموسة للملاكات .

سادسا ، من الضروري الحرص على صيانة الملاكات . وعلينا ان نكون قادرين على ان نسحب الملاكات الى المؤخرة في الوقت المناسب ، وان نستبدلها بغيرها ، اذا اقتضت الظروف ذلك . ويجب ان نطالب القيادة ولا سيما في الاحزاب السرية ، باكبر قسط من المسؤولية لصيانة الملاكات . كما ان الصيانة الصحيحة للملاكات تقتضي اقصى الجدية في تنظيم النشاطات السرية للحزب . ويظن كثير من الرفاق في بعض احزابنا ، بان هذه الاحزاب قد تهيأت للحياة السرية بمجرد اعادة تنظيمها على اساس شكلي مبتسر . وقد تحتم علينا ان ندفع غاليا ، بسبب ان اعادة التنظيم الفعلية لم تجر الا بعد الانتقال الى الوضع السري ، وتحت ضربات العدو المباشرة القاصمة . فانكم تتذكرون كم كلفنا غاليا انتقال الحزب الشيوعي الالماني الى السرية ! وينبغي ان تكون هذه التجربة انذارا جديا لاحزابنا ، التي مـا زالت علنية اليوم ، لكنها قد تفقد علنيتها غدا .

ان السياسة الصائبة فيما يتعلق بالملاكات هي وحدها التـي تتيح لاحزابنا الامكانية لاطلاق طاقات الملاكات المتوفرة واستخدامها الى اقصى مدى ، وللتزود من معين الحركة الجماهيرية بافضل وانشط العناصر الجديدة باستمرار .

ما هو المعيار الاساسي الذي يجب ان نسترشد به عند اختيار الملاكات ؟

اولا : الاخلاص الراسخ لقضية الطبقة العاملة ، الامانة للحزب ، تلك الامانة المجربة في غمرة المعارك ، في السجون ، وامام المحاكم – في وجه العدو الطبقي .

ثانيا : اوثق الارتباط بالجماهير – العيش مـع مصالح الجماهير ، وتحسس

نبض حياتها ، وامزجتها واحتياجاتها . وان هيبة قيادة منظماتنا الحزبية ، يجب ان تستند في المقام الاول ، الى واقع ان الجماهير ترى فيهم زعماءها ، وتقتنع عن تجربة ، بمؤهلاتهم لان يصبحوا قادة ، وبعزيمتهم في النضال .

ثالثا : القدرة على الاهتداء بصورة مستقلة في الوضع الناشىء ، وعدم الخوف من المسؤولية عن القرارات المتخذة . فليس قائدا من يخشى الاضطلاع بالمسؤولية . وليس بولشفيا ، من لا يستطيع اخذ المبادرة ، والذي يفكر على النحو التالي ــ «سأنفذ ما يريدونه مني فقط» . وليس قائدا بولشفيا حقا ، الا الذي لا ينتابه الهلع في لحظات الهزيمة ، ولا تشمله لحظات النصر ، والذي يدل على عزيمة راسخة في تنفيذ القرارات . ان الملاكات لا تتطور وتنمو على خير وجه ، الا عندما توضع امام ضرورة ان تحل لوحدها مهام النضال الملموسة ، وان تأخذ على عاتقها كل المسؤولية في ذلك .

رابعا : الانضباط والصلابة البولشفية سواء في النضال ضد العدو الطبقي ، او في عدم التهادن ازاء اي انحراف عن خط البولشفية .

وعلينا ، ايها الرفاق ، ان نؤكد غاية التأكيد على ضرورة هذه الشروط لاختيار الملاكات اختيارا صائبا ، نظرا لانه غالبا ما تعطى الارجحية في التطبيق ، الى الرفيق الذي يجيد الكتابة مثلا ، او الذي يتحدث بطلاقة ، ولو انه ليس رجل عمل ، وغير صالح للنضال ، على رفيق آخر قد لا يجيد الكتابة والحديث الى هذا الحد ، لكنه ذو جلد ومبادرة ، ومرتبط بالجماهير ، قادر على المضي الى المعركة وجر الآخرين الى النضال . فهل قليلة هي الحالات التي يحتل فيها الانعزالي والنصي والثرثار مكان الجماهيري المتفاني والزعيم العمالي الحق ؟

ان على ملاكاتنا القيادية ان توفق بين معرفة ما ينبغي لها ان تفعل ، وبين الصلابة البولشفية ، والطبع الثوري والعزم على تجسيد ذلك في الحياة .

واسمحوا لي ، ايها الرفاق ، ان اتطرق بصدد مسألة الملاكات ، الى الدور الهائل الذي كتب على المنظمة الدولية لمساعدة مناضلي الثورة ــ «م.و.ب.ر» (١) أن تلعبه فيما يتعلق بملاكات الحركة العمالية . فبفضل المساعدات المادية والمعنوية التي تقدمها اقسام المنظمة ، الى السجناء وعوائلهم ، والى اللاجئين السياسيين والى اعداء الفاشية والثوريين المطاردين ، انقذت حياة ، وصينت القوى والطاقات الكفاحية للالوف والالوف من اجدر مناضلي الطبقة العاملة في مختلف البلدان . وان الذي رزح في السجن منا ، قد لمس لمس اليد الاهمية الهائلة لنشاط المنظمة الدولية لمساعدة مناضلي الثورة .

ولقد حظيت المنظمة بفضل نشاطها . بحب وامتنان مئات الالوف من البروليتاريين والعناصر الثورية وسط الفلاحين والمثقفين .

(١) وقد بلغ عدد اعضاء هذه المنظمة خلال الثلاثينات حوالي اربعة عشر مليونا . وهي تساعد المناضلين في بلدان عديدة في نضالهم من اجل الحرية .

وفي الظروف الراهنة ، ظروف الرجعية البورجوازية المتفاقمة ، والفاشية المستشرية ، واحتدام الصراع الطبقي ، يتعاظم دور المنظمة بشكل خارق . وتواجه المنظمة الان مهمة التحول الى منظمة جماهيرية حقا لكادحي جميع البلدان الراسمالية (ولا سيما في بلدان الفاشية متكيفة مع الظروف الشاذة لهذه البلدان) . وعليها ان تصبح نوعا فريدا اذا صح التعبير من «الصليب الاحمر» للجبهة البروليتارية الموحدة وللجبهة الشعبية المعادية للفاشية ، تشمل ملايين الكادحين «صليب احمر» لجيش الطبقات الكادحة ، المكافح ضد الفاشية ، من اجل السلم والاشتراكية . ولكي تستطيع المنظمة ان تضطلع بهذا الدور بنجاح ، عليها ان تخلق جيشا جرارا ، وملاكات غفيرة العدد ، ملاكات «موبرية» ، تستجيب بطابعها وبمؤهلاتها للرسالة الخاصة لهذه المنظمة البالغة الاهمية .

وينبغي هنا ان نقول بغاية الشدة والحزم : اذا كانت البيروقراطية والموقف الجاف من الناس مخلين في الحركة العمالية ، فانهما يمثلان في «م.و.ب.ر.» شرا يقارب الجريمة . فان مناضلي الطبقة العاملة ، ضحايا الرجعية والفاشية الرازحين في زنزانات السجون وفي المعتقلات ، واللاجئين السياسيين وعوائلهم ينبغي ان يلقوا قصارى الاهتمام والحرص من جانب اقسام المنظمة ومسؤوليها . وعلى المنظمة الدولية ان تدرك واجبها وتؤديه بشكل افضل ، لمساعدة المناضلين في الحركة البروليتارية والمعادية للفاشية ولا سيما في صيانة ملاكات الحركة العمالية جسمانيا وروحيا . وعلى الشيوعيين والعمال الثوريين المنتمين الى اقسام المنظمة ان يتحسسوا في كل خطوة جسامة مسؤوليتهم امام الطبقة العاملة والاممية الشيوعية ، المسؤولية التي تقع على كاهلهم ، في التنفيذ الناجح لدور ومهمات «م.و.ب.ر.» .

ايها الرفاق ، ان خير تربية للملاكات ، كما هو معروف ، هي التي تجري في غمرة النضال ، وفي تذليل الصعوبات والمحن ، وكذلك عبر الامثلة الايجابية والسلبية وان لدينا مئات الشواهد على السلوك النموذجي اثناء الاضرابات والمظاهرات ، وفي السجون وفي المحاكم . ولدينا آلاف الابطال ، ولكن من المؤسف ، ان حالات التخاذل وعدم الصمود وحتى الارتداد ليست بالقليلة . وغالبا ما تنسى امثلة الحالتين ولا يجري التقيد بها ، ولا يشار الى ما ينبغي الاقتداء به او ما ينبغي نبذه . فعلينا ان ندرس سلوك الرفاق والعمال النشيطين في غمار الاشتباكات الطبقية ، واثناء الاستجواب في مخافر البوليس ، وفي السجون والمعتقلات ، وامام المحاكم الخ ... وينبغي ان نستمد من ذلك ما هو ايجابي ، وان نعين النماذج للاقتداء بها ، وان ننبذ ما هو متعفن ومبتذل ومناف للبولشفية . ولقد توفرت لدينا بعد محاكمة لايبزيغ طائفة من شواهد السلوك الصامد لرفاقنا امام المحاكم البورجوازية والفاشية ، تدل على ان ملاكات كبيرة العدد تنمو في صفوفنا وتدرك حق الادراك ماذا يعني السلوك البولشفي امام المحاكم .

لكن هل ان الكثيرين منكم ــ انتم اعضاء المؤتمر ــ يعرفون تفاصيل محاكمة

عمال السكك الحديد في رومانيا ، ومحاكمة فوته سولتبسه الذي اعدمه الفاشست في المانيا ، ومحاكمة الرفيق الياباني الباسل ايسيكافا ، ومحاكمة الجنود الثوريين البلغار وكثير مـن المحاكمات الاخـــرى ، حيث ضربت اروع الامثلة في البطولة البروليتارية .

ان مثل هـذه الامثلة السامية علـى البطولة البروليتارية ينبغي ان تروّج وسط الجماهير ، وان تبرز كنقيض للتخاذل ، والابتذال ، ولكل ضرب من ضروب الانحلال والضعف في صفوفنا وفي صفوف الطبقة العاملة . وينبغي الاستفادة الى اقصى مدى من هذه الامثلة لتربية الملاكات في الحركة العمالية .

ايها الرفاق ! غالبا ما يتشكى القادة الحزبيون من الافتقار الى الناس ، وعدم كفايتهم للدعاية التحريفية ، ولاصدار جريدة ، او للعمل في النقابات المهنية ، وانهم غير كافين للعمل بين الشباب والنساء . انهم غير كافين ، وانهم من الندرة بمكان ، وبوسعنا ان نرد على ذلك بكلمات لينين القديمة والجديدة ابدا :

« ... لا يوجد ناس ـ وهنالك جماهير الناس . هنالك جماهير الناس ، لان الطبقة العاملة ، وشتى فئات المجتمع ما فتئت تفرز مزيدا ومزيدا من المتذمرين الراغبين بالاحتجاج ... وفي الوقت ذاته لا يوجد نـــاس ، لانه لا توجد مواهب تنظيمية ، قادرة على تنظيم مثل هذا العمل الواسع والموحد المتماسك في الوقت ذاته ، والذي يمكن لاية قوة مهما تضاءلت ، ان تجد فيه مجالا للعمل » .

ان على احزابنا ان تستوعب بعمق كلمات لينين هذه وان تطبقها في نشاطها اليومي . فثمة كثير من الناس ، وينبغي الكشف عنهم في منظماتنا اثناء الاضرابات والمظاهرات وفي شتى المنظمات العمالية ، وفي هيئات الجبهة الموحدة ، وعلينا ان نساعدهم على النمو في مجرى العمل والنضال ، وان نجعلهم في وضع يستطيعون فيه ان يسدوا النفع للقضية العمالية فعلا .

ايها الرفاق ، اننا نحن الشيوعيين ، رجال عمل . واننا نواجه مهمة النضال العملي ضد زحف رأس المال ، وضد الفاشية وخطر الحرب الامبريالية والنضال ، للاطاحة بالرأسمالية. وهذه المهمة العملية بالذات تفرض على الملاكات مهمة التسلح الالزامي بالنظرية الثورية ، لان النظرية تهب المطبقين قوة الاهتداء ووضوح الغاية، والثقة في العمل والايمان في انتصار قضيتنا .

غير أن النظرية الثورية حقا هي عدوة لدودة لكل تنظير فارغ ، ولكل تلاعب عقيم بالتعاريف المبهمة . وقد قال لينين غير مرة : «ان نظريتنا ليست عقيدة جامدة، بل دليل للعمل» . والى مثل هذه النظرية تحتاج ملاكاتنا وهي ضرورية لها كضرورة الخبز والهواء والماء .

ان من يريد حقا ان يطرد من عملنا النصية الجامدة والحذلقة الضارة ، فعليه ان يكويهما بالحديد الحامي ـ سواء في النضال التطبيقي الفعال مع الجماهير وعلى رأس الجماهير ، او في العمل الدائب من اجل استيعاب التعاليم الجبارة المعطاء ، تعاليم ماركس وانجلز ولينين .

وانني اعتبر في هذا الصدد ان من الضروري جدا ان استرعي انتباهكم الى عمل مدارسنا الحزبية . فلا ينبغي ان تعهد مدارسنا الى المتشدقين والمتفذلكين وحفظة النصوص . كلا ! فمن الواجب ان يخرج من بين جدران هذه المدارس مناضلون عمليون نشطون من اجل قضية الطبقة العاملة . مناضلون فعالون لا بجراتهم واستعدادهم للتضحية وحسب ، بل ولكونهم يرون ابعد مما يرى سائر العمال ، ويعرفون الطريق نحو تحرير الكادحين خيرا منهم . وعلى جميع فروع الاممية الشيوعية ان تبادر بلا ابطاء الى التنظيم الجدي للمدارس الحزبية بغية تحويلها الى مصاهر لمثل هذه الملاكات المكافحة .

وان المهمة الرئيسية لمدارسنا الحزبية ، تتلخص ، كما ارى ، في ان تعلم الحزبيين واعضاء الكومسومول تطبيق المنهج الماركسي اللينيني على الوضع الملموس في البلد المعين ، وعلى الظروف الواقعية ، وعلى النضال لا ضد العدو «عموما» بل ضد عدو معين بالذات . فلا حاجة تبعا لذلك ، الى تعليم نص الماركسية اللينينية ، بل روحها الثورية الحية .

ويمكن اعداد الملاكات في مدارسنا الحزبية على نحوين :

اولا : اعداد الناس اعدادا نظريا مجردا ، والسعي الى تلقينهم اكثر ما يمكن من المعارف الجافة ، وتدريبهم بصورة سطحية على تدبيج الموضوعات والقرارات ، والا تناقش معهم الا بشكل عابر ، معضلات البلد المعين ، والحركة العمالية المعينة وتأريخها ، وتقاليد الحزب الشيوعي وتجاربه .

اما الطريقة الثانية ، فتؤمن اعدادا نظريا ، يستند فيه استيعاب المبادىء الاساسية للماركسية اللينينية الى الدراسة العملية من جانب المستمع للقضايا الاساسية لنضال البروليتاريا في بلده ، واضعين في الحسبان ، انه سيكون عند عودته ثانية الى العمل التطبيقي ، قادرا على الاهتداء لوحده ، وعلى ان يصبح منظما وقائدا عمليا مستقلا ، قادرا على قيادة الجماهير في المعركة ضد العدو الطبقي .

وليس كل الذين تخرجوا من مدارسنا الحزبية ، اثبتوا مثل هذه الجدارة . فثمة فيض من العبارات ، والتجريدات ، والحذلقة والتعاليم . اما نحن ، فاننا نحتاج الى منظمين وقادة جماهيريين بلاشفة بكل معنى الكلمة . ونحتاج اليهم اليوم اشد الحاجة . وليكن مثل هذا الطالب غير قادر مثلا ، على ان يكتب الموضوعات الجيدة ، على اهمية ذلك ، لكنه ينبغي ان يجيد التنظيم والقيادة ، دون ان يتهيب الصعاب ، وان يجيد تذليلها .

ان النظرية الثورية تعطينا التعميمات ، والتجربة المستخلصة من الحركة الثورية : وعلى الشيوعيين ان يستخدموا بدأب في بلدانهم لا تجربة الماضي وحدها، بل وتجربة النضال الراهن لبقية فصائل الحركة العمالية الدولية . غير ان

الاستخدام الصحيح للتجربة لا يعني البتة النقل الميكانيكي لاشكالِ واساليب العمل الجاهزة ، وحتى التي يتبعها الحزب الشيوعي السوفييتي ، الى بلدان ما تزال تسيطر عليها الراسمالية ، فقد يؤدي ذلك الى الضرر ، بالرغم من كل النوايا الطيبة ، كما حدث ذلك غير مرة في الواقع الملموس . وعلينا ان نتعلم من تجربة البلاشفة الروس بالذات ، التطبيق الحي الملموس ، المتفق مع خصائص كل بلد ، لخط الاممية الموحد في النضال ضد الرأسمالية ، وان نتعلم كيف نطرد ونندد بلا رحمة ، ونفضح العبارات الطنانة ، والقوالب الجامدة والفذلكة والنصية .

ومن الضروري ، ايها الرفاق ، ان نتعلم ونتعلم باستمرار ، في كل خطوة ، في مجرى النضال ، في السجن وخارجه . فلنتعلم ونناضل . ولنناضل ونتعلم . وعلينا ان نفلح بالجمع بين التعاليم الماركسية اللينينية العظمى وبين العداء المبدئي الثوري للعدو الطبقي ، والشجاعة الثورية بوجه الصعوبات والواقعية الثورية .

ايها الرفاق ! ان الراي العام العالمي لم يول ابدا اي مؤتمر شيوعي دولي مثل الاهتمام الذي يوليه لمؤتمرنا هذا . ويمكننا القول دونما مبالغة ، بانه ما من صحيفة جدية ، ولا حزب سياسي ، ولا شخصية سياسية جدية نوعا ، لا تترقب سير المؤتمر بشيء من اللهفة .

كما ان انظار ملايين العمال والفلاحين ، وفقراء المدن ، والموظفين والمثقفين والشعوب المستعمرة والامم المضطهدة ، تتجه شطر موسكو ، شطر العاصمة العظيمة لاول وليس آخر ، دولة للبروليتاريا العالمية . واننا نرى في هذا الواقع ، توكيدا للاهمية الهائلة التي تكتسبها القضايا المبحوثة في المؤتمر ومقرراته .

اما عواء الفاشست المسعور في كل البلدان ، ولا سيما عواء الفاشية الالمانية المتحفزة ، فما هو الا برهان على اننا اصبنا بقراراتنا الهدف في صميمه .

ان الامية الشيوعية ـ حزب البلاشفة الدولي ـ تنهض في ديجور الرجعية البورجوازية والفاشية الحالك الذي يسعى العدو الطبقي لفرضه على كادحي البلدان الراسمالية ، كالنجم الهادي ، لتدل البشرية كلها الى الطريق الصائب الوحيد نحو التحرر من ربقة الراسمالية ، ومن بربرية الفاشية ، واهوال الحرب الامبريالية .

وتحقيق وحدة عمل الطبقة العاملة هو مرحلة حاسمة في هذا الطريق . اجل ، وحدة عمل منظمات الطبقة العاملة من جميع الاتجاهات ، ورص صفوفها في سائر ميادين نشاطها وفي كل مجالات النضال الطبقي .

وينبغي للطبقة العاملة ان تحقق وحدة نقاباتها . وعبثا يسعى بعض قادة النقابات الاصلاحيين ، لاخافة العمال بحكاية القضاء على الديموقراطية النقابية جراء تدخل الحزب الشيوعي في شؤون النقابات الموحدة ، وبسبب وجود الكتل الشيوعية في داخل النقابات . فمن السخف الواضح اظهارنا ، نحن الشيوعيين،

كأعداء للديموقراطية النقابية . فاننا نذود وندافع بثبات عن حق النقابات في ان تقرر شؤونها بنفسها . حتى اننا لمستعدون للتخلي عن تنظيم كتيل شيوعية في النقابات ، اذا اقتضت ذلك مصالح الوحدة النقابية . واننا على استعداد لان نوافق على ان تكون النقابات الموحدة مستقلة عن جميع الاحزاب . غير اننا نناوىء بحزم كل تبعية نقابية للبورجوازية ، واننا لا نتخلى عن موقفنا المبدئي بشأن رفض موقف النقابات الحيادي ازاء الصراع الطبقي بين البروليتاريا والبورجوازية وعلى الطبقة العاملة ان تناضل من اجل توحيد جميع قوى الشبيبة العاملة وجميع منظمات الشبيبة المعادية للشيوعية ، وان تكسب ذلك الجزء من الشبيبة العاملة الذي وقع تحت التأثير الوبيل للفاشية وبقية اعداء الشعب .

ويتحتم على الطبقة العاملة ان تحقق ، ولا بد ستحقق ، وحدة العمل في جميع ميادين الحركة العمالية . وسيتم ذلك بسرعة اكبر ، بقدر ما نطبق ، نحن الشيوعيين ، والعمال الثوريين من جميع البلدان الراسمالية ، الاتجاه التكتيكي الجديد الذي اقره المؤتمر بصدد اهم القضايا الملحة للحركة العمالية بمزيد من الحزم والقوة .

واننا نعلم ، ان كثيرا من الصعوبات تعترض سبيلنا . وان دربنا ليس جادة معبدة ، مفروشة بالورود . كلا ، فسيتحتم على الطبقة العاملة ان تذلل غير قليل من الصعاب والعقبات حتى في اوساطها الخاصة ، وهي تواجه قبل كل شيء ، مهمة استئصال شأفة الدور الانشقاقي الذي تلعبه العناصر الرجعية في صفوف الاشتراكيين الديموقراطيين . وعليها ان تقدم كثيرا من الضحايا تحت ضربات الرجعية البورجوازية والفاشية . وان على سفينتها الثورية ان تجتاز كثيرا من المخاطر ، حتى تشق طريقها الى شاطىء الامان .

غير ان الطبقة العاملة في البلدان الراسمالية لم تعد اليوم ، كما كانت عليه في عام ١٩١٤ ، ابان الحرب الامبريالية ، ولا كما كانت عليه في عام ١٩١٨ ، في نحو نهاية الحرب . فللطبقة العاملة وراء ظهرها تجربة عشرين عاما ، حافلة بالنضال ، والامتحانات الثورية ، والعبر المريرة المستمدة من هزائمها العديدة ، ولا سيما في المانيا والنمسا واسبانيا .

وتجد الطبقة العاملة في شخص الاتحاد السوفييتي ــ وطن الاشتراكية الظافرة ، مثالا ملهما للانتصار على العدو الطبقي ، واقامة سلطتها وبناء مجتمعها الاشتراكي .

وان البورجوازية لم تعد تهيمن بلا منازع على العالم اجمع ، فان الطبقة العاملة المنتصرة تحكم سدس الكرة الارضية .

وللطبقة العاملة طليعة ثورية رصينة وقوية ــ هي الاممية الشيوعية .

ان مجمل سير التطور التأريخي ، ايها الرفاق ، يعمل لمصلحة الطبقة العاملة .

وعبثا ستذهب جهود الرجعيين والفاشست بكل اصنافهم ، والبورجوازية العالمية بأسرها ، لاعادة عجلة التأريخ الى وراء . كلا ، فان هذه العجلة تدور وستدور في الطريق نحو الاتحاد العالمي للجمهوريات السوفييتية الاشتراكية ، وحتى الانتصار النهائي للاشتراكية في العالم اجمع .

ان شيئا واحدا ينقص الطبقة العاملة في البلدان الراسمالية ــ الوحدة في صفوفها الخاصة .

فليدوي هادرا من على هذا المنبر نداء الاممية الشيوعية الكفاحي في ارجاء العالم كله ، نداء ماركس وانجلز : « يا عمال العالم اتحدوا » .

(تصفيق عاصف) .

حكام البلدان الرأسمالية الحاليون زائلون والبروليتاريا هي السيدة الحقيقية في العالم [1]

ايها الرفاق !

ان المؤتمر العالمي السابع للاممية الشيوعية ، مؤتمر الشيوعيين من سائر البلدان ومن سائر قارات العالم ، ينهي اعماله .

فما هي النتائج وماذا يمثل المؤتمر بالنسبة لحركتنا وللطبقة العاملة العالمية ولكادحي جميع البلدان ؟

لقد كان هذا المؤتمر مؤتمر الانتصار التام للوحدة بين بروليتاريا الاتحاد السوفييتي ، بلد الاشتراكية الظافرة ، وبين بروليتاريا العالم الراسمالي المكافحة من اجل التحرر . ان انتصار الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي ، ذلك الانتصار ذو الاهمية التاريخية العالمية يثير حركة جبارة نحو الاشتراكية في سائر البلدان الراسمالية . وان هذا الانتصار يوطد قضية السلم بين الشعوب ، ويرفع من مكانة الاتحاد السوفييتي الدولية ودوره كسند جبار للكادحين في نضالهم ضد راس المال والفاشية والرجعية . وهو يوطد الاتحاد السوفييتي كقاعدة للثورة البروليتارية العالمية . ويدفع الى الحركة في العالم كله ليس العمال الذين ما زالوا يولون وجوههم نحو الشيوعية وحسب ، بل وكذلك ملايين الفلاحين وكادحي المدن ، وشطرا هاما من المثقفين والشعوب المستعبدة ، وينهضها للكفاح ويزيدها تعلقا بالوطن العظيم لجميع الكادحين ، ويشدد عزمها على دعم وحماية الدولة البروليتارية من جميع اعدائها .

كما ان انتصار الاشتراكية هذا يقوي ثقة البروليتاريا العالمية بقواها وبامكانياتها لتحقيق انتصارها ويعزز ايمانها الذي يتحول بحد ذاته الى قوة فعالة هائلة ضد سطوة البورجوازية .

وان في وحدة قوى البروليتاريا في الاتحاد السوفييتي مع القوى المكافحة

---

(١) خطاب في الجلسة الختامية للمؤتمر العالمي السابع للاممية الشيوعية ، القي في العشرين من آب ـ اغسطس ـ ١٩٣٥ .

للبروليتاريا والجماهير الكادحة في البلدان الراسمالية ، لضمانة كبيرة للاطاحة بالراسمالية بوقت قريب وضمانة لانتصار الاشتراكية في العالم كله .

ولقد وضع مؤتمرنا الاسس لمثل هذه التعبئة الواسعة لقوى الكادحين جميعا ضد قوى الراسمالية ، لم يسبق لها مثيل في تأريخ الطبقة العاملة .

واعتبر المؤتمر التلاحم السياسي والتنظيمي لقوى البروليتاريا وانهاء العزلة التي ادت اليها سياسة الاشتراكيين الديموقراطيين في التعاون الطبقي مع البورجوازية ـ ورص صفوف الكادحين حول الطبقة العاملة في جبهة شعبية واسعة للنضال ضد زحف راس المال والرجعية ، ضد الفاشية وخطر الحرب في كل بلد على حدة ، وعلى النطاق الدولي كذلك ـ من اعظم المهام واكثرها الحاحا .

وليست هذه المهمة بدعة ابتدعناها نحن . انما فرضتها تجربة الحركة العمالية العالمية نفسها ، ولاسيما تجربة البروليتاريا في فرنسا . وتتلخص مأثرة الحزب الشيوعي الفرنسي في انه ادرك ما ينبغي ان يفعله اليوم ، ولم يصغ الى الانعزاليين الذين بددوا طاقات الحزب وعرقلوا تحقيق الجبهة الموحدة في النضال ضد الفاشية ، بل اعد بجراة وعلى النمط البولشفي ، الجبهة الموحدة للبروليتاريا كأساس للجبهة الشعبية المعادية للفاشية ، وذلك عن طريق ميثاق الاعمال الموحدة مع الحزب الاشتراكي . وبهذا العمل الذي يتجاوب مع المصالح الحيوية لجميع الكادحين والعمال الفرنسيين ، خرج الشيوعيون والاشتراكيون بالحركة العمالية الفرنسية من جديد الى الصف الاول والطليعي في بلدان اوروبا الراسمالية ، ودللوا على انهم احفاد جديرون لابطال الكومونة ، وحملة اهدافها المجيدة .

ويعود الى الحزب الشيوعي الفرنسي والى البروليتاريا الفرنسية الفضل في انهم ساعدوا بتطبيقهم ونضالهم عن طريق الجبهة البروليتارية الموحدة ضد الفاشية على اعداد قرارات مؤتمرنا ذات الاهمية البالغة بالنسبة لعمال جميع البلدان .

غير ان ما تم في فرنسا ليس الا الخطوات الاولى ، وان مؤتمرنا لم يستطع عند تحديد الخط التكتيكي للسنوات الاولى ان يقتصر على تسجيل هذه التجربة، بل تجاوزها بشوط اخر .

فاننا نحن الشيوعيين لحزب طبقي بروليتاري ، غير اننا على استعداد ، بصفتنا طليعة للبروليتاريا ، لان ننظم اعمالا موحدة بين البروليتاريا وبقية الفئات الكادحة ذات المصلحة في النضال ضد الفاشية . واننا نحن الشيوعيين لحزب ثوري . غير اننا على استعداد للقيام باعمال موحدة مع بقية الاحزاب التي تناضل ضد الفاشية .

وان لدينا نحن الشيوعيين اهدافا نهائية اخرى تختلف عن اهداف تلك الطبقات والاحزاب ، غير اننا على استعداد لان نناضل ، في غمرة كفاحنا من اجل اهدافنا ، كتفا لكتف ، وفي الوقت ذاته ، من اجل مهام قريبة ، من شأنها اذا ما تحققت ، ان تضعف مواقع الفاشية وتعزز مواقع البروليتاريا .

وان اساليب نضالنا تختلف عن اساليب الاحزاب الاخرى ، لكن الشيوعيين في الوقت الذي يناضلون بأساليبهم ضد الفاشية ، يدعمون اساليب نضال الاحزاب الاخرى مهما بدت لهم غير كافية ، شريطة ان تكون هذه الاساليب موجهة ضد الفاشية فعلا .

واننا لعلى استعداد لان نفعل كل ذلك ، لاننا نريد سد الطريق على الرجعية، وصد زحف الراسمال والفاشية في بلدان الديموقراطية البورجوازية ، وأن نحول دون القضاء على الحريات الديموقراطية البورجوازية ، وأن نذود عن البروليتاريا والقسم الثوري من الفلاحين والمثقفين ، من بطش الارهاب الفاشي ، وأن ننتشل الجيل الفتيّ من التدهور الجسماني والروحي .

واننا لعلى استعداد لنفعل كل ذلك ، لاننا نريد ان نهيء ونعجل باسقاط الدكتاتورية في البلدان الفاشية .

ونحن على استعداد لنفعل ذلك ، لاننا نريد انقاذ العالم من البربرية الفاشية ومن أهوال الحرب الامبريالية (١) .

ان مؤتمرنا هو مؤتمر النضال من اجل صيانة السلم ، ضد خطر الحرب الامبريالية .

واننا نخوض هذا النضال الان بأسلوب جديد . وقد نبذ مؤتمرنا بحزم الآراء القديمة فيما يتعلق بالحروب الامبريالية ، تلك الاراء المستوحاة من الآراء الاشتراكية الديموقراطية القديمة .

صحيح ان الحروب الامبريالية هي نتاج الرأسمالية، وان الاطاحة بالرأسمالية هي وحدها التي ستضع حدا للحروب ، غير ان من الصحيح كذلك ان بمقدور الجماهير الكادحة ان تحول بأعمالها الكفاحية دون الحرب الامبريالية .

فان العالم لم يعد الان كما كان عليه عام ١٩١٤ .

اذ تقوم اليوم على سدس الكرة الارضية دولة بروليتارية جبارة تستند الى القوة المادية للاشتراكية الظافرة . وبفضل السياسة السلمية للحزب الشيوعي السوفييتي ، احبط الاتحاد السوفييتي اكثر من مرة ، خطط مشعلي الحروب العدوانية .

كما ان البروليتاريا العالمية تجد تحت تصرفها الان في نضالها ضد الحرب

---

(١) وعندما وصل ديمتروف ، الى هذه الفقرة من خطابه ، صعد الى المنصة مندوب الحزب الشيوعي الالماني الرفيق «فبر» وقدم الى الرفيق ديمتروف البوم ، ثم اخذ الكلمة قائلا : ايها الرفيق ديميتروف ، باسم وفد الحزب الشيوعي الالماني اقدم لك هذا الكتاب ، وهو سجل بطولة المناضلين الثوريين الالمان . ولقد كنت انت بنضالك في محاكمة لايبزيغ، وبمجمل نشاطك اللاحق ، قدوة للحزب الشيوعي الالماني ولاعداء الفاشية الالمان . فتقبل هذا الكتاب ، هذا النشيد الذي يتغنى ببطولة المناضلين البروليتاريين الالمان الذين ، وانت قدوتهم ، يهبون حريتهم وصحتهم وحياتهم من اجل قضية الثورة .

وقد تسلم ديمتروف ، الالبوم وعانق الرفيق فبر ، فتعالت الهتافات وتحيات الوفود .

لا مجرد سلاح حملاتها الجماهيرية كما في عام ١٩١٤ . فان النضال الجماهيري الذي تخوضه اليوم الطبقة العاملة العالمية ضد الحرب يقترن بالتأثير الدولـــي للاتحاد السوفييتي ومكانة جيشه الاحمر الجبار بصفته اقوى حارس للسلم .

ولا تخضع الطبقة العاملة العالمية اليـــوم الى مجرد نفوذ الاشتراكيـــة الديموقراطية المتحالفة مع البورجوازية كما هي الحال في عام ١٩١٤ . اذ هنالك اليوم حزب شيوعي عالمي ـ الاممية الشيوعية. وتتجه جماهير العمال الاشتراكيين الديموقراطيين اليوم صوب الاتحاد السوفييتي وسياسته السلمية وصوب الجبهة الموحدة مع الشيوعيين .

وان شعوب المستعمرات واشباه المستعمرات لم تعد اليوم تنظر الى تحررها كقضية لا رجاء فيها ، بل على العكس ، فهي ما برحت تقدم بحزم علـى النضال ضد مستعبديها الامبرياليين . وابلغ دليل على ذلك ، نضال الشعب الصيني ومآثر جيشه الاحمر البطولية .

ويتعاظم كره الشعوب للحرب ويتعمق باستمرار . وان البورجوازية التـي تدفع الكادحين الى هوة الحروب الامبريالية ، تخاطر براسها اليوم . فلم تعـد تناضل اليوم ، الطبقة العاملة والفلاحون وبقية الكادحين ، من اجل صيانة السلم، فحسب ، وانما تناضل كذلك الشعوب المضطهدة والامم المستضعفة ، التي تهدد الحروب الجديدة استقلالها الوطني ، حتى ان بعض الدول الراسماليـة الكبرى التي تخشى الضياع بنتيجة تقسيم العالم من جديد ، يهمها تفادي الحـــرب في مرحلة معينة .

ومن هنا تنشأ امكانية قيام اوسع جبهة للطبقة العاملة ولجميع الكادحـين وشعوب بأسرها ضد خطر الحرب الامبريالية . وان مؤتمرنا اذ يستند الـــى السياسة السلمية للاتحاد السوفييتي والى ارادة الملايين والملايين من الكادحين في السلم ، يفتح آفاقا لقيام جبهة واسعة ضد الفاشية ، لا للطليعة الشيوعية وحدها ، بل ولكل الطبقة العاملة في العالم ، ولشعوب سائر البلدان . وعلى مدى تحقيق وفاعلية هذه الجبهة العالمية يتوقف ما اذا كان بوسع مشعلي الحـــرب الفاشيين والامبرياليين ان يضرموا في وقت قريب لهيب حرب امبريالية جديدة او ان تقطع ايديهم الآثمة بسيف الجبهة الجبارة المعادية للحرب .

ان مؤتمرنا هو مؤتمر وحدة الطبقة العاملة ، مؤتمر النضال من اجل الجبهة البروليتارية الموحدة .

ونحن لا نعلل انفسنا بسهولة التغلب على الصعوبات التي سيضعها الجناح الرجعي من قادة الاشتراكية الديموقراطية في وجه الجبهة البروليتارية الموحدة. غير اننا لا نخشى هذه الصعوبات ، لاننا نعبر عن ارادة ملايين العمال ، ذلك لاننا، نخدم في نضالنا من اجل الجبهة الموحدة، مصالح البروليتاريا على افضل نحو ، لان الجبهة البروليتارية الموحدة هي الطريق المضمون نحو الاطاحة بالفاشيـــة والنظام الراسمالي ودرء الحروب الامبريالية .

ولقد رفعنا في هذا المؤتمر راية الوحدة النقابية عاليا . فان الشيوعيين لا يتمسكون اطلاقا بالوجود المستقل للنقابات الحمراء . غير ان الشيوعيين يريدون وحدة نقابية على اساس شن النضال الطبقي والقضاء قضاء نهائيا على الوضع الذي يفصل فيه عن النقابات اممية امستردام . ان الشيوعيين أثبت انصار الوحدة النقابية والصراع الطبقي واشدهم حزما .

واننا نعلم ان ليس كل الشخصيات النقابية التي انتمت الى الاممية النقابية قد ادركت واستوعبت خط المؤتمر . فما زالت هنالك بقايا الغرور الانعزالي الذي يجب ان نقضي عليه وسط اولئك المناضلين ، كيما نطبق خط المؤتمر تطبيقا حازما . غير اننا سنطبق هذا الخط بكل ثمن ، وسنجد لغة مشتركة مع اشقائنا الطبقيين ، مع رفاقنا في النضال ، مع العمال المنتمين الان الى اتحاد امستردام .

لقد رسمنا في هذا المؤتمر نهجا لاقامة حزب سياسي جماهيري موحد للطبقة العاملة من اجل القضاء على انشقاق البروليتاريا الناجم عن سياسة التعاون الطبقي التي انتهجها الاشتراكيون الديموقراطيون . وليست الوحدة السياسية للطبقة العاملة مناورة بالنسبة لنا ، انما هي مسألة المصير المقبل للحركة العمالية جمعاء . واذا ما وجد في صفوفنا اناس ينظرون الى مسألة خلق الوحدة السياسية للطبقة العاملة نظرتهم الى مناورة ما ، فاننا سنناضل ضدهم كما نناضل ضد الناس الذين يلحقون الضرر بالطبقة العاملة . وبما اننا نقف من هذه المسالة موقفا بالغ الجدية والاخلاص تفرضه مصالح البروليتاريا ، فاننا سنضع شروطا مبدئية محددة كأساس لهذه الوحدة . وهذه الشروط المبدئية لم ننتحلها نحن . انما هي امور جربتها البروليتاريا في مجرى نضالها ، وهي تتجاوب كذلك مع ارادة ملايين العمال الاشتراكيين الديموقراطيين ، تلك الارادة التي أملتها عبر الاخفاقات والهزائم . وقد اثبتت صحة هذه الشروط المبدئية تجربة الحركة العمالية الثورية بأسرها .

وبما ان مؤتمرنا قد مر تحت شعار الوحدة البروليتارية ، فانه لم يكن مجرد مؤتمر للطليعة الشيوعية ، بل كان مؤتمرا لمجموع الطبقة العاملة العالمية التي تصبو الى الوحدة الكفاحية النقابية والسياسية .

وعلى الرغم من عدم حضور مندوبي العمال الاشتراكيين الديموقراطيين الى مؤتمرنا وبالرغم من عدم حضور مندوبين لا حزبيين اليه ، وبالرغم من عدم تمثيل العمال الذين زج بهم عنوة في المنظمات الفاشية ، فقد اعرب مؤتمرنا عن افكار ومشاعر الاغلبية الساحقة من الطبقة العاملة . ولو كانت المنظمات العمالية من مختلف التيارات حرة حقا في مناقشة قراراتنا وسط البروليتاريا في العالم اجمع ، لما خامرنا الشك في ان العمال سيؤيدون هذه القرارات التي صوتم لها، ايها الرفاق ، بمثل هذا الاجماع .

وذلك يضاعف التزامنا نحن الشيوعيين بان نجعل القرارات التي اتخذها مؤتمرنا في متناول الطبقة العاملة كلها . فليس كافيا ان نصوت على هذه

الحزبي ، والا ننعت بشكل متسرع كل شك او ملاحظة انتقادية من العضو الحزبي فيما يتعلق بالمهام العملية لحركتنا بأنها انحراف ما . وعلينا ان نبذل كل ما في وسعنا بحيث نساعد الرفيق الذي اقترف خطأ ما على اصلاحه عمليا ، وعلينا ان نسدد ضرباتنا الى اولئك الذين يتعنتون بأخطائهم ويؤدون الى تفكك تنظيم الحزب .

واننا سنناضل في مجرى سعينا الى وحدة الطبقة العاملة من اجل الوحدة الداخلية لاحزابنا بمزيد من الحيوية والاصرار . فان من غير الممكن وجود تكتلات او ميول انقسامية في صفوفنا . وان من يحاول الاخلال بهذه الوحدة الفولاذية في صفوفنا بأي نشاط انقسامي ، فانه سيرى ماذا يعني الضبط البولشفي الذي علّمنا اياه لينين . فليكن ذلك انذارا لتلك العناصر التي تفكر في بعض الاحزاب انها تستطيع استغلال صعوبات حزبها وجراحه وهزائمه وضربات العدو المسعور، لامرار خططهم الانشقاقية ، ولتحقيق مصالحهم الضيقة . ان الحزب فوق كل شيء ! فلنصن الوحدة البولشفية لحزبنا كما نصون حدقات عيوننا ـ هذا هو القانون الاول والاسمى للبولشفية .

ان مؤتمرنا هو مؤتمر للنقد الذاتي البولشفي ولتعزيز القيادة الاممية الشيوعية وفروعها .

اننا لا نخشى الكشف جهارا عن اخطائنا ونواقصنا ونقاط الضعف في صفوفنا ، لاننا حزب ثوري يدرك انه لن يتطور او ينمو وينجز مهماته الا بنبذ كل ما يعيق تطوره كحزب ثوري .

والعمل الذي انجزه مؤتمرنا بانتقاده الصارم للانعزالية المتعالية والنصية والنمطية وخمول الذهن واستبدال وسائل قيادة الجماهير بوسائل قيادة الحزب. ان هذا العمل كله لا بد لنا من مواصلته في سائر الاحزاب وفي سائر حلقات حركتنا ، لان ذلك هو من اهم الشروط لتطبيق قرارات المؤتمر تطبيقا صائبا .

لقد عقد المؤتمر في قراره المتعلق بتقرير اللجنة التنفيذية العزم على تركيز القيادة التنفيذية لحركتنا في الفروع نفسها ، الامر الذي يتطلب منا ان نكثف عملنا ، على نطاق شامل ، لتربية وتثقيف الملاكات ولتعزيز صفوف الاحزاب الشيوعية بقادة بلاشفة حقا ، لكي تستطيع هذه الاحزاب ان تجد بسرعة وبشكل مستقل في التحولات الحادة للاحداث ، الحلول الصحيحة للمهام السياسية والتكتيكية للحركة الشيوعية أنطلاقا من قرارات مؤتمرات الاممية الشيوعية واجتماعات لجنتها التنفيذية . وقد سعى المؤتمر عند انتخاب الهيئات القيادية الى ان يجد قيادة للاممية الشيوعية ، قوامها رجال يتبنون المواقف والقرارات المبدئية الجديدة للمؤتمر ، وهم مستعدون وقادرون على تجسيدها بهمة ، لا بشعور من الالتزام ، بل بسبب قناعتهم الراسخة .

كما ينبغي كذلك تأمين التطبيق الصائب لقرارات المؤتمر في كل بلد ، الامر الذي سيتوقف باديء ذي بدء على الاختبار المناسب للملاكات وتوزيعها وتوجيهها.

واننا نعلم ان هذه ليست مهمة يسيرة . وعلينا ان نضع في الحسبان ان قسما من ملاكاتنا لم يترب على اساس تجربة السياسة الجماهيرية البولشفية ، انما على اساس الدعاية العامة بالدرجة الاولى . وعلينا ان نبذل كل ما في وسعنا، لنساعد ملاكاتنا في اعادة تثقيفها وبلورتها بالروح الجديدة ، بروح مقررات المؤتمر . بيد ان علينا حيثما ظهر ان القرب العتيقة لم تعد صالحة للنبيذ الجديد ، ان نستخلص الاستنتاجات اللازمة . فلا ينبغي ان نسكب النبيذ الجديد او نفسده في القرب العتيقة ، بل علينا ان نستبدل هذه القرب بأخرى جديدة.

ايها الرفاق ، لقد استثنينا من التقرير ومن مقررات المؤتمر كل العبارات المجلجلة فيما يتعلق بالآفاق الثورية . لكن ليس لاننا ننظر الى تقدير وتيرة التطور الثوري ، بتفاؤل أقل مما في السابق ، بل لاننا نريد انتشال احزابنا من الميل الى استبدال الفاعلية البولشفية بالعبارات الثورية او بالجدل العقيم حول تقدير الآفاق الثورية . ونحن اذ نشن نضالا حازما ضد الركون الى العفوية ، فاننا نرى ونضع في الحسبان عملية تطور الثورة لا كمراقبين ، بل كمشاركين فعالين في هذه العملية . ونحن بصفتنا حزب القضية الثورية ، وبتنفيذنا خلال كل مرحلة من مراحل الحركة ، المهام التي هي في صالح الثورة ، والتي تنسجم مع الظروف الملموسة للمرحلة المعينة، وبتقديرنا الواضح للمستوى السياسي لجماهير الكادحين الواسعة ، فاننا نعمل على افضل وجه ، بخلق الشروط الذاتية اللازمة لانتصار الثورة البروليتارية .

لقد قال ماركس : «علينا ان نتناول الامور كما هي عليه ، اي ان نذود عن قضية الثورة ، بالطريقة التي تنسجم والاوضاع المتغيرة»، هذا هو جوهر المسألة. وعلينا الا ننسى ذلك ابدا .

ايها الرفاق ! من الضروري ان نحمل مقررات مؤتمرنا العالمي الى الجماهير، وأن نوضحها للجماهير ، ونطبقها كدليل لعمل الجماهير ، وباختصار ، لنحولها الى جزء لا يتجزأ من ملايين الكادحين !

ومن الضروري تشديد مبادرات العمال ، في اماكن عملهم الى الحد الاقصى وفي كل مكان ، ومبادرات المنظمات الدنيا للحزب الشيوعي ، والحركة العمالية، من اجل تطبيق هذه القرارات .

وعلى ممثلي البروليتاريا الثورية ، بعد انصرافهم من هنا ، ان يحملوا الى بلدانهم ، اليقين القاطع ، بأننا نحن الشيوعيين ، نضطلع بالمسؤولية عن مصير الطبقة العاملة ، والحركة العمالية ، وعن مصير كل شعب ، ومصير البشرية الكادحة كلها .

فالينا ، نحن العمال ، لا الى الطفيليات الاجتماعية ومصاصي الدماء ، يعود العالم ــ العالم الذي بنته سواعد العمال . اما حكام العالم الرأسمالي الحاليون ، فهم اناس طارئون .

ان البروليتاريا هي السيدة الحقيقية لعالم الغد . وعليها ان تمارس حقوقها

التاريخية ، وان تأخذ بزمام الحكم في كل بلد ، وفي العالم طراً .

اننا تلامذة ماركس وانجلز ولينين وستالين ، وعلينا ان نكون جديرين بمعلمينا العظام .

ان جيشنا السياسي الذي يضم الملايين ، ملزم بتذليل كل الصعاب ، وباجتياز كل الحواجز ، لتقويض حصن الراسمالية ، وتحقيق انتصار الاشتراكية في العالم كله .

لتعش وحدة الطبقة العاملة !

ليعش المؤتمر العالمي السابع للاممية الشيوعية ! (تصفيق عاصف)

لتتوحد جميع قوى الشبيبة المعادية للفاشية[1]

ايها الرفاق ! ابلغكم تحية كفاحية حارة عن اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية .

ان الكلمات المرموقة لقائد ومعلم البروليتاريا العظيم وجميع المضطهدين في العالم ـ الرفيق ستالين ، القائلة بان «الاممية هي الفكرة الاساسية التي يتسم بها نشاط الكومسومول» ، تجد تجسيدها الحي في شخصكم .

فلم تقو كل مخاطر طريقكم الوعر الشاق ، ولا طوابير الفاشست والبوليس، على الحيلولة دون اجتماعكم في عاصمة البروليتاريا الحمراء ، لتتدارسوا في اسرة اممية ، اخوية متضامنة ، مهام توحيد قوى الجيل الفتي من الكادحين .

انكم مؤتمر الشبيبة الثورية ، مؤتمر القوة والحيوية . فما اكثر ما اجتمع في مؤتمركم هذا ، من اروع المناضلين النموذجيين البواسل في سبيل قضية الشبيبة الكادحة !

وانني لاحيي في شخصكم ، تحية اعتزاز وحب ، باسم جيل الثوريين الاكبر سنا ، الفصيلة الفتية للطبقات الكادحة من جميع بلدان العالم .

ايها الرفاق ، قبل شهر واحد ، انفض في هذه القاعة التي تجمع شملكم الان ، المؤتمر العالمي السابع للاممية الشيوعية .

وقد ناقش مؤتمر الكومنترن ، مسترشدا بتعاليم ماركس ولينين ، مناقشة جذرية جميع المعضلات الرئيسية للحركة العمالية العالميه ، ورسم الطريق لانهاء انقسامها ولرص صفوف الكادحين في النضال ضد المستغلين والمضطهدين ، ضد الفاشية والحرب . وقد اولى مؤتمر الاممية الشيوعية اهتماما خاصا الى حركة الشبيبة باعتبارها احدى اهم معضلات الحركة الثورية العالمية ، مدركا حق الادراك ، ان انتصار نضال الكادحين الطبقي ، يتوقف على التطور السليم الناجح لحركة الشبيبة .

---

(1) خطاب القي في افتتاح المؤتمر السادس للاممية الشيوعية للشبيبة في ٢٥ ايلول ـ سبتمبر ـ عام ١٩٣٥ .

ان الفاشية التي اودت بخيرة مناضلي الشبيبة الثورية ، تحاول في الوقت ذاته وبكل السبل ، ان تكيّف ديماغوجيتها المتعفنة وفقا لامزجة جماهير الشبيبة الواسعة وان تستغل الفعالية الكفاحية المتعاظمة لدى الشباب لمآربها الرجعية ، وتحويلهم الى دعامة للراسمالية المحتضرة .

وان السلطة الفاشية ، اذ تجرد الجيل الفتي من الكادحين من كل حقوقه ، تشيع الروح العسكرية في اوساط الشبيبة كلها ، وتحاول جعلها أداة طيّعة بيد راس المال المالي ، سواء في الحرب الاهلية او في الحرب الامبريالية .

فبماذا يمكننا ان نواجه الفاشية وخطر الحرب الامبريالية ، الذي تفاقم جدا من جراء الهجوم الذي تعده الفاشية الايطالية على اثيوبيا ، ومن جراء العدوانية المتعاظمة للفاشية الالمانية ؟

اننا نستطيع ويتحتم علينا ان نجابهها بتوحيد جميع القوى المعادية للفاشية، ولاسيما بتوحيد قوى ألجيل الفتيّ ، والنهوض بدور الشبيبة وفعاليتها نهوضا حاسما ، في نضال الطبقة العاملة من اجل مصالحها وقضيتها .

فليكرس كل عمل اممية الشبيبة الشيوعية ، لتحقيق هذا الهدف الاساسي الاقرب .

واننا ننتظر ، انكم ستستطيعون على اساس التجربة ، التي توفرت لديكم، وانطلاقا من مقررات مؤتمر الكومنترن السابع ، ان تجدوا السبل القويمة لحل اخطر مهمة لحركتكم ــ مهمة توحيد قوىكل الشبيبة اللافاشية، وبالدرجة الاولى قوى الشبيبة العاملة ، ومهمة تحقيق الوحدة مع الشبيبة الاشتراكية الديموقراطية .

لكنكم لن تستطيعوا سبيلا الى ذلك، اذا حاولت اتحادات الشبيبة الشيوعية، كما فعلت قبلا ، ان تبني صفوفها كأحزاب شيوعية للشبيبة ، واذا ما اكتفت ، كما في الماضي ، بحياة مغلقة ومنعزلة عن الجماهير .

ان كل الشبيبة المعادية للفاشية ذات مصلحة بتوحيد وتنظيم قواها . ولذا يتحتم عليكم انتم ، ايها الرفاق ، ايجاد سبل واشكال واساليب العمل ، التي تضمن قيام نمط جديد من منظمات الشبيبة الجماهيرية في البلدان الراسمالية، لا تكون غريبة عن المصالح الحيوية للشبيبة الكادحة . ويتحتم عليكم ان تقيموا منظمات من شأنها ان تناضل ، دون محاكاة الحزب ، في سبيل مصالح الشبيبة، وتقفها بروح النضال الطبقي والامية البروليتارية ، وبروح الماركسية اللينينية.

ويتطلب ذلك من المؤتمر اقصى الجدية في اختبار عمل اتحادات الشبيبة الشيوعية واعادة النظر فيه ، لكيما تتم اعادة بنائها فعليا وازالة كل ما يعيق انطلاق العمل الجماهيري ، وتحقيق الجبهة الموحدة ، ووحدة الشبيبة .

واننا ننتظر ، ان تقيم امية الشبيبة الشيوعية كل نشاطها بشكل يجعلها توحد صفوف جميع المنظمات المهنية والثقافية والتعليمية والرياضية للشبيبة الكادحة ، وجميع منظمات الشبيبة الثورية ، والثورية الوطنية، والتحررية الوطنية

والمعادية للفاشية ، دفاعا عن حقوق الجيل الفتي ضد الفاشية والحرب .

وانا لنلاحظ باعتزاز بالغ ، ان رفاقنا الشبان في فرنسا والولايات المتحدة الاميركية ، قد انخرطوا بنشاط ، في الحركة الجماهيرية المتنامية لاقامة جبهة موحدة للشبيبة ، وقد سجلوا في هذا المضمار انتصارات مشجعة جدا . وعلى جميع فروع اممية الشبيبة الشيوعية ان تتعلم من الرفاق الفرنسيين والاميركيين هذه البادرة .

ويجري الان في كثير من البلدان تقارب متزايد بين الشبيبة الشيوعية والاشتراكية. والمثال الساطع على ذلك ، حضور ممثلي الشبيبة الاشتراكية الاسبانية الى جانب ممثلي الشبيبة الشيوعية ، في مؤتمركم هذا .

وهكذا ، ايها الرفاق ، فلتمضوا بجراة في طريق الاتحاد مع الشبيبة الاشتراكية وطريق اقامة منظمات موحدة معها . سيروا بجراة في طريق توحيد جميع قوى الشبيبة المعادية للفاشية !

وان اللجنة التنفيذية للامميةالشيوعية ستشجع وتدعم بكل قواها، مبادرتكم ونشاطكم في النضال من اجل الوحدة ، وفي النضال من اجل المصالح الحيوية للشبيبة الكادحة .

ان ملايين الشبان والفتيات ، الذين خلق لهم المجتمع الراسمالي ظروفا معاشية لا تطاق ، والذين اما ان يكونوا خارج كل تنظيم ، او انهم ينتمون الى منظمات يسيطر عليها العدو الطبقي ، هم اشقائكم وشقيقاتكم ، الذين بوسعكم انتم ان تجتذبوهم الى جانب الاشتراكية بعملكم العنيد .

فلا تنتظروا قيام الوحدة بين الاحزاب الشيوعية والاشتراكية الديموقراطية وغيرها من منظمات الطبقة العاملة .

ولتكونوا شجعان ، مستقلين ومبادرين !

انكم مؤتمر لانشط فئة واكثرها تفانيا من فئات الجيل الفتي الراهن . وانكم لا تستطيعون البقاء بمعزل عن حركة الوحدة ، التي تنمو وتتوطد في اوساط الطبقة العاملة ، ولا يجوز لكم ان تنتظروا كما تفعل اممية الشبيبة الاشتراكية ، اذنا «من فوق» لكي تدعموا حركة الجبهة الموحدة وتوحيد الشبيبة الكادحة في منظمة واحدة .

وانني اعلن باسم اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية ، ان الشبيبة المنضوية تحت لواء اممية الشبيبة الشيوعية ، لديها وستظل لديها كل الامكانية لتطور بشكل مستقل حركتها الثورية ، وتقرر شؤون هذه الحركة .

وعلى الشيوعيين في صفوف منظمات الشبيبة ، ان يجيدوا العمل الى حد يجعلهم يؤثرون على قرارات المنظمة ، عن طريق اقناع اعضائها ، لا عن طريق الايعازات باسم الحزب .

وسأذكركم بكلمات لينين ، التي تشكل اساس موقف الاممية الشيوعية حيال الشبيبة ومنظماتها : «غالبا ما يحدث ، ان يعجز جيل المسنين والشيوخ عن

التصرف كما ينبغي حيال الشبيبة ، التي هي مجبرة بحكم الضرورة على الاقتراب من الاشتراكية ، لا بمثل الطريق ولا بمثل الشكل ، او الوضع الذي سلكه آباؤهم. ولذلك يتحتم علينا ان نتمسك تمسكا لا شرطيا باستقلال الشبيبة التنظيمي ، وليس لمجرد ان الانتهازيين يخشون هذا الاستقلال ، بل وكذلك بحكم جوهر العمل نفسه . لان الشبيبة لن تستطيع ، بدون الاستقلال التام ، لا ان تخلق من بين صفوفها اختصاصيين بارعين ، ولا ان تستعد للمضي بالاشتراكية الى امام».

ايها الرفاق ، ان علينا ان نتعلم ، ان نتعلم ونحن نناضل !

ولتقرنوا مجمل نشاطكم اليومي التطبيقي ، بالدراسة العميقة للمراجع الماركسية اللينينية ، فليس بالامكان وجود تطبيقي ثوري بدون نظرية ثورية .

ولتكونوا قدوة ، ومناضلين شجعان اشداء ضد الفاشية ، ضد الراسمالية.

ولترفعوا عاليا راية تحرير الانسانية من العبودية الراسمالية ، راية الاممية الشيوعية .

ولتوحدوا حول هذه الراية صفوف جيل الكادحين الفتي في العالم ! ولقد باتت راية الانتصارات العظمى هذه ترفرف على سدس الكرة الارضية ، وستنتصر في العالم قاطبة . فانها راية الزعيم العظيم للبروليتاريا العالمية لينين !

الجبهة الموحدة للنضال من اجل السلم

ـ ١ ـ

ان الخطر من حرب عالمية لم يكن ابدا ، منذ عام ١٩١٤ فصاعدا مثلما هو عليه اليوم . كما لم تكن ضرورة تعبئة جميع القوى لدرء هذه الكارثة التي تتهدد البشرية قاطبة ، مثلما هي عليه الان . ولكن من الضروري ان نوضح باديء الامر، من اين يتصاعد الخطر ، ومن هم حملته ، وعلى اي البلدان يتأهبون للانقضاض.

من الخطأ التفكير ، بأن الحرب المتصاعدة لا تهدد سوى الاتحاد السوفييتي، او تهدده بالدرجة الاولى على الاقل . فلا ريب في ان اغتصاب منطقة الراين من قبل الجيش الهتلري يشكل خطرا مباشرا على فرنسا وبلجيكا وبقية البلدان الاوروبية . ومما لا ريب فيه ايضا ، ان اقرب خطط هتلر التوسعية موجهة نحو السيطرة على اراضي الدول المجاورة ، التي يقطنها سكان المان .

واذا ما تحدث هتلر اليوم عن «سيادة المانيا» ، فانه سيتحدث غدا عن سيادة «الالمان» جميعا . وتحت هذا الشعار سيحاول تحقيق الحاق النمسا ، والقضاء على تشيكوسلوفاكيا كدولة مستقلة ، واحتلال الالزاس واللورين ، وداسنغ ، والجزء الجنوبي من الدانمارك ، وميميل وغيرها . وذلك مفهوم تماما: فان من الاسهل على الفاشية الالمانية ان تجرد في البداية جيشا لفتح اراضي

الدول المجاورة تحت شعار «التوحيد القومي لجميع الالمان» لكي تعلن الحرب بعد ذلك على بلاد السوفييت الجبارة . كما ان الفاشية الالمانية ، تشكل باستنادها الى الراين ، خطرا على استقلال الشعب البولوني كذلك ، بالرغم من ان حكام بولونيا الحاليين يرتبطون بعلاقات تحالف معها .

اما فيما يتعلق بالشرق الاقصى ، فلا مجال للشك ، في ان الضربة المباشرة ستسدد الى الشعب الصيني ، على الرغم من ان الطغمة العسكرية اليابانية تعدّ حربا ضد الاتحاد السوفييتي ، وهي ترتبط باتفاق مع برلين لهذا الغرض . وقد احتلت اليابان منشوريا ، وهي تغتصب الان اقاليم الصين واحدا بعد اخر . علما بان الامبريالية اليابانية تسعى الى اخضاع جميع شعوب آسيا ، بما فيها الهند، الى احتلال الفيليبين واستراليا . وهي تعد العدّة لاشتباك حاسم مع الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى .

ومن الواضح ان الشعوب الغربية ستقترف خطأ فادحا اذا ظلت تتوهم ، ان مشعلي الحرب الفاشيين في اوروبا والشرق الاقصى لا يهددونها ، وعلى البلدان المجاورة لالمانيا ان تفكر بجديّة بمسألة الدفاع عن استقلالها وحريتها .

ان السبب الرئيسي للحرب الامبريالية يكمن ، كما هو معروف ، في الراسمالية نفسها ، وفي مطامعها التوسعية . غير ان الحافز للحرب في الوضع الدولي الراهن الملموس ، هو الفاشية ـ تلك القبضة الحديدية لاشد قوى الامبريالية عدوانية وجموحا .

وقد بات خطر الحرب داهما ومباشرا جدا بسبب ، ان الطريق الى السلطة لم يقطع على الفاشية الالمانية في الوقت المناسب . فان الفاشية التي فرضت سطوتها بفضل الحرب الداخلية على الجماهير الشعبية في البلاد ، تحولت الى خطر عسكري مباشر على جميع بلدان العالم . وبعد ان استعبدت شعبها ، شنت، وبيدها مشعل الحرب ، هجومها على بقية الشعوب .

وقد تفاقم خطر الحرب بصورة استثنائية ، بسبب ان المعتدي الفاشي لم ينل ما يستحق من العقاب . فقد جرى الاستعداد الحربي للفاشية الالمانية (كالتعبئة العسكرية الشاملة ، وبناء القوات الجوية والبحرية) في تساهل متواصل من جانب الدول الراسمالية وبمساعدة مباشرة من جانب الدوائر الانكليزية الحاكمة . كما ان سلبية عصبة الامم وترددها ازاء الزحف الياباني في الصين ، والاعتداء الايطالي على الحبشة ، شجعت صلف المعتدين .

بيد ان تفاقم عدوانية الفاشية الالمانية ، والطغمة العسكرية اليابانية ، جاء قبل كل شيء وفي المرتبة الاولى كنتيجة لواقع ، ان البروليتاريا العالمية لم تفلح في ان تنبري الى النضال بالاجماع وبكامل عدتها وطاقاتها الجبارة ، وفي ان تلف حولها جميع الكادحين وكل اصدقاء السلم في جبهة جبارة ضد الحرب . وما زالت لم تقهربعد مقاومة الجناح الرجعي لقادة الاممية الاشتراكيةالديموقراطية واتحاد نقابات امستردام ، لجبهة النضال الموحدة . اما امتناع هؤلاء القادة

المؤيدين لسياسة بورجوازيتهم الامبريالية عن الاعمال الموحدة المستقلة للبروليتاريا ضد الحرب ، وتحذير الجماهير بايهامها ، بأن عصبة الامم ستفعل كل ما يلزم لصيانة السلم ، فقد عرقلا نضال البروليتاريا ضد الحرب وشلاّ ضغطها على الحكومات البورجوازية .

والى جانب الزعماء الرجعيين السافرين ، المحبطين لوحدة عمل البروليتاريا العالمية في قضية الدفاع عن السلم ، ينشط المتشدقون «اليساريون» الذين ينادون بالراي القدري القائل بحتمية الحرب وبعدم امكانية صيانة السلم . فما دامت الراسمالية هي السبب الاساسي للحرب، فان من غير الممكن تجنب الحرب، ببقاء الراسمالية ، كما ان النضال من اجل صيانة السلم – لا رجاء فيه ومن قبيل العبث . ان امثال هؤلاء الناس نصيون متحجرون ، اذا لم يكونوا مجرد نصابين او هواة . فهم يرون في كل مكان قوى الحرب الهادرة ، لكنهم لا يلاحظون عوامل السلم الجبارة قطعا .

ان الاتحاد السوفييتي – دولة البروليتاريا الظافرة يمثل بسياسته السلمية الحازمة الدائبة ، عاملا للسلم . وعامل السلم الاخر ، هو البروليتاريا في البلدان الراسمالية . تلك هي القوى القائدة في قضية الدفاع عن السلم ضد مشعلي الحرب . كما يقف الى جانب صيانة السلم ، الجماهير الفلاحية ، وجميع الكادحين ، واوسع الجماهير الشعبية في سائر البلدان الراسمالية . وان عدّة دول راسمالية تهمها اليوم صيانة السلم . والشعوب لا تريد الحرب حتى في البلدان التي تسيطر عليها الفاشية ، كما هي الحال ، في البلدان التي يشجع حكامها المتحفزين الى اقامة مجزرة جديدة .

ان النصيين المتشدقين من حزب العمال المستقل في انكلترا مثلا ، يصورون الامر وكأن مسالة الحرب والسلم تتوقف على الحكومات الراسمالية وحدها . اجل ، هكذا ستكون الحال ، لو ان الجماهير الشعبية تلعب دور البيادق التافهة في ايدي الحكومات، ولا تناضل من اجل صيانة السلم ، على الرغم من حكوماتها.

لكن الامر يتلخص ، في ان اعتبار الجماهير الشعبية دمى بأيدي الحكومات خاطىء في اساسه . فلو انبرت هذه الجماهير ، التي لا سبيل الى شن الحرب بدونها ، الى النضال بحزم وفي الوقت المناسب ضد النوايا الحربية لحكوماتها ، لافلحت في اجبارها على التخلي عن الحرب ، وعن تشجيع المتآمرين العسكريين. فان الامر كله يتلخص ، في ان ينظم نضال الشعوب لصيانة السلم في الوقت المناسب ، وان يشن هذا النضال يوميا وفي كل مكان ضد مشعلي الحرب الفاشست واعوانهم .

ولا مناص هنا ، من جبهة موحدة للسلم ، لا تضم الطبقة العاملة والفلاحين والمثقفين العاملين وبقية الكادحين وحسب ، بل وتضم كذلك الامم والشعوب المضطهدة ، في البلدان التي يهدد استقلالها مشعلو الحرب . ونحن بحاجة الى جبهة للسلم ، من شانها ان تشمل جميع بقاع العالم ، من طوكيو الى لندن ، ومن

نيويورك الى برلين ، وتناضل بتضامن تام ضد مشعلي الحرب ، ضد الفاشية الالمانية في اوروبا ، والطغمة العسكرية اليابانية في الشرق الاقصى . وستكون جبهة السلم هذه جبهة جبارة لا تقهر ، اذا ما انبرت للنضال بأعمال جماهيرية ملموسة ، ولم تقتصر على الاحتجاجات والقرارات والبيانات .

ومن الضروري كذلك ، ان يشدد الخناق على مشعلي الحرب بتدابير اقتصادية وسياسية . وينبغي محاصرتهم بشكل يجعل ايديهم قاصرة عن تنفيذ مآربهم الآثمة . وينبغي زرع الكرة الارضية بشبكة من منظمات انصار السلم ، وبحركة جبارة للتضامن الاممي ، وبحملات فعالة للسياسة البروليتارية العالمية في صالح صيانة السلم ، بحيث تغل ايدي مشعلي الحرب .

وينبغي جعل المعتدي الفاشي ان يشعر بان ملايين الناس تترصد كل خطوة من خطواته ، وان كل محاولة منه للهجوم على شعوب اخرى ستصطدم بمقاومة حازمة من جانب البروليتاريا وكادحي العالم اجمع .

ان البروليتاريا وحدها هي القادرة ، برصّ صفوفها ، على ان تصبح منظمة جبهة السلم هذه ، وان تكون قوتها القائدة وعمودها الفقري . وهنا تتلخص اليوم المهمة المركزية للبروليتاريا العالمية بأسرها . فعلى حلها الناجح ، يتوقف كذلك ، نجاح النضال ضد الفاشية بالذات .

– ٢ –

لا يكفي ان تطلب السلم . وعليك ان تناضل من اجل السلم . ولا يكفي اطلاقا ان تقوم بدعاية عامة ضد الحرب . فان الدعاية «العامة» ضد الحرب لا تعيق ولو قليلا ، اولئك المتآمرين القابعين في برلين وطوكيو ، عن اقتراف فعلتهم الغادرة ، وسيكونون في غاية الارتياح ، لو ان الطبقة العاملة لا تذهب ابعد من هذه الدعاية .

ان النضال الناجح من اجل صيانة السلم يتطلب توجيه النضال المشترك بين البروليتاريا واوسع الجماهير الشعبية ، ضد حملة جرثومة الحرب ، وضد القوى التي تساندهم بصورة مباشرة او غير مباشرة في داخل البلاد . ومن وجهة النظر هذه ، يكتسب اهمية بالغة وضع خط تكتيكي صائب وملموس في كل بلد، مع مراعاة وضع الحزب والحركة العمالية في البلد المعين ، وكذلك وضع البلد الداخلي والخارجي .

اما في البلدان التي تحكمها الفاشية ، فان على الطبقة العاملة ان توحد جميع القوى لدرء الكارثة التي تستعد الفاشية لتلقي الشعب بين براثنها ، واضعة (اي الطبقة العاملة) مسألة فضح التهريج الشوفيني ، والتاهب للحرب في مركز النضال ضد الدكتاتورية الفاشية . وفي غمرة النضال ضد السلطة الفاشية وعدوانها الحربي ، لا تعمل البروليتاريا والجماهير الشعبية الواسعة في المانيا

وايطاليا وبقية البلدان الفاشية ، من اجل خلاصها وحسب ، بل ولمصلحة السلم، ولخير جميع الشعوب والبشرية بأسرها .

ومن القضايا ذات الاهمية الخاصة اليوم في تكتيك الطبقة العاملة ، ولاسيما في البلدان المهددة بهجوم مباشر ، هي قضية الموقف من السياسة الخارجية للحكومات ، ومن دفاع البلاد . فان الطبقة العاملة والكادحين جميعا ، ليسوا غير آبهين اطلاقا بالسياسة التي تنتهجها حكومتهم حيال اعداء السلم الفاشست . فهل تساعد هذه السياسة على توطيد الامن الجماعي ، ام تعرقله ، وهل تحمي الحكومة عملاء المعتدي الفاشي ، ان تتخذ تدابير حازمة حيالهم ، وكيف يعاملون ابناء الشعب المنخرطين في سلك الجيش ، وبأي روح يربونهم ، وما هي العناصر التي تتألف منها قيادات الجيش ، وهل هي من العناصر التي يركن اليها في النضال ضد العدو الفاشي ، ام انها عناصر فاشية رجعية ، وكيف يصان السكان من اهوال الحرب الخ ...

ان التغاض عن مثل هذه القضايا المتعلقة بدفاع البلاد ، وتركها في ايدي الحكومة البورجوازية دونما رقيب ، هو موقف لا يعود بخير على قضية السلم في اية حال . وليس من قبيل الصدف ان كانت الاوساط البورجوازية الحاكمة تعتبر دائما ان هذا الميدان وقف عليها ، وتنظر اليه «كقدس الاقداس» ، وينبغي وضع حد لاحتكار البورجوازية هذا .

ولا يمكن للبروليتاريا الا تكون لها سياستها الخاصة فيما يتعلق بهذه القضايا . وان حزب البروليتاريا ملزم بالتدخل تدخلا فعالا في السياسة الخارجية وفي مضمار شؤون الدفاع ببرنامجه ومطالبه الخاصة ، على الا يسمح لنفسه في اية حال بالانزلاق الى المواقف البورجوازية .

والطبقة العاملة التي هي نصيرة متفانية لحماية شعبها وبلادها من العبودية الفاشية ، ملزمة بأن تربط مسائل الدفاع عن البلاد أوثق ارتباط ، بمطالب توسيع الحقوق الديموقراطية للعمال والفلاحين ، وبالدفاع عن مصالحهم الحيوية ، انطلاقا من حقيقة ان ديموقراطية النظام ، وديموقراطية الجيش وتطهيره من العناصر الفاشية والرجعية الاخرى، وتلبية المطالب الجوهرية للجماهير العمالية والفلاحية، هي وحدها القادرة على تعزيز قدرة الشعب الدفاعية ضد اي هجوم فاشي .

وفي كل وضع ملموس يقدم ممثلو الطبقة العاملة مقترحات ويناضلون من اجل تطبيق تدابير ، من شأنها ان تتيح اوسع مجال لممارسة الضغط من جانب الجماهير الشعبية الواسعة على السياسة الخارجية للحكومة ، ولفرض رقابة فعالة من جانبها على عمل الحكومة في مضمار الدفاع عن البلاد . وهم يناضلون كذلك من اجل تحقيق التدابير التي تعيق استسلام الحكومات البورجوازية امام المعتدي الفاشي وخيانة هذه الحكومات لاستقلال الشعب وحريته .

وبالتنويه بان السلطة البروليتارية وحدها القادرة على ضمان دفاع مأمول عن البلاد واستقلالها ، كما يتجلى ذلك في مثال الاتحاد السوفييتي ، يناضل

الشيوعيون في حالة خطر حرب مباشر من جانب المعتدي الفاشي ، من اجل اقامة حكومة الجبهة الشعبية ، وباتخاذها التدابير الفعالة ضد الفاشيـــة والعناصر الرجعية في البلاد ، وضد عملاء واعوان اعداء السلم ، وبضمان رقابة الجماهير المنظمة على دفاع البلاد ، ستعمل هذه الحكومة على انهاض القدرة الدفاعيـــة للشعب ضد المعتدي الفاشي .

ولكن ما دامت السلطة في ايدي الحكومات البورجوازية ، التي لا تمثـــل ضمانة للدفاع الفعلي عن البلاد ، والتي تستخدم القوات المسلحة ضد الكادحين ، فان حزب الطبقة العاملة لا يستطيع ان يتحمل اية مسؤولية سياسية عن التدابير الدفاعية لهذه الحكومات ، ولذلك فهو يقف ضد سياسة الحكومة العسكرية وضد ميزانيتها العسكرية اجمالا . ولا يستبعد ذلك في بعـــض الحالات الملموســـة الاستنكاف المشفوع بدوافعه الوجيهة ، عن التصويت على بعض الاجراءات ذات الطابع الدفاعي الضروري ، لعرقلة هجوم المعتدي الفاشي (تحصين الحدود مثلا)، وكذلك التصويت والنضال من اجل التدابير التي تمليها مصالح حماية السكان من أهوال الحرب (كالملاجىء ، والكمامات ، والاسعاف الطبي الخ ..)

ولقد ولّى الزمن ، الذي كانت فيه الطبقة العاملة لا تشارك بفعالية وبشكل مستقل في حل مثل هذه القضايا الحيوية كقضية السلم والحرب . وان الفرق بين الشيوعيين والاصلاحيين ، بين مسؤولي الطبقة العاملة الثوريين والرجعيين لا يتلخص بتاتا في ان الاخيرين يشاركون في حل مثل هذه القضايا ، اما نحـــن الثوريين فعلينا ان نتنحى جانبا . كلا . فالفرق يتلخـــص في ان الاصلاحيـــين يدافعون في هذه القضايا وغيرها ، عن مصالح الرأسماليين ، اما الثوريون – فعن مصالح الكادحين ومصالح الشعب .

ان هذا النهج البولشفي المرن ، الذي يمثل تطبيقا للاوضاع التكتيكية العامة التي اقرها المؤتمر السابع للاممية الشيوعية ، حيال قضية بعينها ، يمليه بحكم الضرورة ، كل الوضع الدولي المعاصر ، ولاسيما وجود المعتدين الفاشست .

وانه لمن المضحك حقا ، ان يتصدى المتشدقون «اليساريون» من كل الانماط، الى هذا التكتيك منتحلين سمة الثوريين الاشداء . ولو صدقناهم لكانت كـــل الحكومات معتدية . حتى انهم يستشهدون بلينين الذي رفض اثناء الحـــرب الامبريالية ١٩١٤ – ١٩١٨ حجة الاشتراكيين الشوفينيين القائلة «لقـــد هاجمونا ونحن ندافع» . ولكن العالم آنذاك كان منقسما الى ائتلافيين عسكريين امبرياليين، كلاهما يسعى الى فرض زعامته العالمية ، وكلاهما اعد الحرب الامبريالية واشعل لهيبها . ولم تكن توجد آنذاك لا بلدان انتصرت فيها البروليتاريا ، ولا بلدان خيمت عليها الدكتاتورية الفاشية .

اما الان فالوضع مختلف ، اذ يوجد الان : ١ – دولة بروليتارية ، هـــي دعامة جبارة للسلم ، ٢ – معتدون فاشست معينون ، ٣– عدة اقطار تتعرض الى خطر هجوم مباشر من جانب المعتدين الفاشست وفقدان استقلالها الدولـــي

والوطني ، ٤ــ دول راسمالية اخرى ، تهتم في اللحظة الراهنة بصيانة السلم . ولذلك فان من الخطأ تماما ان نعتبر جميع الدول معتدية الان . ولا يستطيع تشويه الحقائق بمثل هذا الشكل الا اولئك الذين يسعون الى اخفاء المعتدين الحقيقيين .

- ٣ -

ان السلم الراهن سلم سيء . غير ان هذا السلم السيء خير من الحرب في كل الاحوال . وان كل نصير ثابت للسلم يدرك حق الادراك ضرورة دعم كل التدابير التي تساعد على صيانة هذا السلم ، بما في ذلك تدابير عصبة الامم ، ولاسيما العقوبات . فان هذه العقوبات يمكن ان تكون وسيلة فعالة ضد المعتدي.
واذا كانت العقوبات التي اقرتها عصبة الامم لم تمنع ايطاليا من مواصلة الحرب ضد الحبشة ، فان ذلك لا يقدم دليلا ضد العقوبات ، بل ضد تلك الدول التي احبطت تنفيذها .
واذا كانت الفاشية الالمانية تتحدى اليوم شعوب العالم اجمع ، فان سبب ذلك بالذات ، هو انها تعوّل على الافلات من العقاب ، نظرا لان العقوبات لم تطبق بحق اليابان ، ونظرا لان العقوبات بحق ايطاليا قد احبطت من قبل الدول الراسمالية ، واخيرا ، نظرا لان هتلر كان عند سوقه الجيوش باتجاه حدود فرنسا وبلجيكا ، واثقا سلفا ، بان العقوبات ضده ستحبط من قبل البورجوازية الانكليزية .
يقال ان تطبيق العقوبات يشدد من خطر الحرب ، وسيؤدي الى الحرب . والعكس صحيح ، فان افلات المعتدي من العقوبة هو الذي يشدد خطر الحرب . وبقدر ما يزداد الحزم في تطبيق العقوبات ذات الطابع المالي ــ الاقتصادي ضد المعتدي الفاشي (الرفض القاطع لتقديم القروض ، قطع التجارة وارسال المواد الخام) ستقل جراة الفاشية الالمانية على شن الحرب ، لان مجازفتها ستكون اكبر بكثير .
وعلى عصبة الامم ان تنتقد بلا هوادة ، ترددها وسلبيتها وقلة ثباتها . وتخوض الطبقة العاملة نضالا لا هوادة فيه ضد حكومات الدول الامبريالية من اعضاء عصبة الامم ، التي تساعد المعتدي بدافع من مصالحها الانانية ، وتحبط التدابير الرامية الى صيانة السلم وتقدم مصالح الشعوب الصغيرة ضحية لمصالح الدول الامبريالية الكبرى . ولكن لا يترتب على ذلك ، ان من الضروري ان نتخذ على وجه العموم موقفا سلبيا من عصبة الامم . فما هي مصلحة البروليتاريا في تسهيل مهمة مشعلي الحرب ، الذين يتضافرون جميعا ضد عصبة الامم . وقد تركت عصبة الامم الدولتان الاكثر سعيا الى الحرب وهما المانيا واليابان . ويوجد في عصبة الامم اليوم الاتحاد السوفييتي ، الذي يذود عن السلم والامن الجماعي

بكل ما له من هيبة دولية . وثمة دول اخرى في نطاق عصبة الامم ، لا تريد ان تتيح للفاشية امكانية الهجوم على الشعوب الاخرى . ومن لا يستطيع التمييز بين عصبة الامم في الماضي وعصبة الامم اليوم ، ومن يعجز عن النظر بشكل متفاوت الى مختلف اعضاء عصبة الامم ، ومن ينكر ضغط الجماهير على عصبة الامم وعلى مختلف الحكومات البورجوازية لصالح اتخاذ التدابير لصيانة السلم ــ فانه ثرثار، وليس ثوريا ، ولا سياسيا بروليتاريا .

ان على الطبقة العاملة ان تساند تلك التدابير التي تتخذها عصبة الامـــم وشتى الدول ، والرامية فعلا الى صيانة السلم (احلاف عدم الاعتداء، وللمساعدات المتبادلة ضد المعتدي ، احلاف للامن الجماعي ، وعقوبات مالية اقتصادية) . ولا يكفي ان تساندها وحسب ، بل وان تضطر عصبة الامم وحكومات مختلف البلدان الراسمالية عن طريق حركة جماهيرية جبارة ضد الحرب ، الى اتخاذ تدابير حازمة للدفاع عن السلم .

ليس صحيحا ، ان سياسة التنازلات المستمرة امام مطالب مشعلي الحرب الفاشست ، سواء من جانب عصبة الامم او من جانب مختلف الـدول (انكلترا ، فرنسا ، بلجيكا ، وغيرها) يمكنها ان تساعد على صيانة السلم . فان العمال لم ينسوا ان التواطؤ والاستسلام امام الفاشية الزاحفة هما اللذان مهدا لها السبيل في سياسة المانيا الداخلية في حينها . اما على الصعيـــــد الدولي فقد اطلقت سياسة استسلامية مماثلة يد الفاشية الجامحة للهجوم .

وليس صحيحا كذلك ، ان قضية السلم ستكسب من محاولات طرح مسألة اعادة تقسيم مصادر المواد الخام ، والمستعمرات والمحميات ، كما يفعل ذلـــك الزعماء الاشتراكيون الديموقراطيون الرجعيون . والواقع ان ذلك يجري لغرض صرف انتباه الجماهير عن النضال الملموس ضد مشعلي الحرب . ومن جهة ثانية، تختفي وراء هذا الاقتراح الرغبة في اعطاء الفاشية الالمانية بعـــض المستعمرات ، الامر الذي سيعزز المواقع العسكرية للفاشية الالمانية . فليس من مهمة البروليتاريا ان تدافع عن نوع او اخر من انواع تقسيم المستعمرات والمحميات بين الامبرياليين، انما مهمتها ان تدعم نضال الشعوب المستعمرة . المكافحة من اجل مصالحهـــا وحقوقها وتحررها النهائي من ربقة الامبرياليين .

ــ ٤ ــ

وعلى البروليتاريا ، عند مطالبة عصبة الامم او الحكومات البورجوازيـــــة بالتدابير الفعالة ضد عدوانية مشعلي الحرب الفاشست ، الا تغفل ولو للحظة ، ان الامر الرئيسي في قضية صيانة السلم ، الامر الاساسي والحاسم ، هو الاعمال المستقلة للجماهير الواسعة دفاعا عن السلم وضد مشعلي الحروب .

ولا مجال للشك اطلاقا ، في ان البروليتاريا العالمية لو كانت قد عملت مع

منظماتها الجماهيرية ، ولاسيما النقابات ، عملا فعالا ، ولم تسمح عن طريق الاضرابات وغيرها من التدابير ، باية باخرة او قطار من والى ايطاليا ، لاجبرت الفاشية الايطالية منذ امد بعيد، على وقف حربها اللصوصيةضد الشعب الحبشي.

غير ان اقامة جبهة شعبية للسلم واسعة حقا ، وجبارة الى حد تستطيع معه ان تشن نضالا كهذا ضد الفاشية المسعورة ، ليست ممكنة الا بتوفر وحدة عمل البروليتاريا ذاتها . فان تحقيق الوحدة بذاته في نشاطات الطبقة العاملة هو الذي اتاح للبروليتاريا الفرنسية والاسبانية امكانية اقامة جبهة شعبية جبارة ضد الفاشية .

ان مؤتمر لندن للاممية الاشتراكية ولاتحاد النقابات في امستردام ، الذي مزقته التناقضات الداخلية ، قام بضغط من الجناح الرجعي بالتفاف حول المسألة المتعلقة بضرورة التحقيق الفوري لوحدة عمل البروليتاريا على الصعيدين الوطني والدولي . ولم يدعو الجماهير العمالية الى اعمال مستقلة ، بل اكتفى بنداء يدعو الى الاعتماد كليا على عصبة الامم ، ولم ينبر للدفاع عن الشعب الصيني ، الذي يتعرض لهجوم اليابان، ولم يشجب اطلاقا اولئك الزعماء العماليين والاشتراكيين الديموقراطيين ، الذين ينبرون للدفاع عن سياسة الفاشية الالمانية، مخفين ذلك وراء عبارات «صيانة السلم» .

ولكن الى جانب ذلك ، اخذت تتطور في صفوف الاممية الاشتراكية واتحاد امستردام للنقابات في الآونة الاخيرة، حركة لمصلحة الجبهة الموحدة للطبقة العاملة . فان المصالح الجذرية للبروليتاريا العالمية تتطلب ان تكون الغلبة لهذه القوى ، وان تدحر مقاومة اعداء الجبهة الموحدة .

ان انتقال الفاشية الى الزحف العسكري ، مستغلة الخلافات في احزاب الطبقة العاملة ومنظماتها ، في مختلف البلدان ، يتطلب باصرار سياسة دولية موحدة للطبقة العاملة بغية صيانة السلم .

وبايجاز ، فان تحقيق هذه السياسة الدولية الموحدة للبروليتاريا لا يمكن الا بالشروط التالية :

اولا : استعادة وتوطيد التضامن البروليتاري العالمي الفعلي للدفاع عن مصالح اوسع الجماهير الكادحة ، القطيعة الحازمة من جانب الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية مع المصالح الامبريالية لبورجوازيتها الخاصة .

ثانيا : الدعم الشامل لسياسة الاتحاد السوفييتي السلمية ، للدولة البروليتارية ، التي تقف بحزم للذود عن السلم بين الشعوب . وهذا يفترض قبل كل شيء نضالا حاسما من جانب الاحزاب العمالية ضد محاولات المرتدين ، ليساووا بين سياسة الاتحاد السوفييتي وسياسة الدول الامبريالية ، وبين الجيش الاحمر ، هذه الدعامة الثابتة للسلم ، وجيوش الدول الامبريالية ، تلك المحاولات التي تصب الماء في طاحونة مشعلي الحرب الفاشست .

ثالثا : توجيه الضربة بدقة واحكام الى المعتدي الفاشي ، في كل لحظة ،

واتخاذ مواقف متمايزة حيال المعتدي ، من جهة ، وحيال ضحايا عدوانيته ، من جهة ثانية ، وفضح كل محاولة لطمس الفارق بين الدول الفاشية وغير الفاشية .

رابعا : نضال مستقل لصيانة السلم ، تخوضه البروليتاريا ، بمعزل عن الحكومات الراسمالية ، وبمعزل عن عصبة الامم ، ويستثني خضوع الحركة العمالية الى التسويات ، والمساومات السرية التي تجريها الدول الامبريالية المنتمية الى عصبة الامم .

ان النضال من اجل صيانة السلم في الظروف الراهنة ، هو نضال ضد الفاشية ، وهو نضال ثوري في جوهره .

فصيانة السلم خطر ماحق على الفاشية ، لانها ، تؤدي بزيادة صعوباتها الداخلية ، الى زعزعة الدكتاتورية الفاشية للبورجوازية ، وصيانة السلم تساعد على زيادة قوى البروليتاريا ، قوى الثورة ، وعلى قطع دابر الانشقاق في صفوف الحركة العمالية ، وتساعد البروليتاريا على ان تصبح الطبقة القائدة في نضال جميع الكادحين ضد الراسمالية ، وصيانة السلم تنخر اسس النظام الراسمالي ، وتعجل بانتصار الاشتراكية .

النضال من اجل انتصار الاشتراكية

ان الحرب يمكن ان تندلع على حين غرة . فالحروب لا تعلن اليوم . «وهي تبدأ هكذا ببساطة» (ستالين) . وهذا يتطلب من الشيوعيين قبل كل شيء ، ادراكا واضحا لابعاد وطابع خطر الحرب وسبل ووسائل درئها .

اما الخطوة الحاسمة نحو تحقيق وحدة نضال البروليتاريا العالمية ضد مشعلي الحرب ، فهي ان يشن الحزب الشيوعي في كل بلد وفي كل ميدان من ميادين الحياة الاجتماعية والسياسية ، اوسع وانشط حملة لصيانة السلم . ويشن الشيوعيون هذه الحملة ، دون ان يرجئوها حتى يتم الاتفاق حول الاعمال المشتركة مع الحزب الاشتراكي الديموقراطي ، ولكن عليهم ان يشنوها تحت شعار النضال من اجل اقامة وحدة عمل الحزب الشيوعي مع الحزب الاشتراكي الديموقراطي . ويبذل الشيوعيون كل الجهود للتغلب على مقاومة الزعماء الاشتراكيين الديموقراطيين الرجعيين للجبهة الموحدة ومن اجل توطيد روابط النضال المشترك ضد العدو المشترك ، بين العمال الشيوعيين والاشتراكيين الديموقراطيين .

ان مثل هذه الحملة ، ستؤدي ، بمساعدتها على التقارب بين العمال الشيوعيين والاشتراكيين الديموقراطيين ، الى تنشيط ورص صفوف كل قوى البروليتاريا ليس على النطاق الوطني وحسب ، بل وعلى النطاق الدولي ايضا . مما سيساعد ، بأنشط شكل ، على ان تجتذب الى صفوف الحركة ، فئات اخرى من كادحي المدن والارياف ، وجماهير البورجوازية الصغيرة ، والفلاحين والمثقفين،

وجميع انصار السلم، وهذا بمجمله سيعمل بقيام جبهة جبارة لنضال البروليتاريا العالمية ، وجميع الكادحين ، وسائر الشعوب لصيانة السلم .

ان النضال في سبيل السلم ـ نضال ضد الفاشية ، نضال ضد الراسمالية، نضال من اجل انتصار الاشتراكية في العالم اجمع .

وحدة البروليتاريا الدولية ــ المشيئة العليا للخطة الراهنة

ـ ١ ـ

ان مجمل الوضع الدولي في اللحظة الراهنة يتسم بالتحضير المحموم من جانب الفاشية ، لاقتسام العالم من جديد عن طريق حروب الفتح ، ويتسم في الوقت ذاته بتحقيق وحدة البروليتاريا العالمية ، وتجميع قوى الكادحين ، وانصار الديموقراطية والسلم ، للنضال ضد الفاشية والحرب .

ويسارع المعتدون الفاشست في الغرب والشرق ، الى الاتفاق بكل وسيلة حول سبل ووسائل عدوانهم وأهدافه . وترتبط برلين ، روما ، وطوكيو فيما بينها بشتى الاحلاف والمعاهدات الحربية . فان تدخل هتلر وموسوليني في اسبانيا ، وحربهما ضد الشعب الاسباني ، وكذلك الحملات التوسعية للطغمة العسكرية اليابانية في الصين ، هي بلا شك مراحل في التحضير لحرب كبرى .

وبالرغم من الخلافات القائمة بين مصالح مشعلي الحرب هؤلاء ، فانهم يقومون متضافري الجهود ، بأعمال تخريبية في البلدان غير الفاشية ، التي تقف الى جانب السلم ، ويدعمون بكل السبل ، الاحزاب والفئات الرجعية في هذه البلدان ، وينظمون الانقلابات ضد الحكومات والنظم غير الملائمة لهم ولمآربهم ، ويشيعون في كل مكان الفوضى المعادية للثورة . ويمكننا ان نتبين يدهم الاثيمة في النشاط الخياني لكل من دي لاروك ودوريو في فرنسا ، وديغريل في بلجيكا، وهينلاين في تشيكوسلوفاكيا ، وفي مكائد الفاشست في البلدان الاسكندنافية والبلقانية ، في المجر والنمسا ، في بولونيا وفي دول البلطيق ، في سياسة العناصر الممالئة لليابان في الصين وفي نشاطات الدوائر «هارست» (١) في الولايات المتحدة الاميركية .

ان المعتدين الفاشست ، المنتفعين حيويا من التدني الاقصى لمقدرة الشعوب الدفاعية تجاه العدوان الفاشي ، ومن اشاعة الفوضى في الحركة العمالية ،

---

(١) اوساط رجعية كان لها تأثير كبير على سياسة الولايات المتحدة الامريكية ، وهي معروفة بعدائها للشيوعية .

واحباط الجبهة الموحدة الناشئة ، يستخدمون لمآربهم هذه في كل مكان ، العناصر التروتسكية كعملاء لهم . وهم يبسطون وصايتهم على الاممية الرابعة ـ هـــذه الشرذمة من المرتدين وخونة الطبقة العاملة وعملاء البوليس السري . وان حقـد الفاشست يتجه بالدرجة الاولى ضد الاتحاد السوفييتي ، ضد بلد الاشتراكيـة العظيم ، هذه الدعامة الكبرى للسلم والحرية ولتقدم البشرية جمعاء ، هذه العقبة الكأداء في طريق العدوان الفاشي .

ولا شك اطلاقا ، في ان حكام المانيا وايطاليا الفاشيين ، والطغمة العسكرية في اليابان ، كانوا اشعلوا لهيب حرب عالمية ، لولا وجود حصن جبار للسلـم كالاتحاد السوفييتي ، ولو لم يتم في صفوف البروليتاريا العالمية ذلك النهوض الجدّي لتشديد النضال ضد الفاشية ، ولاقامة جبهة شعبية موحـدة ، ولو لم يستطع الشعب الاسباني ان يصد هجمات الفاشية بمثل تلك البطولة ، ولو لم تفلح البروليتاريا الفرنسية بخلق جبهة شعبية معادية للفاشية ، ولو لم ينطلق الشعب الصيني في طريق توحيد قواه في جبهة وطنيـــة عامة ضد الغـــزاة اليابانيين .

غير ان هذا كله لا يفعل سوى عرقلة تنفيذ الخطط الغادرة لمشعلي الحرب الفاشست ، فهم لا يتخلون عن خططهم ولن يتخلوا عنها عن طواعية ابدا . وعقب تحطيم قطعان موسوليني الفاشية قرب غوادلاخارا ، القى الغزاة الاجانب بقوات مسلحة جديدةضد الشعب الاسباني. وفي الوقت الذي يدلي فيه هتلر بتصريحات سلمية امام ليانسبري ، الزعيم العمالي المصاب بسذاجة الطفل وبالعمى السياسي، فهو يعدّ بشكل حثيث ضربة الى تشيكوسلوفاكيا ، التي يعتبر القضاء عليهـــا كدولة مستقلة ضرورة في عرف الفاشية ، «لاحلال السلم في اوروبا» ، وتستعد الفاشية الالمانية لابتلاع النمسا ، وتهيء انقلابات فاشية في بلجيكا والعديد من البلدان الاخرى . وتسعى الطغمة العسكرية اليابانية بدورها وبكل السبل الـــى تحطيم المعارضة الديموقراطية في بلادها لكي تتمكن من الهجـــوم على الشعب الصيني بقصارى ما لديها من عدوانية .

ولقد دلت تجربة السنوات الطويلة ، على ان النصائح لا تنفع مشعلي الحرب الفاشست . وهنالك وسيلة واحدة فعالة للجمهم ـ وهي النضال الموحد المستمر للجماهير الشعبية ضد الفاشية في مختلف البلدان وعلى الصعيد الدولي . وان وحدة العمل بين البروليتاريا العالمية التي تلف حولها كل فئات الكادحين ، وكل العناصر التقدمية ، الديموقراطية ، وجميع انصار السلم الحقيقيين ، هي وحدها القادرة على لجم الاوغاد الفاشست السائبين ، وعلى قبر خططهم اللصوصيـــة الى الابد .

وتدل كل احداث الآونة الاخيرة ، على ان الفاشية لا تستطيع، حيثما تناضل البروليتاريا بحزم وبتضامن ضد الفاشية ، وحيثما يرصّ الكادحون صفوفهم في جبهة معادية للفاشية ، ان تستعبد الطبقة العاملة ، ولا تستطيع استعباد الشعب

الذي عقد العزم على الدفاع عن حقوقه وحريته واستقلاله بتفـــان ومهما كلف الثمــن .

ان نضال الشهور التسع الذي خاضه الشعب الاسبانــي ، لصد هجمات الفاشية المسلحة ، وانتصارات الجبهة الشعبية في فرنسا والحركة المتنامية في الصين ضد اليابان ، قد اسفرت عن نتائج تؤكد هذه الحقيقة بلا مراء ، وتؤكد الاهمية التأريخية البالغة للجبهة الموحدة بالنسبة لقضية النضال ضد الفاشية والحرب . ويستطيع كل منا الان ان يقتنع بأمثلة الحياة نفسها في العديد مــن البلدان ، بأن الفاشية تمنى بالهزيمة ، حيثما قامت الجبهة الموحدة ، وحيثمـــا تبدي الجماهير مقاومة للفاشية ، **ولا تتبع النظريــة المتعفنة «لا تستثيروا الوحش الفاشي»** . ونجاحات الجبهة الموحدة في البلدان غير الفاشية لا تقطع الطريق على الفاشية في هذه البلدان وحسب ، بل وتؤثر على الجماهير الشعبية في بلـــدان الدكتاتورية الفاشية وتزعزع اسسها . وقد اماطت اولى الهزائم الجدّية التــي مني بها المتدخلون الفاشيون في اسبانيا ، ولاسيما قرب غواد الاخارا ، اللثام عن تعفنهم الداخلي ، وعن تناقضات النظام الفاشي واختلاله ، كما ادت الى اشتداد الامزجة المعادية للفاشية في ايطاليا والمانيا .

ـ ٢ ـ

ان التأريخ يضع في هذه اللحظة على عاتق البروليتاريا العالمية مهمة عظمى لانقاذ البشرية من بربرية الفاشية ، ومن اهوال المجزرة الامبريالية التي تهيىء لها.

فان مساعدة الشعب الاسباني في تحرره من المغتصبين والغزاة الفاشست، ومساعدة الشعبين الالماني والايطالي في تحطيم اغلال النظام الفاشي ، ومساعدة الشعب الصيني في نضاله ضد الغزاة اليابانيين ، ومساعدة الشعوب الصغيرة في الذود عن حريتها واستقلالها ، واقامة حاجز منيع بوجه العدوان الفاشي فــي الغرب والشرق ـ هذا هو في اللحظة الراهنة ، الطريق الملمـوس لاداء الرسالة التأريخية للبروليتاريا العالمية ، وان اداء هذه الرسالة هو في مقدورها تماما ، اذا ما عملت موحدة وبشكل منظم .

ان الفصيلة الاكثر طليعية بين فصائل البروليتاريا العالمية ـ الطبقة العاملة في الاتحاد السوفييتي ـ هي قوة منظمة على اساس دولة . وهي تقف على راس دولة جبارة ، تدافع عن السلم وحرية جميع الشعوب . فان الطبقة العاملة في الاتحاد السوفييتي ، احرزت ، بقيادة حزب لينين العظيم وبعد ان اطاحت بملاكي الارض والراسماليين ، انتصار الاشتراكية في سدس الكرة الارضية ، وحققت الديموقراطية الحقة ، التي تعززت في الدستور الجديد للاتحاد السوفييتي . وقد قال الرفيق ستالين في تقريره امام المؤتمر الثامن للسوفييتات ، ما يلي ، منوها بالاهمية الدولية لهذا الدستور :

«ان دستور الاتحاد السوفييتي الجديد سيكون ، في هذا الوقت الذي ترشق فيه موجة الفاشية القذرة ، الحركة الاشتراكية للطبقة العاملة ، وتمرّغ في الوحل ، المطامح الديموقراطية لخيرة الناس في التمدن ، بمثابة لائحة اتهام ضد الفاشية ، لائحة تشهد ، بان الاشتراكية والديموقراطية لا تقهران . وسيكون الدستور السوفييتي الجديد دعما معنويا وسندا واقعيا لكل الذين يخوضون النضال ضد البربرية الفاشية» .

اما الفصيلة البطولية الاخرى للبروليتاريا العالمية ـ الطبقة العاملة في اسبانيا ـ فهي تناضل في الخطوط الامامية ضد الفاشية ، راصّة صفوفها وصفوف الشعب الاسباني باضطراد في جبهة شعبية ضد الفاشية . وتدافع البروليتاريا الاسبانية ، بصفتها القوة القيادية للشعب المسلح ، الملتف حول حكومة الجبهة الشعبية ، لا عن حرية واستقلال بلادها وحسب ، بل وكذلك عن مصالح البروليتاريا العالمية كلها ، وعن القضية العامة للديموقراطية والسلم .

وقد بدات الطبقة العاملة في فرنسا بتحقيق الجبهة الموحدة في صفوفها ، ووحدت النقابات في اتحاد واحد للعمل ، بات يشمل اكثر من خمسة ملايين عامل . وقد بنت الطبقة العاملة الفرنسية الجبهة الشعبية التي تتحطم على صخرتها كل مكائد الفاشية الفرنسية . وتهيىء نجاحات الجبهة الشعبية في فرنسا دفعة قوية لحركة الجبهة الشعبية في البلدان الاخرى .

ولقد اظهرت الطبقة العاملة في الولايات المتحدة الاميركية ، لاول مرة في تاريخ اميركا ، استقلالها كطبقة قائمة بذاتها، موحدة قواها في النقابات الجماهيرية لشن النضال الفعال في الصفوف الاولى للقوى التقدمية والديموقراطية في البلاد ضد الرجعية والفاشية .

اما الطبقة العاملة الانكليزية ، التي تمثل اغلبية السكان الساحقة والتي تتوفر لديها منظمات جبارة ، فانها تمثل بحد ذاتها قوة هائلة ، يزداد وزنها النسبي في الحركة العمالية العالمية ، نظرا للوضع المتميز الذي تحتله انكلترا في السياسة الدولية . وفي حالة تحقيق وحدة العمل الكفاحية لجميع قوى الحركة العمالية والشيوعية ، لن تكون البروليتاريا الانكليزية قادرة على ردع الرجعية في بلادها وحسب ، بل وستلعب كذلك دورا هاما في النضال العالمي ضد الفاشية والحرب.

وبوسعنا ، دون الاسهاب في الحديث عن كل البلدان ، ان نقول دونما مبالغة ، بأن حركة وحدة الطبقة العاملة تنمو ، لا في البلدان التي تهددها الفاشية وعدوان البلدان الفاشية وحسب ، بل وكذلك في بلدان الفاشية ذاتها . على ان هذا النمو لا يجري في كل البلدان ، على وتيرة مماثلة .

ويتلخص الامر الرئيسي الان فيما يلي : علينا عند توطيد وحدة الطبقة العاملة على الصعيد الوطني ، ان توجد لغة مشتركة ، ومنهاجا مشتركا ، من شانه ان يضمن الامكانية للبروليتاريا لان تنشط في جبهة موحدة على الصعيد الدولي ، وان تركز في الوقت المناسب ، قواها الرئيسية في ميادين النضال ضد

الفاشية ، التي تمثل اهم الميادين في لحظة معينة .

ان تحقيق وحدة عمل البروليتاريا العالمية ضد العدو المشترك ، العدو اللدود للبشرية جمعاء ـ الفاشية ، هو المهمة الملحة الرئيسية للمنظمات العمالية في سائر ارجاء العالم ، والمشيئة العليا للحظة الراهنة .

وانها لمهمة عسيرة وكبيرة ، تتعدى نطاق المهام اليومية للحركة العمالية . غير ان حل هذه المهمة سيغير سير الاحداث السياسية جذريا ، وسيعطيها اتجاهـــا جديدا لمصلحة الكادحين ، وسيجعل من الطبقة العاملة ومنظماتها قوة ، لها اكبر الاثر على مصير شعبها ، وكذلك على مصير البشرية قاطبة .

فماذا ينبغي بالدرجة الاولى لتحقيق هذه المهمة ذات الخطورة التأريخيـــة الهائلة ؟

اولا : من الضروري ان تدرك جميع المنظمات العمالية اهمية تركيز النضال ضد العدو الرئيسي ، ضد القبضة الضاربة لاشد فئات البورجوازيـــة الكبيرة رجعية ـ ضد الفاشية . ومن الضروري ان تنطلق جميع المنظمات العمالية فـــي تحديد سياستها من موقف الدفاع عن مصالح طبقتها ، لا ان تعمل بما يتفق مع مصالح البورجوازية . فان الطبقة العاملة ومنظماتها ، تدافع في الانطلاق مـــن مصالحها الطبقية ، عن مصالح جميع المستغلين ، والشعب بأسره . ومن الضروري وضع حد لسياسة التوفيق بين مصالح المستثمِرين والمستثمَرين . فلا يمكن ان تكون الى جانب اساطين المال ، والى جانب الكادحين في آن واحد . كما لا يمكن خدمة الله والشيطان ، كما يقال ، في آن واحد . ولا يمكن السير مع الجنرالات العصاة ومع الشعب الاسباني في آن واحد . ولا يمكن ان تسعـــى الى انتصار الشعب الاسباني وان تتفق على حل وسط مع الجنرال فرانكو . ولا يمكنك ان تظهر عواطفك مع الجمهورية الاسبانية بالاقوال . وتماشي عمليا المحافظين الانكليز في رفضهم مدها بوسائل الدفاع . كما لا يمكنك ان تعبر عن الاستعداد للنضال ضد الفاشية ، وان تحرض في الوقت ذاته ضد الشيوعيين ، المناضلين الاكثـــر ثباتا ضد الغزاة الفاشست .

ثانيا : من الضروري لجم اعداء الجبهة الموحدة ، الموجوديـــن في صفوف الحركة العمالية . فان الجماهير العمالية تتحرق الى وحدة العمل ، غير ان الموقف غير النقدي ازاء «الثقات» ، والولاء الاعمى لمنظماتهم ، غالبا ما يعيق العمال عـــن الوقوف ضد اولئك القادة الذين يحبطون بمناوراتهم الخسيسة قيام الجبهـــة الموحدة . وما دام هؤلاء القادة لا يريدون الامتثال للمشيئة العليا للطبقة العاملة ، وما داموا يفضلون خدمة البورجوازية ويضعون مصالحهم الشخصية النفعية فوق مصالح الطبقة العاملة ، فان الواجب الاساسي لكل منظمة عمالية يحتم عليها ان تجد في نفسها ما يكفي من الشجاعة ، وان تجد الطريق والوسائل لتحقيـــق مشيئتها في الوحدة ، بالرغم من كل العقبات .

ثالثا : من الضروري ابداء اشد المقاومة لكل من يشنون حملة افترائية على

الاتحاد السوفييتي . فان النضال ضد الاتحاد السوفييتي ــ نضال ضد الاشتراكية ، الهدف العظيم للطبقة العاملة ، المدوّن في برامج الغالبية العظمى من المنظمات العمالية في العالم اجمع . ان النضال ضد الاتحاد السوفييتي ــ نضال ضد اعظم نصر للطبقة العاملة في تاريخ البشرية ، النصر الذي ضاعف قوى البروليتاريا العالمية وقوى الكادحين . ان النضال ضد الاتحاد السوفييتي ــ هو اهم جزء من خطة الفاشست الغادرة الرامية الى تفتيت قوى البروليتاريا العالمية، ليسهل عليهم دحرها متفرقة ، وسحق الحركة العمالية ، واستعباد الطبقة العاملة وسائر الكادحين في البلدان الراسمالية وابقائهم تحت نير الدكتاتورية الفاشية . وانك لا تستطيع ان تعادي الفاشية وأن تناضل ، في الوقت ذاته ، ضد الاتحاد السوفييتي ، هذه القلعة الامامية للحركة الدولية المعادية للفاشية . كما لا تستطيع ان تكون اشتراكيا او حتى ديموقراطيا شريفا دون ان تقف بحزم وكليا الى جانب الاتحاد السوفييتي ــ بلد الاشتراكية العظيم ، والديموقراطية لعامة الشعب . فان الموقف من الاتحاد السوفييتي هو في الواقع ، حجر المحك لكل مناضل في الحركة العمالية ولكل منظمة عمالية ، يكشف عن تفانيه من اجل مصالح الطبقة العاملة ، وعن امانته للاشتراكية .

رابعا : من الضروري ، ان تسدد الضربة بلا رحمة ، في غمرة النضال ضد الفاشية ، الى عميلتها التروتسكية التي هي ليست سوى عصابة من الجواسيس، والمخربين ، والارهابيين ، والاستفزازيين العاملين لخدمة الفاشية الالمانية والطغمة العسكرية اليابانية. اذ يقترف المسوخ التروتسكيون، بايعاز من دوائر الاستخبارات الفاشية، اعمالا هدامة ضد بلد الاشتراكية ، ويفعلون كل ما بوسعهم لتعميق انقسام الحركة العمالية في البلدان الاخرى والحؤول دون وحدتها . وهم يسفرون في كل مكان عن حقيقتهم كعناصر ضارة بالحركة العمالية ، تشيع الفوضى في نضال الجماهير الشعبية ضد الفاشية . ولا يمكن التفكير في وحدة البروليتاريا العالمية، بدون النضال ضد العمالة التروتسكية للفاشية .

هذه هي الشروط الاولية التي لا غنى عنها لتحقيق وحدة عمل البروليتاريا العالمية ضد الفاشية والحرب . غير ان نشاط اولئك الزعماء ذوي القول الفصل في تحديد سياسة الاممية الثانية واممية امستردام ، يتنافى كليا حتى مع تحقيق هذه الشروط الاولية . فهم لا يرفضون بانتظام مقترحات الاحزاب الشيوعية والاممية الشيوعية بشأن وحدة العمل للدفاع عن الشعب الاسباني وحسب ، بل وهم يخنقون كذلك كل مبادرة تقوم بها بعض منظمات الاممية الثانية ، العاملة في جبهة موحدة مع الشيوعيين ضد الفاشية ، وضد المتدخلين الالمان والايطاليين في اسبانيا . وقد حاول عبثا ، مندوبو الحزب الاشتراكي واتحاد العمال العام في اسبانيا اثناء كونفرنس لندن للاممية الثانية واممية امستردام ، خرق جدار عدم الاكتراث حيال نضال الشعب الاسباني البطل . واهابوا عبثا ، بالاممية الثانية وبأممية امستردام لدعم نضال الجمهورية الاسبانية عن طريق الاعمال المشتركة

بين جميع منظمات الطبقة العاملة . وقد غادر مندوبو اسبانيا الكونفرنس وهم يجرّون اذيال الخيبة . اذ لم تتعد الامميتان في قراراتهما ، نطاق النداءات والبيانات المقبولة لدى المحافظين الانكليز .

كما ان اعداء وحدة الطبقة العاملة ، والزعماء الرجعيين في هاتين الامميتين لا يحبطون قضية تقديم المساعدة الحاسمة الشاملة للشعب الاسباني وحسب ، بل ويذهبون الى ابعد من ذلك . فهم يتخذون كل التدابير لشق وحدة الجبهة الشعبية في اسبانيا ذاتها ، ويدبرون المكائد ، ويبذرون الريبة ، ويحرضون الزعماء الاشتراكيين الديموقراطيين على الحزب الشيوعي ، مضعضعين بذلك قلعة الجبهة الشعبية ، والقدرة الدفاعية للجمهورية الاسبانية . وفضلا عن ذلك ، يحبك الزعماء الرجعيون الان ، عندما يلهم مثال البروليتاريا الفرنسية التي حققت وحدة عملها وقاومت الفاشية عن طريق الجبهة الشعبية ، شبكة واسعة من الدسائس الرامية الى اشاعة عدم الثقة بين الحزبين الاشتراكي والشيوعي في فرنسا ، وزعزعت الجبهة الشعبية ، وتهيئة الظروف لتشكيل حكومة ائتلافية بين البورجوازية والعناصر اليمينية في الحزب الاشتراكي ، تعادي الحزب الشيوعي وحركة الجبهة الشعبية . وهم يضحون على هذا النحو بمصالح الطبقة العاملة لخدمة اشد فئات البورجوازية رجعية . فان العدو الالد في نظر هؤلاء الزعماء، ليس الفاشية ، بل الشيوعية ، وليس فرانكو هو الخصم الرئيسي ، في نظر سيترين وبيفن وادلر ، بل بطلب الشعب الاسباني دولاريس ايباروري ، وليس دي لاروك وهتلر ، بل توريز وتيلمان .

– ٣ –

ومن السذاجة التفكير ، بان وحدة عمل البروليتاريا يمكن تحقيقها عن طريق اقناع الزعماء الرجعيين او استمالتهم بالوعد والوعيد . فلن تحقق وحدة عمل البروليتاريا العالمية الا بالنضال العنيد الذي يخوضه انصارها جميعا ضد اعداء هذه الوحدة السافرين والمتسترين .

ترتفع احيانا من صفوف الاشتراكيين ، اصوات تزعم بان الشيوعيين يعيقون قيام الجبهة الموحدة ، بانتقادهم السافر الصريح لسلوك زعماء الاممية الثانية وامية امستردام . لكن هل بالامكان قيام جبهة موحدة ، بدون ان يوجه النقد الصارم لاولئك الذين يخنقونها بكل السبل ؟ واي نوع من مناضلي الحركة العمالية سنكون نحن ، اذا لم نكشف بصراحة عن الحقيقة كلها فيما يتعلق بمثل هذه المسألة الهامة بالنسبة للطبقة العاملة ؟

ومن يتغاضى ، او يتستر على النشاطات الضارة للزعماء الرجعيين في صفوف الحركة العمالية ، فهو لا يساعد قضية وحدة الطبقة العاملة . ومن يتخلى عن النضال ضد اعدائها السافرين وعن انتقاد الاصلاحية ، ويخضع مصالح

الحركة العمالية لمصالح البورجوازية ، زاعما ان ذلك في مصلحة الجبهة البروليتارية الموحدة ، فهو يقدم خدمة سيئة للطبقة العاملة .

لقد اشار المؤتمر السابع للاممية الشيوعية ، بعد اعلان سياسة الجبهة البروليتارية الشعبية الموحدة ، في قراره المعنون «زحف الفاشية ومهام الاممية الشيوعية في النضال من اجل وحدة الطبقة العاملة ضد الفاشية» ، اشار بوجه الخصوص الى ما يلي :

«ان الاعمال الموحدة مع الاحزاب والمنظمات الاشتراكية الديموقراطية ، لا تستبعد ، بل على العكس ، تجعل من الضروري جدا ، توجيه النقد الجدي الوجيه للاصلاحية ، وللاشتراكية الديموقراطية ، بصفتها ايديولوجية وممارسة للتعاون الطبقي مع البورجوازية ، وايضاح مبادىء ومنهاج الشيوعية للعمال الاشتراكيين الديموقراطيين بأناة وصبر» .

ومن لا يتبع توجيه المؤتمر السابع هذا ، فهو مناضل سيء من اجل وحدة الطبقة العاملة والجبهة الشعبية ضد الفاشية والحرب . وان من يظن ، بأن النضال في سبيل الجبهة الشعبية يعفينا من مهمة شن النضال من اجل الاسس المبدئية والمصالح الجذرية للحركة العمالية ، وضد النظريات والآراء المعادية للطبقة العاملة ، فهو على خطأ مبين . فان هذا النضال لا يضير قضية الجبهة الموحدة ، بل يعود عليها بالنفع فقط . وفضلا عن ذلك ، فان هذا النضال شرط ضروري لاتساع الجبهة الشعبية الموحدة وتوطيدها فعلا ضد الفاشية والحرب .

ولا ينبغي ان ننسى ابدا ، ان الشيوعيين ، اذ يناضلون بثبات واصرار من اجل قيام الجبهة الشعبية الموحدة ، فهم لا ينتهجون سياسة تحالف لا مبدئية ، بل سياسة مبدئية .

ونحن اذ نناضل بحزم للدفاع عن الحقوق والحريات الديموقراطية ، وضد الرجعية والفاشية ، فاننا نفعل ذلك كماركسيين ، وكثوريين بروليتاريين أشداء ، لا كديموقراطيين بورجوازيين او اصلاحيين . وعندما نبري للدفاع عن المصالح الوطنية لشعبنا ، وللذود عن استقلاله وحريته ، فاننا لن نصبح بذلك قوميين ، وطبقيين بورجوازيين ، انما نفعل كثوريين بروليتاريين ، وكأبناء ابرار لشعبنا . وعندما نبري للذود عن حرية الدين ، ضد ملاحقة الفاشست للمتدينين ، فاننا لا نتراجع عن نظرتنا الماركسية المتجردة من كل الاوهام الدينية .

وان الشيوعيين ، اذ ينهجون سياسة الجبهة الشعبية ضد الفاشية والحرب ، ويقدمون على الاعمال الموحدة مع احزاب ومنظمات الكادحين الاخرى ، ضد العدو المشترك ، واذ يناضلون من اجل مصالح الكادحين الجوهرية وحقوقهم الديموقراطية ، ومن اجل السلم والحرية ، فانهم لا يغفلون الضرورة التأريخية للاطاحة الثورية بالراسمالية ، التي ولّى عهدها ، ولا ضرورة تحقيق الاشتراكية، التي تحمل التحرر الى الطبقة العاملة والى الانسانية جمعاء .

وان التوفيق الصائب بين تنفيذ سياسة الجبهة الشعبية ، وبين الدعاية

الماركسية باعلاء المستوى النظري لملاكات الحركة العمالية ، وبامتلاك ناصية التعاليم الماركسية اللينينية العظمى ، كدليل للعمل ، ذلك هو ما ينبغي ان نتعلمه ونعلمه لملاكاتنا وجماهيرنا كل يوم . ولا ينبغي لنا « ان نعجز عن رؤية الغابة بسبب الاشجار » ولا ينبغي ان نسمح بانفصال الممارسة عن النظرية ، وبالقطيعة بين تنفيذ المهام اليومية الراهنة ، وبين الآفاق والاهداف البعيدة للطبقة العاملة . ولا يجوز ان ننسى ، انه كلما اتسعت حركة الجبهة الشعبية ، وكلما تعقدت معضلات الحركة التكتيكية ، ازدادت الحاجة الى التحليل الماركسي الحقيقي لوضع القوى المتصارعة وتناسبها ، وازدادت الحاجة الى ان نتزود ببوصلة النظرية الماركسية اللينينية المأمولة .

***

ان البروليتاريا هي اثبت المناضلين من اجل قيام وتعزيز الجبهة الشعبية الموحدة ضد الفاشية على الصعيد الوطني والدولي . ومن المستحيل قيام الجبهة الشعبية بدون البروليتاريا اطلاقا . فالبروليتاريا هي القوة الرئيسية المحركة لكل حركة شعبية معادية للفاشية ، ولكل حركة جماهيرية للدفاع عن الديموقراطية والسلم . وهي تناضل بالاشتراك مع البورجوازية الصغيرة الديموقراطية ، والفلاحين والمثقفين ضد عدوهم المشترك . غير ان البروليتاريا ينبغي ان تعوّل قبل كل شيء ، على قواها الخاصة ، على وحدة صفوف الحركة العمالية في كل بلد ، وعلى وحدة الحركة العمالية العالمية . لانه بقدر ما تكون البروليتاريا اكثر قوة وتنظيما ، سيكون بوسعها ان تدافع بمزيد من الصواب ، عن مصالحها ، وسيكون بوسعها ان تؤدي دورها القيادي في صفوف الجبهة الشعبية الموحدة على نحو افضل .

ومن هنا تنشأ بالنسبة للشيوعيين ولجميع العمال الواعين ، مهمة ، بذل كل الجهود ، وتخطي كل الصعوبات ، واستغلال كل امكانية مهما تضاءلت ، من اجل دفع قضية وحدة عمل الطبقة العاملة الى امام على الصعيدين الوطني والدولي . وعلينا ان نطور هذه القضية حتى يتم تحقيق الوحدة التامة للحركة النقابية ، وقيام حزب جماهيري موحد للبروليتاريا. وتنبغي الاشارة هنا بوضوح، الى ان وحدة البروليتاريا ستتحقق بمزيد من السرعة، وان نجاحات اكبر ستحرز في مضمار بناء وتعزيز الجبهة الشعبية الموحدة ، كلما اشتد ساعد الاحزاب الشيوعية نفسها من الناحية الكمية والتنظيمية والفكرية ، وكلما تمتعت بمزيد من الثقة والدعم من جانب خيرة عناصر الطبقة العاملة والاكثر تقدما ، ومن جانب جماهير الكادحين . ذلك لان الشيوعيين هم اشد المناضلين حزما وثباتا من اجل تحقيق وحدة الطبقة العاملة .

ومنذ فجر الحركة الشيوعية الدولية ، قال ماركس وانجلز محددين دور الشيوعيين في صفوف البروليتاريا الدولية ، في «البيان الشيوعي» :

«انهم ليست لهم مصالح تختلف عن مصالح البروليتاريا بأسرها ...

وتبعا لذلك ، فان الشيوعيين هم ، في التطبيق ، الفئة الاشد حزما في الاحزاب العمالية بكل البلدان ، الفئة الدافعة الى أمام ابدا ، اما في المجال النظري ، فلهم على بقية جمهرة البروليتاريا ، افضلية ، كونهم يدركون ظروف الحركة البروليتارية ومسيرتها ونتائجها الاجمالية» (١) .

ان الشيوعيين ، الابناء الابرار لطبقتهم ، والذائدين عن مصالح شعبهم ، والمتجردين من كل صلة وتبعية للبورجوازية ، هم القادرون اكثر من غيرهم ، على ان يلعبوا دور حلقة الوصل في صفوف البروليتاريا ذاتها ، وكذلك بين جميع احزاب ومنظمات وفئات، الكادحين والبورجوازية الصغيرة الديموقراطية والفلاحين والمثقفين ، المعادية للفاشية ، في النضال ضدها وضد الحرب .

وبالتالي ، فان من الضروري ، لاحراز النجاح في النضال من اجل وحدة الطبقة العاملة ، ومن اجل الجبهة الشعبية المتحدة ، ان نعمل كل يوم وبلا كلل لتعزيز وتقوية صفوف الاحزاب الشيوعية والاممية الشيوعية ككل . فذلك ما تمليه المصالح الحيوية للبروليتاريا العالمية ، والبشرية الكادحة جمعاء .

اول ايار عام ١٩٣٧

---

(١) يبدو ان ديمتروف لخص النص الذي اشار اليه . لذا ندرج فيما يلي النص الكامل منقولا عن (البيان الشيوعي) ص ٦٢ الطبعة الصادرة عن دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع :
يطرح معلما الطبقة العاملة ، كارل ماركس وفريدريك انجلز السؤال التالي :
(ما هو موقف الشيوعيين بالنسبة الى مجموع البروليتاريا ؟)
ويجيبا بقولهما :
(ليست لهم مصالح خاصة مستقلة عن مجموع البروليتاريا وهم لا يدعون الى مبادىء خاصة مستقلة عن مجموع البروليتاريا وهم لا يدعون الى مبادىء خاصة بهم يريدون صوغ حركة العمال بحسبها .
ان الشيوعيين لا يتميزون عن بقية احزاب العمال الا في نقطتين هما :
١ — في مختلف النضالات القومية التي يخوض غمارها البروليتاريون في مختلف البلدان ، يبرز الشيوعيون ويضعون في المقدمة المصالح المشتركة للبروليتاريين في مختلف البلدان بأسرها بصورة مستقلة عن كل جنسية .
٢— في مختلفمراحل التطور التيلا بد للنضالبين البروليتاريينوالبورجوازيين مناجتيازها يمثل الشيوعيون دائما ، وفي كل مكان ، المصالح العامة للحركة بكاملها .
فالشيوعيون هم ، اذن ، من الناحية العملية ، الفريق الاحزم والاكثر تقدما من احزاب الطبقة العاملة في جميع البلدان ، الفريق الذي يدفع الى أمام سائر الفرق الاخرى . وهم من الوجهة النظرية يمتازون على بقية البروليتاريين بادراك وضع لحظة سير الحركة البروليتارية وظروفها ونتائجها العامة الاخيرة) .

الاتحاد السوفييتي والطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية

– ١ –

ان ملايين الكادحين في العالم اجمع ، وكل المناضلين ضد النهب الراسمالي، ضد البربرية الفاشية ، والحروب الامبريالية، يستقبلون بفرحة وحماس غامرين، الذكرى العشرين لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى . وان الانصار الشرفاء للديموقراطية والتقدم والسلم ، وخيرة رجال العلم ، والثقافة والفن من سائر البلدان ، يحيون الذكرى العشرين لقيام اول دولة اشتراكية كحدث ذي اهمية تأريخية عالمية .

فما من حدث اخر في تاريخ البشرية ، له من التأثير الهائل على مجمل سير التطور الاجتماعي ، وعلى مصير جميع شعوب العالم ، ما لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى . وما قامت حتى الان دولة كاتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية، يحبها ملايين الناس من سائر بقاع الكرة الارضية ، بصرف النظر عن القومية والجنس ، كما يحبون وطنهم ، ويشعرون بأنهم يرتبطون معها ، بحياتهم ومصيرها وآمالهم ، ارتباطا عضويا .

لقد هزمت الراسمالية النظام الاقطاعي اثر الثورات البورجوازية ، وفازت بوضع السيطرة . وشملت بنظامها الاقتصادي كل العالم ، وقضت على التفكك الاقطاعي ، وخلقت دولا قومية كبيرة . لكن الراسمالية لم تفعل سوى استبدال شكل من أشكال الاستثمار بآخر ، وتناقضات طبقية بأخرى . ولم تستطع توحيد الشعوب في رابطة سلمية . بل عمقت الهوة بينها ، بخلق تناقضات دولية جديدة ، وأسباب جديدة لحروب النهب المدمرة .

ونتيجة ثورة اوكتوبر الاشتراكية العظمى ، هزمت الاشتراكية الراسمالية في سدس الكرة الارضية . ونهضت على مساحات شاسعة ، تشمل نصف آسيا وأوروبا ، وفي قلب العالم ، دولة اشتراكية جبارة ، اقيمت على أنقاض استغلال الانسان لاخيه الانسان ، وعلى اساس التحالف الاخوي بين الشعوب ، تدل البشرية جمعاء الى طريق الخلاص من العبودية الراسمالية ، وتوحد جميع الشعوب في رابطة عملاقة لشغيلة متحررين سعداء .

وفي غضون عشرين عاما من النضال المرير ، والمقاومة المسعورة من جانب الطبقات المدحورة في داخل البلاد ، والتدخل المضاد للثورة من خارجها ، وفي ظروف التطويق الراسمالي المعادي ، افلح شغيلة الاتحاد السوفييتي ، بقيادة حزب البلاشفة المجيد ، وعلى راسه القائدان العبقريان للبشرية الكادحة - لينين وستالين ، في تحويل هذا البلد المتخلف ، الفقير ، الى دولة اشتراكية جبارة راقية .

واذا كان لينين قد اشار في عام ١٩١٣ ، واصفا تخلف روسيا القيصرية ، الى ان اقتصادها، هو اسوأ بأربع مرات من حيث تجهيزه بوسائل الانتاج العصرية، مما في انكلترا ، وبخمس مرات ، مما في المانيا ، وبعشر مرات ، مما في اميركا، فان الاتحاد السوفييتي يحتل كبلد صناعي في المرتبة الاولى في اوروبا والمرتبة الثانية في العالم من حيث انتاجه الصناعي .

ولا يستطيع احد اليوم ان ينكر الانتصارات العظمى للبناء الاشتراكي ، والنمو الهائل للصناعة والمردودات القياسية للاقتصاد الزراعي الجماعي . ولا جدال ، في ان النهوض العاصف للتطور الاقتصادي في الاتحاد السوفييتي ، لم تعرفه الراسمالية في اي عهد من عهودها .

فاذا كان التطور الصناعي في البلدان الراسمالية قد عاد خلال ١٨٩٠-١٩١٣ بزيادة للانتاج معدلها السنوي ٥،٨٪ فقط ، فقد بلغت زيادة الانتاج الصناعي في الاتحاد السوفييتي خلال عام ١٩٣٦ وحده ٢٨ ٪ . واذا كان الانتاج الصناعي في البلدان الراسمالية خلال عام ١٩٣٦ ، قد تجاوز مستوى عام ١٩١٣ بثلث فقط ، فقد ازداد في الاتحاد السوفييتي بسبع مرات .

اما في مضمار الاقتصاد الزراعي ، فقد سجل انتصار تأريخي باهر . فبينما لم يخرج الاقتصاد الزراعي الراسمالي من الازمة الزراعية المديدة ، التي اسفرت عن تقليص المساحات المزروعة ، واتلاف كثير من المحاصيل ، وتدني مستوى الانتاج باستمرار ، قام في الاتحاد السوفييتي ، عوضا عن الاقتصاد الزراعي المشتت المتخلف ، اقتصاد زراعي اشتراكي موسع متقدم كل التقدم ، فان ٩٩٪ من الاراضي المزروعة تفلح جماعيا . وبفضل النظام الكولخوزي قضي على فقر الريف ، ولم يعد هنالك فلاحون بلا ارض ، وخيل ، ومعدات للعمل . كما ان اكثر من عشرين مليون فلاح معدم ، ممن كانوا غارقين في حماة البؤس قبلا ، دخلوا الى الكولخوزات وباتوا يحيون حياة ثقافية ميسورة . ويعطي الاقتصاد الزراعي الاشتراكي محاصيل قياسية ، لم يسبق لها مثيل في تأريخ البلاد .

وقد جنيت في عام ١٩٣٧ سبعة مليارات «بود» (١) من الحبوب الغذائية ، بينما لم تجن في خيرة اعوام الثورة سوى ٤-٥ مليار بود .

اما في العالم الراسمالي ففي كل مكان تنمو الثروات لدى الاقلية من جانب،

---

(١) البود = ١٦،٣٨ كيلوغراما او ٣٦ رطلا مصريا .

ويتفاقم الفقر والبؤس في صفوف ملايين الكادحين من جانب اخر : وبعد فترات الازدهار تحل الازمات الطاحنة ، التي تخرّب القوى المنتجة وتجلب البطالـــة والمجاعة والبؤس . اما النظام الاشتراكي فلا يعرف الازمات ، ولا يعرف البطالة والبؤس .

وتشهد الوقائع التي لا تدحض على افضليات النظام الاشتراكي ازاء النظام الراسمالي ليس في ميدان الاقتصاد وحسب ، بل وفي ميدان الحياة الاجتماعية والثقافية ، والعلم ، والفن ، وفي‌ميدان العلاقات المتبادلـــة بين الشعوب . ولا يجادل في هذه الارجحية سوى الدعاة المأجورين للراسمالية . ولا يجرؤ على الزعم بان الطبقة العاملة غير آهلة للاضطلاع بالمسؤولية التأريخية في قيادة مصائـــر شعبها وتنظيم الاقتصاد ، وبأن البروليتاريا «غير المتمرسة» بشؤون الدولـــة والاقتصاد لا يمكنها ان تدبر هذه الامور بدون البورجوازية «المتمرسة» ، سوى المسوخ الميئوس منها التي غالبا ما تنتحل اسم الاشتراكية ، والمشعوذين السياسيين الذين يشوهون الماركسية .

ان وجود الاتحاد السوفييتي منذ عشرين عاما قد برهن بشكل رائع علـى صواب كلمات الرفيق ستالين التي قالها في عام ١٩٢٧ بمناسبة الذكرى العاشرة لثورة اوكتوبر الاشتراكية العظمى :

«لقد دلت انتصارات الاشتراكية المؤزرة في الاتحاد السوفييتي في ميدان البناء ، على ان البروليتاريا تستطيع ادارة البلاد بنجاح بدون البورجوازية وضد البورجوازية ، وانها تستطيع ان تبني الصناعة بنجاح بدون البورجوازية وضدها، وانها تستطيع ان تقود بنجاح كل الاقتصاد الشعبي بدون البورجوازية وضـــد البورجوازية ، وانها تستطيع ان تبني الاشتراكية بنجاح بالرغم من التطويـــق الراسمالي» (١) .

وهنا يكمن واحد من اهم الدروس المبدئية لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى بالنسبة للطبقة العاملة في البلدان الراسمالية ، ذلك الدرس الذي ينبغي التأكيد عليه بوجه خاص في صدد الذكرى العشرين .

— ٢ —

لقد صنعت بروليتاريا البلدان الراسمالية الكثير لدعم الثورة الاشتراكيـــة الاولى في تأريخ البشرية . ولولا هذا الدعم لأراقت البروليتاريا والفلاحون الروس المزيد من دمائهم ، وتكبدوا المزيد من الضحايا ، للدفـــاع عن مكتسبات الثورة الاشتراكية . ولكن علينا ان نقول بمزيد من الصراحة ، بان الطبقة العاملة فـــي البلدان الراسمالية لم تفلح بأداء واجبها حتى النهاية ، لا حيال الثورة الاشتراكية

---

(١) ستالين . قضايا اللينينية . صفحة ٢٠٤ — ٢٠٥ .

الاولى ، ولا حيال تحررها الذاتي . وهي لم تظل تحت سلطة راس المال ولم تقع في المانيا وايطاليا تحت سطوة البربرية والعبودية الفاشية وحسب ، انما ساعدت كذلك ، بلا ارادة منها ، على زيادة صعوبات الفصيلة الطليعية للبروليتاريا العالمية وحرماناتها وآلامها وضحاياها .

لكن كيف كان يبدو العالم ، لو ان البروليتاريا في المانيا والنمسا ـ المجر وايطاليا لم تتلكأ بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية في فترة ١٩١٨ ـ ١٩٢٠ وتتقاعس في وسط طريق النهوض الثوري ؟ وكيف كان يبدو العالم ، لو ان الثورتين الالمانية والنمسوية في عام ١٩١٨ ، افضي بهما الى نهايتهما ، وقامت بنتيجة الثورةدكتاتورية للبروليتاريا في قلب اوروبا، في هذين البلدين المتطورين صناعيا؟ ان الحلف الثوري بين بروليتاريا اوروبا الغربية وبين الطبقة العاملة في الاتحاد السوفييتي ما كان سيخفف بأضعاف مضاعفة ويقضي على التدخل المعادي للثورة، والحرب الاهلية وحسب ، بل كان بوسعه ان يعجل ، ببناء الاشتراكية في بلاد السوفييتات . وما كانت ستقوم دكتاتورية الفاشية لا في ايطاليا ولا في المانيا ولا في النمسا او غيرها من البلدان . وما كان بوسع الفاشية ان تشن الهجوم ضد الطبقة العاملة والشعوب الديموقراطية . وما كان الشعب الاسباني والشعب الصيني يتجرعان كل الويلات التي يتجرعانها اليوم . وما كانت البشرية لتجابه الخطر المحدق بها والذي ينذر بمجزرة عالمية جديدة .

وفي الفترة التي كان العمال والفلاحون الروس يطيحون فيها بسلطة ملاكي الارض والراسماليين ، كانت تتوفر في اوروبا الوسطى كل الظروف الموضوعية اللازمة ، لجعل البروليتاريا الاوروبية ولاسيما الالمانية ، تسير في طريق العمال والفلاحين الروس . لكن ذلك لم يحدث . ولم يحدث نظرا لان الحل والربط في قيادة منظمات البروليتاريا الجماهيرية كانا آنذاك بيد زعماء الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية ، الذين دخلوا منذ بداية الحرب في تحالف مع بورجوازيتهم الامبريالية .

وسعيا منهم للحفاظ على اسس المجتمع البورجوازي المتزعزعة بكل ثمن ، استخدموا على نطاق واسع النفوذ الايديولوجي والسياسي للاشتراكيةالديموقراطية والاصلاحية ، لتضليل اغلبية الطبقة العاملة ، واقناعها بأن الذي يفضي بالعمال الى الاشتراكية ، ليس تطور الثورة المتواصل ، بل تصفيتها ، وقد شقوا بتحالفهم مع البورجوازية ، الحركة العمالية ، واضعفوا البروليتاريا ، وعزلوها عن الفلاحين والبورجوازية الصغيرة في المدن ، وساعدوا البورجوازية الكبيرة بذلك على لم شعثها والتحول الى الهجوم على العمال والفلاحين الثوريين. وكان الجبناء سياسيا وخونة البروليتاريا ، المتسلطون على المنظمات العمالية الجماهيرية يهددون العمال بالتضحيات والحرمان والخراب . وكانوا يدخلون في روعهم ان سبيل الاشتراكية الديموقراطية ـ سبيل التحالفمع البورجوازية والحفاظ علىالنظام البورجوازي، هو الذي سيضمن الانتقال السلمي الميسور نحو الاشتراكية، لا سبيل البولشفية،

والتطبيق الفعلي لتعليم ماركس وانجلز ، سبيل الثورة البروليتارية ودكتاتورية البروليتاريا .

اما الان فان نتائج العشرين عاما ماثلة للعيان . فمن ذا الذي ينكر ، ان الضحايا والحرمانات التي تكبدتها ، على سبيل المثال ، الطبقة العاملة والكادحون في المانيا طوال فترة ما بعد الحرب ، ولاسيما في ظل النظام الفاشي المسعور ، ليست اكثر بآلاف المرات من كل الضحايا والحرمانات المحتملة ، التي كان لا بد منها لانتصار الثورة البروليتارية في عام ١٩١٨ ؟

وعوضا عن الانتقال السلمي الميسور نحو الاشتراكية مهدت الاشتراكية الديموقراطية بكل سياستها الاستسلامية والانشقاقية ، الطريق لانتصار الفاشية .

فلولا الاشتراكية الديموقراطية لتوراتي ودراغون في ايطاليا ، لما كان من الممكن انتصار فاشية موسوليني . ولولا الاشتراكية الديموقراطية لابيرت ونوسكه في المانيا لما كان من الممكن انتصار فاشية هتلر . ولولا الاشتراكية الديموقراطية لرينير وباور ، لما كان من الممكن انتصار الفاشية في النمسا ولما غدا بالامكان ستر هذه الحقيقة اطلاقا . فان كثيرا من الوثائق في تأريخ اوروبا السياسي بعد الحرب تعززها بما لا سبيل الى تفنيده .

وفي ظروف الازمة الثورية الفريدة في نهاية الحرب الامبريالية ، شق زعماء الاشتراكية الديموقراطية الرجعيون ، صفوف الطبقة العاملة ، ونزعوا سلاحها فكريا وسياسيا ، وانقذوا سلطان الراسمالية ، وبذلك عرّضوا الكادحين الى ضربات الفاشية . اما البولشفية ، الماركسية الحقيقية ، فقد وحدت آنذاك صفوف الطبقة العاملة ، واقامت حلفا لا يقهر بين العمال والفلاحين ، وقضت على الراسمالية ، وضمنت انتصار الثورة الاشتراكية وادت الى بناء المجتمع الاشتراكي في سدس الكرة الارضية .

ولقد اصاب الرفيق ستالين كبد الحقيقة حين كتب قبل عشر سنوات يقول: «لا سبيل الى القضاء على الراسمالية ، بدون القضاء على الاشتراكية الديموقراطية في الحركة العمالية» .

وهذا هو الدرس المبدئي الهام الثاني بالنسبة لبروليتاريا البلدان الراسمالية، والمستمد من الذكرى العشرين لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى .

ـ ٣ ـ

وفي غضون عشرين عاما ، عانت الجماهير الكادحة في البلدان الراسمالية كثيرا وكابدت كثيرا ، وتعلمت من تجاربها المريرة شيئا كثيرا ، ولاسيما ابان الازمة الاقتصادية العالمية . غير ان انتصار الاشتراكية النهائي في الاتحاد السوفيتي ، من جهة ، وعبر الهزائم المؤقتة ، التي افلحت الفاشية بالحاقها بالطبقة العاملة ،

ولاسيما في المانيا ، من جهة اخــرى ، زعزعت النفوذ السابق للاشتراكيـــة الديموقراطية ليس وسط الطبقة العاملة وحدها ، بل وكذلـك وسط الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية نفسها والنقابات ، التي تخضع لقيادتها السياسية . وبدات في معسكر الاشتراكية الديموقراطية عملية التخلي عن مواقف الاصلاحية، وترك سياسة التعاون الطبقي مع البورجوازية ، والانتقال الى مواقـــف النضال المشترك مع الاحزاب الشيوعية ضد الفاشية ، والى مواقف وحدة نضال الطبقة العاملة والجبهة الشعبية الموحدة ضد الفاشية . ولقد وجدت هذه العملية تعبيرها الساطع في قيام الجبهة الموحدة بين الشيوعيين والاشتراكيين الديموقراطيين في فرنسا واسبانيا وايطاليا ، وجزئيا في بعض البلدان الاخرى .

وقد سهّل التطور الحثيث لهذه العملية وعجّل به ، مجمل سير الاحداث خلال السنوات الاخيرة ، الذي طرح على الطبقة العاملة مهمة صدامية بالغـــة الخطورة ــ وهي ان تقطع بكل ثمن دابر الفاشيـــة في بلدان الديموقراطيـــة البورجوازية ، وان تطيح بها حيث تكون في السلطة ، وتحمـي السلم العام من غائلة مشعلي الحرب الفاشست . وان عملية ترك الاشتراكية الديموقراطية يسهل التطبيق الصائب للمقررات الاساسية لمؤتمر الاممية الشيوعية السابع ، من قبل الاحزاب الشيوعية .

وكنتيجة لتأثير انتصار الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي ، ولاتساع حركة الجبهة الشعبية ، ولنفوذ الشيوعية المتعاظم على اوساط الحركـــة العمالية ، سيزداد بلا ريب عدد الاحزاب والمنظمات الاشتراكية ، التي تتخلى عن الاشتراكية الديموقراطية المفلسة ، والتي تشن النضال كتفا لكتف مع الاحزاب الشيوعية ضد العدو الطبقي المشترك والتي تقف الى جانب الوحدة مع الشيوعيين في حـــزب بروليتاري جماهيري موحد . وقد تم هذا التوحيـد بين اشتراكيي كاتولونـــا وشيوعييها . وقد أعدّ بالاشتراك بين الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي في اسبانيا . وتنضج الشروط اللازمة له في فرنسا ايضا كنتيجة للنضال المشترك بين الشيوعيين والاشتراكيين في صفوف الجبهة الشعبيـــة المعادية للفاشية ، وكذلك بفضل المفعول الايجابي لقيام اتحاد موحد للنقابات على اساس مجمل عملية توحيد قوى البروليتاريا الفرنسية . كما ان الاتفاق الجديـــد بين الشيوعيين والاشتراكيين الايطاليين يزيد من تلاحم صفوفهم وعلاقاتهم الاخوية ويعزز أواصر النضال المشترك ضد دكتاتورية موسوليني الفاشية . هذا وما يزال ينمو التفاهم المتبادل والتقارب بين الشيوعيين والاشتراكيين الالمان في النضال ضد دكتاتورية هتلر الفاشية ، بالرغم من جميع المكائد والدسائس التي يحبكها الزعماء المتزمتون في مركز الحزب الاشتراكي الديموقراطي خارج الوطن .

ويمكننا القول بثقة ، بأن الطبقة العاملة في البلدان الراسمالية قد تقترب بصورة مباشرة ، في عشية الذكرى العشرين لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى ، من تصفية الانشقاق الذي سببته الاشتراكية الديموقراطية في صفوف الحركة

العمالية العالمية . وما تزال في الطريق نحو هذه التصفية صعوبات وعقبات جمّة ذات طابع ايديولوجي وسياسي وتنظيمي . وثمة صعوبات مرتبطة بتأريخ وتقاليد الحركة العمالية ذاتها في مختلف البلدان ، لا يمكن ازالتها بسهولة . غير ان الأهم هو ان الطبقات المسيطرة في البلدان الراسمالية ، ذات المصلحة القصوى في بعثرة قوى الحركة العمالية ، تعمل وستعمل كل ما هو ممكن ، لئلا تسمح لها باستعادة وحدتها . وبغية ارضائهم يبدي الزعماء الرجعيون للاممية الثانية نشاطا محموما لارجاع عجلة التأريخ الى وراء . فانهم يحبطون بكل السبل كل محاولة للاعمال الموحدة بين المنظمات العمالية الدولية للدفاع عن الشعبين الاسباني والصيني ، ولصيانة السلم ، في وجه التدخل الالماني الايطالي الفظيع في اسبانيا ، وفي وجه الهجوم الياباني الوحشي على الصين ، وفي وجه الخطر المتعاظم جدا من حرب امبريالية جديدة .

لكن ليست هنالك صعوبات وعقبات في طريق وحدة النضال ضد الفاشية والحرب ، لا يمكن للطبقة العاملة ان تذللها ، اذا ما عقدت العزم على توحيد قواها واداء رسالتها التأريخية .

فان وجود بلاد الاشتراكية ، هذه الدعامة الجبارة لنضال البروليتاريا العالمية ، دعامة السلم والحرية والتقدم ، هو اكبر عامل لتصفية الانشقاق في صفوف الحركة العمالية العالمية . وان الشغيلة السوفييتيين يمارسون ، بمثالهم وبطولتهم في العمل ، وبتفانيهم للوطن الاشتراكي ، وبنضالهم الذي لا هوادة فيه ضد اعداء الشعب ، والجواسيس التروتسكيين والبوخارينين وعملاء الفاشية ، تأثيرا هائلا على التحام القوى المتصدعة للحركة العمالية العالمية . فان عواطف وحب الكادحين في العالم الراسمالي تنمو بلا انقطاع ازاء الاتحاد السوفييتي ــ بلد الاشتراكية الظافرة . وهذه الحقيقة تفعل مفعولها كأنجع ترياق ضد سموم العمل الانشقاقي ، الذي يقوم به العملاء السافرون ، والمتسترون للعدو الطبقي في صفوف الطبقة العاملة .

ان بلد الاشتراكية الظافرة ، الذي يلعب كل هذا الدور الكبير في توحيد البروليتاريا العالمية ، يلف حوله بمزيد من القوة صفوف جميع الانصار الحقيقيين لقضية الطبقة العاملة . وما من معيار في الظروف الدولية المعاصرة ، ادق من الموقف ازاء الاتحاد السوفييتي ، للتمييز بين اصدقاء قضية الطبقة العاملة والاشتراكية واعدائها وبين انصار الديموقراطية والسلم وخصومهما . كما ان المحك لاختبار اخلاص ونزاهة كل مناضل في الحركة العمالية ، وكل حزب ومنظمة للكادحين وكل ديموقراطي في البلدان الراسمالية ، هو موقفهم من بلد الاشتراكية العظيم . فليس بالامكان ان تناضل ضد الفاشية فعلا ، اذا لم تستطع ان تدعم بصورة شاملة اهم ركن لهذا النضال ــ الاتحاد السوفييتي . وليس بامكانك ان تشن نضالا جديا ضد مشعلي الحرب الفاشست ، ما لم تؤيد بلا تحفظ الاتحاد السوفييتي ــ هذا العامل الأهم لصيانة السلم العالمي . ومن غير

الممكن ان تناضل من اجل قضية الاشتراكية في بلدك ، ما لم تناضل ضد اعداء الدولة السوفييتية ، حيث تتحقق هذه الاشتراكية بالجهود البطولية للشغيلة السوفييتية . ولا يمكن ان تكون صديقا صدوقا للاتحاد السوفييتي ، ما لم تدن اعداءه ـ عملاء الفاشية التروتسكيين ـ البوخارينيين .

ان الفاصل التأريخي بين قوى الفاشية والحرب والراسمالية ، من جهة ، وقوى السلم والديموقراطية والاشتراكية من جهة ثانية هو في الواقع ، الموقف من الاتحاد السوفييتي ، وليس الموقف الشكلي من السلطة السوفييتية والاشتراكية عموما ، بل الموقف من الاتحاد السوفييتي القائم فعليا منذ عشرين عاما ، ومن نضاله الدائب ضد الاعداء ومن دكتاتورية الطبقة العاملة والدور القيادي لحزب لينين وستالين .

وفي ذلك يكمن الدرس المبدئي الثالث والاهم للذكرى العشرين لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى بالنسبة لبروليتاريا البلدان الراسمالية .

٧ تشرين ثاني ـ نوفمبر ـ عام ١٩٣٧

ضمانة النصر

– ١ –

ان ما يجري الان في البلدان الراسمالية ، يثير قلقا مفهوما ومشروعا في اوساط الطبقة العاملة العالمية كلها ، وبين جميع انصار الحرية والسلم الحقيقيين . ففي غضون سنوات عديدة ، ومنذ ما قبل الطغيان الفاشي الراهن ، انذر الشيوعيون الجماهير الشعبية في جميع البلدان من مخططات الدول الفاشية العدوانية الرامية الى اهداف بعيدة . فمنذ عام ١٩٣٣ اعتبر الشيوعيون مجيء الالمان الفاشست الى السلطة كتوطئة لحروب الفتح والنهب . وفي عام ١٩٣٥ جاء في قرار المؤتمر السابع للاممية الشيوعية ما يلي :

« ان الخطط المغامرة للفاشست الالمان ، تمضي بعيدا جدا ، وهي تستهدف الانتقال العسكري من فرنسا ، وتقسيم تشيكوسلوفاكيا ، والحاق النمسا ، والقضاء على استقلال دول البلطيق ، التي يسعون الى جعلها منطلقا للهجوم على الاتحاد السوفييتي ... »

وقد اقتنع ملايين الكادحين بان الشيوعيين كانوا على صواب . ولا يستطيع احد ان يجادل اليوم ، او غدا، في ان المعتدين الفاشست ــ المانيا وايطاليا والزمرة الفاشية العسكرية في اليابان ، هم اول مشعلي لهيب الحرب وانهم قطاع طريق يداهمون الشعوب الآمنة ، ثانيا ، في ان المعتدين الفاشست يعملون بتشجيع او بحماية مباشرة من جانب العناصر الرجعية في الدول الديموقراطية البورجوازية .

ويحقق قطاع الطرق الفاشست خططهم التوسعية امام انظار العالم كله وبوقاحة ويدفعون بالبشرية نحو مجزرة امبريالية عالمية جديدة . فان اغتصاب منشوريا من قبل العسكريين اليابانيين ، واغتصاب الحبشة من قبل الفاشية الايطالية ، والتدخل الالماني ــ الايطالي في اسبانيا ، وغزو الجيش الياباني الجديد للصين ، والحاق النمسا بالمانيا الفاشية ــ ان هذه كلها معالم دموية في الزحف الفاشي المتعاظم باستمرار .

ان عدم انزال العقاب بكل هذه الاعمال التوسعية الشريرة يزيد الى اقصى حد نهم العصابات الفاشية الحاكمة . فان الفاشية الالمانية اخذت تشحذ اسنانها

بعد اغتصاب النمسا ، للانقضاض على جمهورية تشيكوسلوفاكيا . وان هتلر يستثير عن طريق عملائه في منطقة السوديت (حزب هينلاين) المشاحنات الداخلية بوقاحة في تشيكوسلوفاكيا كذريعة للضربة التي يعدها من الخارج . وهو يتواطأ مع الفاشست الايطاليين والبولونيين والمجريين لاقتسام تشيكوسلوفاكيا . وبعد انزال قسم هام من جيشها في النمسا ، تسعى الفاشية الالمانية الى ان تدخل المجر في فلكها ، وان تتطاول على استقلال شعوب البلقان ، وتسعى الى سحق تركيا لتحقق الخطط القديمة للامبريالية الالمانية فيما يتعلق بخط برلين — بغداد الستراتيجي . وفضلا عن ذلك تجري بين الفاشست الالمان والبولونيين مفاوضات لتصفية دول البلطيق الصغيرة وتحويل اراضيها الى منطلق للهجوم على الاتحاد السوفييتي . كما توضع الخطط لالحاق «لتوانيا» وبولونيا ، ولتقسيم دول البلطيق الاخرى ، على ان تنال بولونيا الجزء الجنوبي من «لاتفيا» وتنال المانيا دانسنغ ، وميميل ، وتفرض وصايتها على استونيا . وتقضي هذه الخطط بان تتحول «ريغا» الى ميناء «حر» يخضع عمليا لسيطرة المانيا الفاشية .

غير ان خطط الفاشية الالمانية التوسعية لا تنتهي الى هنا . فبعد الحاق النمسا بدات تظاهرات هتلر السافرة في «آيبن» و «مالميدي» في بلجيكا ، لضم هذه الاراضي الى المانيا . ويثير الفاشست الالمان مسألة «تعديل» الحدود مع الدانمارك . كما يرفع عملاء المانيا الفاشية رؤوسهم في السويد والنرويج . وتعج فنلندة بالجواسيس والمبعوثين السياسيين الالمان . وتجري على قدم وساق اعمال التخريب في سويسرا وهولندا .

ان دكتاتوري المانيا وايطاليا الفاشيين اللذين التقيا لقاء صاخبا في روما ، يسعيان الى خنق الشعب الاسباني المكافح ، بكل ثمن ، كشرط لتطويق فرنسا ، ولتعزيز نفوذهما في حوض البحر الابيض المتوسط ، وضمان المواقع المناسبة للحرب العالمية التي يحضران لها . وتزرع قوات الطيران والمدفعية للمتدخلين الايطاليين — الالمان ، في جو الحصار الغادر الذي فرض على الجمهورية الاسبانية ، الموت والخراب في هذه الارض .

وازاء هذا الزحف القرصني للمعتدين الفاشست ، الذين يهددون قضية السلم العام ، ووجود واستقلال العديد من البلدان ، تبدو السياسة التي تنتهجها حكومات الدول الديموقراطية البورجوازية مخزية جدا . وينبغي ان يعلن جهارا ان المتعنتين الانكليز وامثالهم من الاوساط الرجعية في بقية البلدان البورجوازية هم شركاء فعليون فيالاعمال الاجرامية التي يقترفها الغزاة الالمان والايطاليون واليابانيون.

فهل من سبيل الى الشك في ان الفاشية الايطالية ما كانت تستطيع قهر الحبشة وغزوها لولا سياسة هؤلاء المشجعة . وهل من سبيل الى الشك في ان الشعب الاسباني البطل ، لولا الحصار الذي فرضوه على الجمهورية الاسبانية ، لطرد الغزاة الفاشست من بلاده منذ زمن بعيد ، وان الفاشية الالمانيةما كانت تقدم على ضم النمسا لولا الدعم المباشر من جانب المحافظين الانكليز ؟ او ليس واضحا ،

ان العمـــل الحاسم من جانب الدول الكبرى ضد الطغمة العسكرية اليابانية كان سيحول دون غزوها القرصني للصين ؟

كان يكفي ان توافق حكومات انكلترا وفرنسا والولايات المتحدة الاميركية على المقترحات المتكررة من جانب الاتحاد السوفييتي فيما يتعلـق بوحدة العمل بـين البلدان التي تهمها صيانة السلم ، لكي يلجم المعتدون الفاشست . وكان يكفي مجرد الامتناع عن تقديم القروض والخامات ، وقطع التجارة مع القراصنة الفاشست ، واتاحة الفرصة للشعبين الاسباني والصيني في الحصول على السلاح للدفاع عن وطنهما واستقلالهما ، لكـي يوقف زحف الفاشية الدولي ضد حريـة واستقلال الشعوب ، ولكي يحـال دون اعتدائها على السلم العـام . آنذاك كانت الحكومات الفاشية المعزولـة والمفروضة عليهـا ظروف الحجر السياسي ، ستجابه شعوبها كحكومات مفلسة ، وكانت الانظمة الفاشية ستنهار تحت ضربات الجماهير الشعبية الحاقدة المضطهدة في بلدانها .

ولكن بدل هذه السياسة ، المنسجمة كليا مـع مصالح شعبي انكلترا وفرنسا كذلك ، يتواطأ المحافظون الانكليز والرجعيون الفرنسيون مـع المعتدين الفاشست لخنق الشعب الاسباني ، ولتسليم النمسا وتشيكوسلوفاكيا ، ويتاجرون بمصالح الشعوب الصغيرة وباستقلالها ، ويسعون الى توجيـه اعتداء الفاشية ضد بلـد الاشتراكية العظيم ، الدعامـة الجبارة للحرية والسلم في العـــالم ــ الاتحـاد السوفييتي . فانهم بحاجة الى الطغاة الفاشست كدرك دموي للنضال ضد الطبقة العاملة العالمية وضد الحركات الديموقراطية لشعوب العالم اجمع . ويستند حلف الرجعيين الانكليز والفرنسيين هذا الى دعم النصابين الجبناء ومضاربي البورصة الذين يبتغون الافلات من الاوباش الفاشست ، على حساب الآخرين ، لكي يحافظوا على ارباحهم كاملة غير منقوصة .

ولو كان مصير الشعوب الصغيرة ومصير اوروبا والسلم العام يتوقف على هذه الدوائر الرجعية الممالئة للفاشست وحدهـا ، لحققت الفاشية الالمانية والايطالية مآربها التوسعية الدموية . لكن في العالم قوى ، قادرة على منع ذلك وبوسعها ان تحطم رأس الفاشية الى الابد .

ـ ٢ ـ

ان المراقب السطحي لا يرى سوى جانب واحد من الاحداث الدائرة : زحف الفاشية ، وخنـوع الفئات البورجوازية امامهـا في البلدان الاخـرى ، والضجة والجعجعة التي تحدثها الصحافة الفاشية . اما في الواقع فان لهذه الحوادث جانبا آخر : اذ تنمو حركة الطبقة العاملة ضد الفاشية والحرب ، ويتعزز تذمر الكادحين من سياسة التساهل حيال الفاشية ، وتتحرك الشعوب المهددة بالعدوان الفاشي ، وتتضامن القوى المعادية للفاشية في مختلف البلدان على النطاق الدولي .

وتتم على هذا النحو عمليتان متناقضتان في تطور الاحداث الدولية . فبينما تتجه القيم الرأسمالية الرجعية في بلدان الديموقراطية البورجوازية نحو المساومات مع المعتدين الفاشست ونحو انتهاج سياسة مماثلة للفاشية في الداخل ، تنمو في العالم كله القوى المكافحة ضد الحرب والفاشية .

فقد مر ما يناهز العامين على الشعب الاسباني وهو يخوض ببطولة نادرة النضال ضد حلف الغزاة الفاشست . وكل تشديد لهذا الغزو يستثير موجة جديدة من النهوض الوطني في اسبانيا وتوطيد الجبهة الشعبية ، التي تبدي عزيمتها القاطعة على شن النضال حتى النهاية الظافرة . ويظهر الشعب الصيني المتماسك في جبهة وطنية موحدة امثلة رائعة من الصلابة والبسالة والقدرة الكفاحية في النضال ضد الغزاة اليابانيين المتغطرسين .

وان كل عمل عدواني جديد للفاشست يثير لدى الطبقة العاملة والجماهير الشعبية الواسعة في العالم كله ، الطموح الى الاسراع بتحقيق الجبهة الشعبية الموحدة للنضال ضد الفاشية والحرب . وقد اثار الحاق النمسا موجة عارمة لتعبئة قوى الشعب التشيكوسلوفاكي ضد الفاشية الالمانية ، التي باتت تهدد استقلال الجمهورية التشيكوسلوفاكية ووحدة اراضيها تهديدا مباشرا . ولقد اقلق مصير النمسا الشعوب البلقانية كذلك الى حد كبير . فهي لا تريد ان تذهب ضحية لغزو البلقان من قبل الفاشية الالمانية . ولا تريد فقدان استقلالها الوطني ، والوقوع في شرك التبعية الاقتصادية للغزاة الفاشست ولا السماح بتحويل بلدانها جسرا للوصول الى بغداد .

ولقد اثار احتلال النمسا الاستياء لدى الاوساط الاجتماعية الواسعة في الولايات المتحدة الاميركية . وفتح عيون تلك الفئات الانكليزية التي كانت قبلا تنظر بلا اكتراث الى العدوان الفاشي . وقد اتخذ نمو المعارضة لسياسة الحكومة الانكليزية مقاييس هائلة . وبدات في انكلترا حركة واسعة لمصلحة قيام جبهة شعبية ضد الفاشية .

وفي البلدان الفاشية ذاتها ، تنمو القوى المعادية للفاشية ، رغم الارهاب الدموي ورغم الاستقرار الظاهري للنظام الفاشي ، وتنمو المقاومة ضد العدوان الفاشي وضد اشعال لهيب حرب امبريالية جديدة . وما زال يعوز هذه القوى التراص والتنظيم ، لتباشر العمل على المكشوف . غير ان آلاف المسارب الخفية للاستياء والتذمر من الدكتاتورية الفاشية ، تنخر اسس هذه الدكتاتورية .

ان الطبقة العاملة ، سيدة مصير الملايين ، وكذلك الشعوب التي لا تريد الفاشية ولا الحرب ، لم تقل كلمتها الاخيرة بعد !

— ٣ —

ان هذا كله ، يدل على ان الاوان لم يفت بعد لاحباط خطط الفاشية الدموية

حتى في هذه المرحلة التي تفاقم فيها عدوان الدول الفاشية بشكل مفرط . وما زال في الامكان الامساك بتلابيب مشعلي الحرب الفاشست .

فماذا يلزم لذلك ؟

اولا ، ينبغي تحقيق عزل المعتدين الفاشيين على الصعيد الدولي . وينبغي حرمانهم من النار والحديد . وقد آن الاوان ، لادراك ان المعتدي الفاشي يستغل كل تنازل لتسديد ضربة جديدة . وان انتهاج سياسة حازمة لعزل المعتدين الفاشست على الصعيد الدولي يتطلب اتخاذ تدابير صارمة للجم القوى الرجعية التي تدعم المخططات التوسعية للفاشية الالمانية والايطالية في كل بلد يهدد الطغمة العسكرية اليابانية . مفرطة بمصالح شعبها .

ثانيا . من الضروري انتهاج سياسة ثابتة للسلم من جانب جميع الدول ، التي تهمها صيانة السلم : ومن الضروري ان تراعي جميع الدول التي تدعي التمدن ، الالتزامات الدولية التي قطعتها على نفسها ، ومن الضروري انتهاج سياسة فعالة للامن الجماعي عن طريق فرض العقوبات الاقتصادية والسياسية وغيرها بحق المعتدين . فان فرض مثل هذه العقوبات بحق حكومتي المانيا وايطاليا الفاشيتين اللتين هاجمتا الشعب الاسباني ، وبحق الطغمة العسكرية الفاشية في اليابان التي غزت الصين . امر لا مناص منه .

ثالثا ، من الضروري وحدة عمل البروليتاريا العالمية سواء فيما يتعلق بالنضال المباشر ضد عدوان الدول الفاشية ، او فيما يتعلق بالضغط على حكومات البلدان البورجوازية لكي تنهج سياسة حازمة تجاه المعتدين . وان خوض النضال الناجح ضد عدوان الفاشية ، يمكن تحقيقه على افضل وجه لقوى العمال المتحدين على الصعيد الدولي . غير ان بلوغ الاعمال الاممية الموحدة للطبقة العاملة لا يتم الا بتذليل مقاومة هذه الوحدة من جانب الزعماء الرجعيين للاتحادات النقابية الاشتراكية الدولية من طراز اممية امستردام .

وفي نداء اول ايار حددت اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية ، سعيا منها لتحقيق وحدة عمل البروليتاريا العالمية ، اقتراحها الذي وجهته مرارا عديدة من قبل ، الى الاتحادين الاشتراكي والدولي للنقابات لاقامة جبهة عمالية موحدة على النطاق الدولي . وان الاممية الشيوعية مستعدة ، ازاء هذا الجو الدولي المشحون ، وادراكا منها للمسؤولية الكبرى التي تقع على عاتق الطبقة العاملة ، لدعم كل مبادرة شريفة مهما كان مصدرها ، ما دامت تساعد على قيام وحدة عمل الطبقة العاملة . ومما له اهمية خاصة في هذه اللحظة شن حملة مشتركة من جانب المنظمات العمالية في انكلترا وفرنسا للدفاع عن الشعوب المتعرضة للهجوم الفاشي. فان مثل هذه الحملة البروليتارية المشتركة في اهم بلدين اوروبيين ، من شانها ولو كانت ذات طابع محدود ، ان تهيء دفعة جبارة للمسيرة الناجحة لوحدة نضال الطبقة العاملة العالمية باسرها .

رابعا ، من الضروري قيام حلف متين لا يتزعزع للطبقة العاملة العالمية الموحدة

مع الشعب السوفييتي العظيم . فان هذا الشعب الذي رباه حزب لينين وستالين بروح الاممية البروليتارية ، هو احزم واثبت مناضل ضد الفاشية . وان الشعب السوفييتي القوي بفضل البناء الاشتراكي الجبار ، وبفضل القدرة القتالية العالية لجيشه الاحمر ، وبوحدته المعنوية والسياسية ، والملتف حول الحزب الشيوعي والحكومة السوفييتية وزعيم الكادحين الرفيق ستالين هو دعامة جبارة لكادحي العالم اجمع .

ان الطبقة العاملة في البلدان الراسمالية لا غالب لها اذا اتحدت مع الطبقة العاملة في البلاد السوفييتية . وان قوتها هذه ستزداد كلما توثقت اواصر التضامن الاممي التي تربط الطبقة العاملة في البلدان الراسمالية بالطبقة العاملة في الاتحاد السوفييتي .

وقد كتب الرفيق ستالين يقول : «علينا ان نقوي ونعزز العلاقات الاممية البروليتارية للطبقة العاملة في الاتحاد السوفييتي ، مع الطبقة العاملة في البلدان البورجوازية ، وعلينا ان ننظم المساندة السياسية من جانب الطبقة العاملة في البلدان الراسمالية للطبقة العاملة في بلادنا في حالة الهجوم على بلادنا ، وان ننظم المساندة الشاملة من جانب الطبقة العاملة في بلادنا للطبقة العاملة في البلدان البورجوازية» .

فليمعن النظر في هذه الكلمات كل بروليتاري ، وكل مناضل شريف ضد الفاشية والحرب . ولتصبح جزء لا يتجزا من تفكير الحركة العمالية العالمية .

ففي تحقيق هذا التوجيه ، بداب وبلا كلل ، ضمانة لانتصار البروليتاريا العالمية .

الاول من ايار (مايو) عام ١٩٣٨

الجبهة الموحدة للبروليتاريا العالمية وللشعوب ضد الفاشية
(بعد ميونيخ)

- ١ -

في الوقت الذي يحتفل فيه الشعب السوفييتي المتحرر من العبودية الراسمالية ، بالذكرى الحادية والعشرين للثورة الاشتراكية العظمى ، التي سددت ضربة قاصمة الى الحرب العالمية الامبريالية الاولى ، يقع ملايين الناس في البلدان الراسمالية ضحايا للعبودية الفاشية الدموية . ويدفع المجرمون الفاشست بالبشرية الى الهوة السحيقة لحرب امبريالية جديدة .

ولقد حذّر الرفيق ستالين مرارا قبل هذه الاحداث بزمن بعيد ، من ان الحكومات الفاشية تعد العدة لمجزرة امبريالية اخرى . وقد اعلن الرفيق ستالين من على منبر المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي السوفييتي المنعقد في كانون ثاني (يناير) ١٩٣٤ قائلا :

«ان احزاب الحرب والانتقام تحتل مكان الصدارة من جديد ، كما في عام ١٩١٤ . ومن الواضح اننا مقبلون على حرب جديدة» .

وقال ستالين بعد حين ، في حديثه مع ر. هوارد في اول اذار (مارس) عام ١٩٣٦ :

«توجد ، حسب اعتقادي ، بؤرتان لخطر الحرب . الاولى في الشرق الاقصى ، في منطقة اليابان . وانا اقصد بذلك التصريحات المتكررة للعسكريين اليابانيين الطافحة بالتهديد تجاه الدول الاخرى . اما البؤرة الثانية فتوجد في منطقة المانيا ... وبؤرة الشرق الاقصى هي التي تبدي الان نشاطا اكبر حتى الان . غير ان من الممكن ان ينتقل مركز هذا الخطر الى اوروبا» .

وفي آب من عام ١٩٣٥ حدد المؤتمر السابع للاممية الشيوعية ، انطلاقا من التحليل الماركسي اللينيني للوضع الدولي ، خطط الفاشية الالمانية التوسعية على الوجه التالي :

«ان الخطط المغامرة للفاشست الالمان تنتشر الى مدى بعيد وتستهدف

الانتقام من فرنسا ، واقتسام تشيكوسلوفاكيا ، والحاق النمسا ، وتحطيم استقلال بلدان البلطيق ، التي يسعون الى جعلها منطلقا للهجوم على الاتحاد السوفييتي ، واقتطاع اوكرانيا السوفييتية من الاتحاد السوفييتي ، فهم يريدون مستعمرات لانفسهم، ويعملون على تأجيج الاهواء لاشعال حرب عالمية لاقتسام العالم من جديد».

وان مجمل سير الاحداث يدل على مدى صواب الشيوعيين ، عندما اطلقوا اشارة الانذار فيما يتعلق بخطر الحرب ، ودعوا الكادحين في الوقت المناسب لمقاومة الفاشية على اساس جبهة شعبية موحدة .

وخلال عام ١٩٣٥ هاجمت ايطاليا الحبشة . ومزقت المانيا الفاشية بدورها معاهدة فرساي ، واعلنت التعبئة العامة ، وعسكرت منطقة الراين التي حولتها الى منطلق لتسديد الضربة الى فرنسا . ومن ثم احتلت النمسا عنوة ، ونهبت منطقة السوديت ، وهيمنت على كل المواقع الستراتيجية في تشيكوسلوفاكيا ، ونجحت في تمزيقها سعيا منها لتحويل تشيكوسلوفاكيا الى مستعمرة فعلية لها .

وفي صيف عام ١٩٣٦ نظمت الدوائر الحاكمة في المانيا وايطاليا ، بعد ان دبرت الانتفاضة الفاشية في اسبانيا سلفا ، التدخل العسكري ضد الجمهورية الاسبانية . والقت هناك بقواتها النظامية وبمعدات حربية هائلة ، وجردت اسطولا بحريا ، لتطويق الجمهورية ، وحققت السيطرة على البحر الابيض المتوسط . وطوال عامين ينشر الطيارون الايطاليون والمدفعيون الالمان الخراب في المدن الاسبانية ، ويقتلون النساء والاطفال الاسبان ، ويغرقون بالدم ارض الشعب الاسباني الذي يصبو الى شيء واحد : ان يكون سيد داره .

كما ان الطغمة الفاشية اليابانية تشن للسيطرة على الصين حربا لا تقل شناعة في الشرق الاقصى ضد الشعب الصيني المكافح من اجل استقلاله .

« ان هذه الوقائع جميعا تدل على ، ان حربا عالمية ثانية قد بدات فعلا . وقد بدات خلسة وبدون اعلانها . وانجرفت الدول والشعوب دونما ارادة منها الى فلك حرب امبريالية ثانية . وقد بدات الحرب في مختلف بقاع العالم ثلاث دول عدوانية ــ اي الدوائر الفاشية الحاكمة في المانيا ، ايطاليا ، واليابان . وتدور الحرب على ساحة شاسعة ، ابتداء من جبل طارق حتى شانغهاي . وقد افلحت الحرب بان تجر الى مدارها اكثر من نصف مليار من الناس . وهي تشن في آخر المطاف ، ضد المصالح الراسمالية لانكلترا وفرنسا والولايات المتحدة الاميركية ، نظرا لانها تستهدف اقتسام العالم ومناطق النفوذ من جديد لصالح البلدان المعتدية وعلى حساب ما تسمى بالدول الديموقراطية .

اما السمة المميزة للحرب الامبريالية الثانية ، فهي انها تشن في الوقت الراهن ويضرم لهيبها من قبل الدول العدوانية ، بينما الدول الاخرى ، الدول « الديموقراطية » التي توجه الحرب ضدها بالذات ، تتظاهر وكأن الحرب لا تعنيها، وهي تغسل يدها ، وتتنحى جانبا ، متبجحة بحبها للسلم ، وتشتم المعتدين الفاشست وتتخلى عن مواقعها للمعتدين ، مؤكدة في هذه الاثناء انها تستعد

للمقاومة » .

لماذا كان من الممكن حدوث هذه السلسلة من الجرائم الفاشية الدموية ؟ لقد صار ذلك ممكنا بسبب التراجع المتواصل من جانب الدوائر الحاكمة في ما تسمى بالدول الديموقراطية امام المعتدين الفاشست .

فقد سمحوا للفاشية الايطالية بان تهاجم الحبشة دونما عقاب. ولم تستعبد الفاشية الحبشة وحسب ، بل وانقضت على اسبانيا . وسمحوا للفاشية الالمانية بعسكرة منطقة الراين دونما عراقيل . فوطدت مواقعها هناك ثم تحولت الى اسبانيا . وبعدها ابتلعت النمسا وسحقت تشيكوسلوفاكيا . واتاحوا الفرصة لقطاع الطرق اليابانيين كيما يسيطرون على منشوريا واقاليم الصين الشمالية . فازدادت الطغمة العسكرية اليابانية صلفا وشنت حربا للسيطرة على الصين باسرها. ولقد تراجعت بلدان « الديموقراطية الغربية العظمى » خطوة فخطوة امام الغزاة الفاشست . فوطد الغزاة الفاشست مواقعهم خطوة فخطوة ، وضاعفوا عدوانهم ، واقترفوا فظائع جديدة ، وفي الوقت ذاته شددوا ، مستفيدين من ذلك كله ، الخناق على شعوبهم ذاتها .

ومع ذلك كان لدى حكومات بلدان الديموقراطية البورجوازية ما يكفي من الوسائل لقطع الطريق على الحرب . وكان بوسعها ان تلجم المعتدين الفاشست بالاعمال الموحدة للدول المنتمية الى عصبة الامم ، والتي تهمها صيانة السلم . وكان بوسعها ان تفعل ذلك بمقتضى البند ١٦ من ميثاق عصبة الامم ، الذي ينص على الاعمال الجماعية ضد منتهكي السلم . وكان بوسعها ان تفعل ذلك ، بتنفيذ العقوبات الاقتصادية ، التي كانت لا بد ان تجبر حكومات المانيا وايطاليا واليابان ، التي لا تمتلك ما يكفي من الخامات والموارد المالية ، على التراجع امام عزيمة من تهمهم صيانة السلام .

وكان من شأن هذه النشاطات الهادفة لصيانة السلم ان تجد مساندة حماسية من جميع الشعوب ، التي لا تريد عبودية الفاشية ولا أهوال الحرب . وكان من شأن هذه النشاطات ان تجد الاستحسان لدى الجماهير الشعبية في البلدان الفاشية نفسها ، التي تئن تحت وطأة البربرية الفاشية . وان حركة جبارة للشعوب ستكون انجع وسيلة ضد مؤججي نار الحرب .

لكن الحكومات البورجوازية لم تطبق عمليا نظام الامن الجماعي . ولم تفعل ذلك ، لانها لا تريده . فهي لم تشأ تحقيق ذلك ، لان سياستها تحدد من قبل الدوائر الامبريالية الرجعية. وبدافع الخوف من تعاظم الحركة العمالية في اوروبا، وحركة التحرر الوطني في آسيا ، وبدافع الكراهية ازاء بلد الاشتراكية ، خنقت الفاشية البلدان والشعوب الاخرى ، واضرت بمصالح شعوبها ايضا . وفي سبيل مصالحها الامبريالية الطبقية الضيقة تلقي بين براثن الفاشية بالشعوب الصغيرة ، مشجعة بذلك الحكومات الفاشية على التمادي في العدوان . وقد ساندت الفاشية الالمانية ، لانها وجدت في شخصها دركيا اوروبيا ، لخنق كل حركة ديموقراطية

للشعوب .

ان الزعماء المتغطرسين لهذه الدوائر الامبريالية ، لم يفرطوا في سعيهم للتواطؤ مع الفاشية الالمانية ، بهيبة «الدول العظمى» التي يمثلونها ، وحسب ، بل وتجرعوا اهانات شخصية من جانب الطغاة الفاشست ، حتى لكأنهم باتوا يتكلمون باسم بلدان مغلوبة في الحرب . وعبثا ستذهب الان كل الجهود لاخفاء مسؤوليتهم الفظيعة امام الشعوب ، بمداورات كاذبة ، زاعمين بأنهم قد انقذوا ، بخنوعهم امام المغتصبين الفاشست ، قضية السلم ، وانتشلوا اوروبا والانسانية من اهوال الحرب .

— ٢ —

لم ينهج سياسة حازمة للسلم ، في كل مراحل العدوانات الفاشية واشعال لهيب الحرب الامبريالية ، سوى الاتحاد السوفييتي العظيم . ولو قبلت الدول الاخرى مقترحات الحكومة السوفييتية بشأن المقاومة الجماعية للمعتدي ، لامكن الحفاظ على السلم . ولما القي بملايين الناس كما يفعل الفاشست الان ، في الدوامة الدموية للحرب الطاحنة .

ففي اثناء الهجوم على الحبشة ، طبق الاتحاد السوفييتي بحق ايطاليا الفاشية بحزم وخلافا لبقية البلدان ، العقوبات الاقتصادية التي نصت عليها عصبة الامم . ومنذ بداية التدخل العسكري في اسبانيا ، نادى الاتحاد السوفييتي بتدابير جماعية حازمة من قبل جميع البلدان المنتمية الى عصبة الامم ، ضد الغزاة الالمان والايطاليين . وقد ندد الاتحاد السوفييتي غير مرة ، بسياسة ما يسمى بعدم التدخل ، التي فرضت في الواقع حصارا على الجمهورية الاسبانية وسمحت للمتدخلين بانزال جيوشهم واسلحتهم لابادة الشعب الاسباني . وعندما بدأ القراصنة الايطاليون باغراق البواخر التجارية في البحر الابيض المتوسط ، طالبت الحكومة السوفييتية مطالبة حازمة بقطع دابر القرصنة البحرية وحققت ابرام اتفاقية «نيون» المعروفة ، الرامية الى حماية الملاحة التجارية السلمية . وقد دافع الاتحاد السوفييتي وحده دفاعا مطلقا عن قضية الشعب الاسباني العادلة ، في اجتماعات عصبة الامم وهيئاتها ، وفي لجنة «عدم التدخل» وفي كل مكان .

وفي مؤتمر بروكسل الذي انعقد بصدد هجوم الطغمة العسكرية اليابانية على الصين ، طالب الاتحاد السوفييتي بانتهاج سياسة المقاومة الجماعية للغزاة اليابانيين . وان الشعب الصيني ليدرك بان له في شخص الشعب السوفييتي صديقا صدوقا ، ومدافعا امينا عن سيادة الصين واستقلالها وحرمة اراضيها .

وعندما جردت الفاشية الالمانية جيوشها ضد النمسا ، اقترح الاتحاد السوفييتي على حكومات الدول الاخرى ، اتخاذ تدابير مشتركة ضد هذا الاستهتار الفاشي .

ويعرف الجميع الموقف ، الذي اتخذه الاتحاد السوفييتي عندما طعنت الفاشية الالمانية تشيكوسلوفاكيا ، وعندما انقض الصقور البولونيون والمجريون لتمزيق اوصال الشعب التشيكوسلوفاكي . وقد برهن الاتحاد السوفييتي امام العالم كله ، بموجب المعاهدة المبرمة مع تشيكوسلوفاكيا ، على انه مستعد للنضال دفاعا عن تشيكوسلوفاكيا ، وأن ينفذ التزاماته المنصوص عليها في هذه المعاهدة. وقد حذّرت الحكومة السوفييتية بولونيا كذلك ، من ان هجومها على تشيكوسلوفاكيا سيؤدي تلقائيا الى تمزيق معاهدةعدم الاعتداء بين بولونيا والاتحاد السوفييتي .

وان العالم كله يعلم كيف رد الاتحاد السوفييتي على هجوم الطغمة اليابانية على الاراضي السوفييتية عند جزيرة «هاسان» . فقد دلل الجيش السوفييتي بضربته الخاطفة القاصمة للاستفزازيين اليابانيين ، كيف ينبغي الذود عن قضية السلم بالقبضة المسلحة .

ان الاتحاد السوفييتي ينتهج سياسته لمصلحة الدفاع الفعلي عن السلم العام ، ولمصلحة كادحي العالم كله . وتستجيب سياسته السلمية لمطامح جميع الشعوب . والاتحاد السوفييتي هو السند الجبار للنضال ضد حروب الفتح ، والمدافع الامين عن الشعوب الصغيرة والبلدان المستضعفة ضد العدوان الفاشي والاستعباد الامبريالي . ويستند الاتحاد السوفييتي في نضاله من اجل السلم الى جبروت الاشتراكية الظافرة . فان كل مصنع اشتراكي جديد ، يعني ضربة جديدة تسدد الى قوى الرجعية السوداء . وان كل نجاح لبلد السوفييتات يعزز قوى الكادحين في العالم كله . ولقد وضعت الثقافة والعلم في الاتحاد السوفييتي لخدمة البشرية جمعاء . وان بلد الاشتراكية لدعامة ثابتة لنضال الكادحين التحرري في العالم كله ، وأهم عامل لرصّ صفوف الطبقة العاملة العالمية والجبهة الشعبية المعادية للفاشية . كما ان وحدة الشعب السوفييتي الروحية والمادية ، تزيد من القوة الحيوية العظمى للتضامن العالمي بين الكادحين .

ان الشعب السوفييتي هو وحده الذي ينظر باطمئنان الى المستقبل ، وسط الفوضى الشاملة ، والقلق وعدم الثقة بيوم الغد السائدة في ارجاء العالم الراسمالي . وينجز الاتحاد السوفييتي بثقة وعزم بناء المجتمع الاشتراكي ، ويسير قدما نحو الشيوعية . ويحمل كل يوم الى كادحي البلدان الراسمالية ، براهين جديدة على صواب الطريق الذي يسلكه الشعب السوفييتي العظيم تحت راية الماركسية اللينينية . وان كل النضال الجبار الذي يخوضه حزب لينين وستالين من اجل الاشتراكية ، واشاعة الجماعية في الاقتصاد الزراعي ، والنضال ضد شراذم الاعداء ، ولاستئصال العمالة التروتسكية البوخارينية للفاشية في الاتحاد السوفييتي ، يصبح في وعي الطبقة العاملة العالمية جزء لا يتجزأ من قضيتها الخاصة .

وان البشرية الكادحة كلها لها مصلحة حيوية في رسوخ الاتحاد السوفييتي

بصورة شاملة ، وفي تعزيز العلاقات بين الاتحاد السوفييتي العظيم والطبقة العاملة والشعوب في البلدان الرأسمالية . وهنا تكمن اهم ضمانة للنضال الناجح ضد العدوان الفاشي ومن اجل السلم العام .

- ٣ -

وانه لضلال مبين للجماهير الكادحة والشعوب في اللحظة الراهنة ، ان تصدق الاسطورة الكاذبة الممالئة للفاشية ، القائلة بان السلم قد ضمن بثمن التمزيق الوحشي لتشيكوسلوفاكيا ، وان الفاشية الالمانية قد انتهت بهذا العمل الاجرامي من تنفيذ برنامجها العدواني في اوروبا ، وصار بوسع الشعوب ان تنام الان قريرة العين ، دون ان تكدر صفوها المخاوف المرهقة من هجومات فاشية جديدة تهدد مصيرها واستقلالها . فلا يروج مثل هذه الاسطورة سوى الشركاء في الجرائم الفاشية ، ومضللي الشعوب ، أو الحمقى الذين لا يرجى شفاؤهم . ولن ينكر اي انسان سليم التفكير ، ان وقاحة المعتدين الفاشست ازدادت اضعافا بعد مؤامرة ميونيخ . وليس بالامكان ان يكون الامر خلافا لذلك . أفلم تحصل الفاشية الالمانية من ايدي الرجعية البورجوازية الانكليزية والفرنسية ، على مواقع عسكرية ستراتيجية واقتصادية ملائمة جدا لتوسيع الحرب الامبريالية باطراد .

علينا ان نفهم بوضوح ، ان المسألة قد خرجت عن نطاق التعديل الاعتباطي لمعاهدة فارساي من جانب الدول الفاشية . فان الامر يتعلق باقتسام جديد للعالم . وهو لا يتعلق بمجرد اعادة توزيع الممتلكات الكولونيالية القائية . فان الفاشية تضع في جدول الاعمال مسألة اقتسام اوروبا نفسها ، واستعمار عدة دول اوروبية ، ونهب عدة شعوب اوروبية نهبا امبرياليا .

وان الكواسر الفاشيين لا يرون ان من الضروري اخفاء مسلك اطماعهم التوسعية . فان الخارطة التي وزعها الفاشست عقب احتلال منطقة السوديت ، تدل بوضوح على مخططات الفاشية الالمانية . وقد اتضح من المدد المحددة في هذه الخارطة ، ان من الضروري ان يحسم مصير النمسا في ربيع عام ١٩٣٨ ، ومصير تشيكوسلوفاكيا في خريف عام ١٩٣٨ ، وينبغي ان تسدد الضربة في ربيع عام ١٩٣٩ الى المجر ، وستكون بولونيا هدفا للغزو في خريف عام ١٩٣٩ ، وتعد العدة لتسديد الضربة الى يوغوسلافيا في ربيع عام ١٩٤٠ ، والى رومانيا وبلغاريا في خريف عام ١٩٤٠ . وفي ربيع عام ١٩٤١ ستكون فرنسا وبلجيكا وهولندا والدانمارك وسويسرا هدفا للهجوم الفاشي . اما في خريف عام ١٩٤١ فان المانيا الفاشية تخطط للزحف على الاتحاد السوفييتي .

ونتعرف في هذه الخارطة بعدئذ ، على ان الفاشية الالمانية ستتخلى لايطاليا الفاشية «بسخاء» عن جزء من اسبانيا ، وعن المناطق الجنوبية في فرنسا ، وعن اليونان ، وجزء كبير من تركيا وسوريا وفلسطين وشمال افريقيا .

ومن الطبيعي اننا نجد هنا بلا شك ، غير قليل من ثمار الخيال الفاشي الجامح . ولكن حسبنا ان نرى النشاط الهدام للفاشية الالمانية والايطالية في المستعمرات الانكليزية والفرنسية ، وكذلك في اوروبا وفي بقاع العالم الاخرى ، لنقتنع بان الفاشست يعملون لتحقيق هذه المخططات فعلا . فان الفاشية الالمانية تغرق بعملائها الالزاس واللورين . ويبذل الفاشست الالمان على الحدود جبال البيرنه الفرنسية جهودا كبيرة لايجاد نقاط انطلاق لتسديد ضربتهم الى فرنسا . ويسعر العملاء الفاشست الحركات الانفصالية في اوساط السلافيين والاوكرانيين في تشيكوسلوفاكيا، ويقومون بعمل تخريبي فييوغوسلافيا ورومانيا وفي بلدان البلقان . وهم يعدون الضربة التالية ضد «لتوانيا» ودول البلطيق الاخرى. كما ان دسائس الفاشية الالمانية في البلدان الاسكندنافية وبقية البلدان، والانقلابات الاستفزازية في بلدان اميركا اللاتينية ، والنشاط الواسع في الولايات المتحدة ... ان هذا كله ليس سوى حلقات من سلسلة الزحف الفاشي الكاملة. ان الفاشست البولونيين المنقضين كالعقبان على تشيكوسلوفاكيا المعذبة والذين يشحذون انيابهم ضد «لتوانيا» ، يعرضون بسياستهم التوسعية استقلال بولونيا لضربات الفاشية الالمانية النهمة .

غير ان الغزاة الفاشست يعملون حساباتهم بغياب صاحب المال كما يقال . فان الشعوب ما زالت لم تقل كلمتها الحاسمة بعد . وبوسع الفاشست ان ينهبوا ويطغوا على غرار قطاع الطرق في القرون الوسطى ، ما داموا لم يواجهوا بعد سيد الدار الحقيقي . وهذا السيد هو الشعوب والطبقة العاملة في المقام الاول . ففي اللحظة التي تسدد فيها الضربة الى قطاع الطريق ، بعد تجميع قواها، سيرى العالم كل خواء هؤلاء «المحاربين الآريين الشجعان» وكل عجرفتهم وتبجحهم ، في تهديد الصعاليك الجبناء في بلدان الديموقراطية البورجوازية .

ان الحقد على مشعلي الحرب لم يكن ابدا ، منذ انتهاء الحرب الامبريالية العالمية ، بمثل ما هو عليه الان من القوة والعمق . وترتفع في كل البلدان موجة الاستياء من الجرائم الفاشية . وقد وجدت حركة المقاومة ضد المعتدين الفاشست تعبيرا رائعا خلال هذه الايام ، عندما مزق المتآمرون في ميونيخ اوصال جمهورية تشيكوسلوفاكيا الديموقراطية ، المتمدنة ، وقدموها ضحية للفاشية . فقد جرت في انكلترا طيلة ايام عديدة احتشادات غفيرة، طولب فيها بحماية تشيكوسلوفاكيا. ورفع العديد من النقابات والمنظمات الاجتماعية الكبيرة ، ومن ممثلي المثقفين ، وأبرز الشخصيات الاجتماعية ، طلبا بتنظيم المقاومة الجماعية ضد العصابات الفاشية . وقد طالبوا بتوحيد قوى انكلترا وفرنسا والاتحاد السوفييتي ، لنجدة تشيكوسلوفاكيا . ونشرت اوسع الصحف الانكليزية نفوذا عشرات ومئات الرسائل من قرائها، الذين يحتجون على خيانة البورجوازية الانكليزيةحيال تشيكوسلوفاكيا. وقد انهارت على هيئات تحرير الصحف آلاف من هذه الاحتجاجات . وتوجهت اللجنة الوطنية للحزب التعاوني باسم خمسة ملايين من اعضائها ، الى الحكومة

الانكليزية بطلب انعقاد البرلمان ليعلن دفاعه عن تشيكوسلوفاكيا . وبعد عودة وفد «المجلس الوطني البريطاني للعمل» من باريس ، حيث نظم اجتماع مع قيادة النقابات الفرنسية ، نظمت في انكلترا كلها آلاف الاجتماعات الجماهيرية ، الموجهة ضد سياسة المحاباة والتراجع امام الفاشية الالمانية ، وتتعاظم حركة الاحتجاج كل يوم .

وبلغت حركة مساندة تشيكوسلوفاكيا ابعادا كبيرة ، في الولايات المتحدة الاميركية ، بالرغم من مقاومة الاوساط الممالئة للفاشية ، المنادية بسياسة ما تسمى بالعزلة . وقد بعث ممثلو ٢١ منظمة قومية (للتشيكيين والسلوفاكيين، والصربيين، والرومانيين وغيرهم) برسالة الى الرئيس الاميركي ، يطالبون بتنفيذ حلف «كيلوغ» وباستعادة نظام الامن الجماعي للدفاع عن تشيكوسلوفاكيا . وتوجه بمثل هذه الطلبات ممثلو المنظمات الاجتماعية والنقابية وغيرها ، وعدد كبير من ابرز رجالات العلم والثقافة . وشكلت في عدة مدن لجان «لانقاذ تشيكوسلوفاكيا» . واجتذبت الاحتشادات المنظمة للاحتجاج على هجوم المانيا الفاشية الجديد ، اعدادا هائلة من الناس . كما جرت في اكبر مراكز البلاد (شيكاغو) مظاهرات مهيبة تعد بمئات الالوف .

واجتاحت فرنسا كلها موجة من الاحتشادات والاجتماعات والمظاهرات ضد اتفاقية ميونيخ . ولم تعلن النقابات والمنظمات الاجتماعية وحدها عن ضرورة مد يد المساعدة الى تشيكوسلوفاكيا ، بل والدوائر العسكرية القيادية كذلك .

وحتى في بلدان مثل يوغوسلافيا وبلغاريا وبولونيا ، حيث تقوم نظم فاشية، رجعية، وجدت الجماهير الشعبية طريقا للتعبير عن عواطفها ازاء تشيكوسلوفاكيا، وللمناداة بحمايتها من الهجوم الالماني . ومن استراليا النائية توجه ممثلو النقابات الى الشعب التشيكوسلوفاكي بنداء يعدونه فيه بمساندته في حالة قيام حرب مع المانيا .

وتسلمت السفارات التشيكوسلوفاكية في العديد من بلدان العالم كميات هائلة من الرسائل تعبيرا عن هذه المشاعر . واعرب آلاف الناس عن استعدادهم للتطوع في صفوف الجيش التشيكوسلوفاكي .

وعلى وجه العموم ، لا يمكن ان توجد بقعة متمدنة في العالم ، لم يرتفع فيها الاستياء العادل لدى الفئات التقدمية من السكان ، ضد متآمري ميونيخ .

وقد بلغت الحركة الاجتماعية مقاييس كبيرة جدا بعد اتفاقية ميونيخ . فان الجماهير ما برحت تدرك المغزى الحقيقي لسياسة الزمر الحاكمة ، الهادفة الى القيام بتنازلات امام الفاشية . اما ستار الدخان الذي اسدلته الدوائر الممالئة للفاشية ، وممثلوها في الاوساط الحاكمة ، بمشاركة العديد من زعماء الاممية الثانية واممية امستردام لاقناع الجماهير بأن «ميونيخ» كانت كسبا للسلم ، فقد بدأ يتبدد بسرعة .

ولم يعد يصعب على احد الان ان يتصور القوة الهائلة التي كانت ستنمو عن

هذه الحركات ، لو ان الطبقة العاملة ، في اهم البلدان ولاسيما فرنسا وانكلترا والولايات المتحدة الاميركية ، ولو ان منظمات البروليتاريا العالمية قد تصدت بحزم وبصفوف متراصة لاتفاقية ميونيخ اللصوصية . لقد كان بوسع هذه القوة الا تسمح باتفاقية ميونيخ ، وان تحول دون اقتراف هذه الجريمة الشنعاء بحق تشيكوسلوفاكيا ، وان تنزل الهزيمة بقطاع الطريق الفاشست السادرين .

- ٤ -

اذا ما حللنا بعمق واهتمام ، ما جرى بعد ميونيخ ، يمكننا ان نلاحظ اتجاهين اساسيين في التطور السياسي على النطاق الدولي .

اولا : التمادي في سياسة التآمر الميونيخية ، سياسة التواطؤ بين الفاشية الالمانية والايطالية ، من جهة ، وبين الزمرتين الامبرياليتين في انكلترا وفرنسا ، من جهة ثانية . ذلك التواطؤ الموجه ضد المصالح الحيوية لشعوبهم بالذات وضد الامم والبلدان الضعيفة ، وضد الحركة العمالية العالمية ، ضد الديموقراطية والسلم ، وضد بلد الاشتراكية العظيم .

ثانيا ، اتساع حركة الجبهة الموحدة للطبقة العاملة ، الجبهة الموحدة للشعوب ضد التواطؤ الاجرامي ، ضد العدوان الفاشي ، وللدفاع عن السلم العام .

ويؤدي الاتجاه الاول الى اقتسام واستعباد اسبانيا والصين ، والى استعباد الشعوب الاخرى ، واحكام النير الكولونيالي والى تصعيد الحرب الامبريالية باضطراد .

اما الاتجاه الثاني فيؤدي الى انتصار الشعبين الاسباني والصيني على الغزاة الفاشست ، والى تعزيز حرية واستقلال الشعوب الصغيرة ، والى كبح جماح المعتدين الفاشست وضمان السلم العام .

ولا ريب في ان مصالح الطبقة العاملة وشعوب جميع البلدان تتجاوب مع الاتجاه الثاني بالذات . لكن من الضروري لانتصاره ان تلجم الرجعية الداخلية في بلدان الديموقراطية البورجوازية ، ومن الضروري القضاء على سياسة الاستسلام امام المعتدين الفاشست ، وقيام حكومات تستند الى الجماهير الشعبية ، وتراعي مصالحها ومشيئتها ، حكومات مستعدة للنضال ضد العدو الفاشي الخارجي .

غير ان الدوائر الحاكمة في انكلترا وفرنسا تسعى بكل قواها لعرقلة ذلك. فهي تدرك حق الادراك ، ان خيانتها لتشيكوسلوفاكيا ، وتماديها في التواطؤ مع الفاشية ، من جهة ، واشتداد ساعد الرجعية الداخلية ، هما وجهان لعملة واحدة .

ولكي تستطيع الدوائر الحاكمة في انكلترا وفرنسا تحقيق سياسة التواطؤ الميونيخية مع الفاشية ، عليها ان تشد وثاق الطبقة العاملة في بلديها . وقد باشرت فعلا في الحملة ضد الحريات الديموقراطية ، ضد الطبقة العاملة

ومنظماتها .

وقد اظهر مؤتمر الراديكاليين في فرنسا بوضوح تام كيف يستعد الشركاء الفرنسيون للمعتدين الفاشست لتحقيق الزحف المدبر في ميونيخ ضد السلم ، ضد مصالح البروليتاريا وجميع الكادحين . فان الحملة على المكتسبات الاجتماعية التي حققها الكادحون عن طريق الجبهة الشعبية ، والمراسيم المالية الجديدة التي تلقي بأعباء هائلة على كاهل الجماهير الكادحة ، والمكائد ضد الجبهة الشعبية ، ومخططات اعتراف «فرانكو» واتفاقها مع ايطاليا الفاشية ، وتشجيع انتهاجات العصابات الفاشية التابعة «لدوريو» و«دي روك» ، وانطلاق الحملة المعادية للشيوعية ــ ان هذه كلها حلقات من سلسلة واحدة بعينها . فان الدوائر البورجوازية الحاكمة في فرنسا تدوس بأقصى الاستهتار مصالح الشعب الفرنسي الوطنية ، التي تستعد عدوته اللدود ــ الفاشية الالمانية لتسديد الضربة اليها .

اما في انكلترا فان شركاء الفاشية الالمانية يبحثون عن طريق لخنق صوت الصحافة المعارضة والانتقاد ، بغية احباط عملية تمركز القوى الديموقراطية ، واجهاض مد الحركة العمالية . وهم يشددون استغلال الطبقة العاملة بذريعة العمل من اجل «الدفاع الوطني» . وقد استحسنوا احتلال الحبشة من قبل الفاشية الايطالية . وفي الوقت الذي يتم فيه نقل المزيد والمزيد من الجيوش والمعدات للغزاة في اسبانيا ، يزعم هؤلاء بصفاقة لا تجاريها صفاقة ، وبالرغم من الحقيقة الجلية ، بان الفاشية الايطالية تسحب «متطوعيها» . وهم لا يحركون ساكنا ضد اغراق البواخر الانكليزية من قبل المتدخلين الفاشست . وهم يعدّون عبودية جديدة للشعب الاسباني بواسطة اتفاق اجرامي مع هتلر وموسوليني . ويشجعون بكل الوسائل القوى الرجعية في البلدان الاخرى ، مضعضعين عن قصد القدرة الدفاعية لشعوب هذه البلدان ضد العدوان الفاشي .

وان اهم عبرة من الاحداث الاخيرة تتلخص بالذات في ان من غير الممكن كبح جماح المجرمين الفاشست الفالتين من عقالهم ، ومن غير الممكن شن النضال الناجح للذود عن حرية واستقلال الشعوب وصيانة السلم العالمي ، ما لم تلجم الزمر الامبريالية والرجعية والاستسلاميين في البلدان المعنية .

وليس من الممكن تحقيق السلم العام ، والدفاع عن الشعوب ضد العدوان الفاشي المسلح ، بالتصريحات المسالمة والتنديدات الكلامية . فان من الضروري شن نضال فعال ، وخوض مقاومة حازمة . ولا بد من مجابهة الفاشية المداهمة بقبضة الشعوب الحديدية .

ان الطبقة العاملة وطليعتها الشيوعية هي اشد انصار السلم والذائدين عنه، حزما وثباتا . لكن هذا لا يعني قطعا ، ان الطبقة العاملة تناضل في سبيل سلم، يشترى بكل ثمن ، وانها تقر تسليم شعبها وبلادها الى ايدي الكواسر الفاشيين «لمصلحة السلم» . فمن يريد احلال سلم فعلي وطيد ، فعلية ان يناضل بكل

الوسائل والطاقات الممكنة ضد الغزاة الفاشست . وعليه ان يناضل بحزم ضد سياسة التواطؤ مع المعتدين الفاشست ، وان ينبذ الاستسلاميين ، الذين يخدعون الشعب بمواعظهم المسالمة الكاذبة .

وعلى ضوء الوضع الدولي الناشيء بعد ميونيخ ، تنهض امام الطبقة العاملة وكادحي جميع البلدان مهام سياسية بالغة الاهمية .

ويمكن تلخيص هذه المهام بما يلي :

احباط سياسة التواطؤ الاجرامي بين المعتدين الفاشست والزمرتين الاستعماريتين في انكلترا وفرنسا .

توجيه المقاومة في بلدان الديموقراطية البورجوازية الى الرجعية التي ترفع راسها ضد مكتسبات الكادحين الاجتماعية ، ضد الحريات الديموقراطية ، وضد الحركة العمالية .

ضمان انتصار الشعبين الاسباني والصيني على الوحوش الفاشست ؛

تقديم المساعدات الشاملة الى الطبقة العاملة وشعوب البلدان الفاشية في نضالها ضد دكتاتورية المعتدين الفاشست ومشعلي الحرب .

وكل هذه المهام تترابط فيما بينها بلا انفصام . غير ان المسألة الاسبانية تكتسب اهمية طليعية بوجه خاص . فلا ينبغي في اية حال السماح بميونيخ ثانية . ولا ينبغي السماح بتطبيق اسلوب ميونيخ الغادر حيال الشعب الاسباني.

وتتوفر كل القوى اللازمة لحل هذه المهام ، ولم يبق الا ان يزج بهذه القوى في ميدان العمل .

ومن الصعب ان نجد في التاريخ السياسي لما بعد الحرب ، لحظة مناسبة كاللحظة الراهنة . تتفق فيها مصالح الطبقة العاملة ، والبورجوازية الصغيرة والمثقفين ، ومصالح الشعوب الصغيرة ، والبلدان التابعة والمستعمرة ، وتتفق فيها مصالح الثقافة والعلم ، ومصالح السلم والديموقراطية ، توافقا تسير وفقه في تيار واحد ضد الفاشية التي هي الد اعداء البشرية . وتلك قاعدة واقعية تماما لقيام جبهة الطبقة العاملة الموحدة وجبهة شعوب جميع البلدان ضد البربرية الفاشية وضد مشعلي الحروب الامبريالية .

— ٥ —

ان البروليتاريا العالمية هي التي تضطلع بالدور الحاسم لخلق جبهة موحدة جبارة ضد العدوان الفاشي .

ان الطبقة العاملة هي الطبقة الاكثر تقدمية والقوة العظمى في المجتمع المعاصر . وقد احرزت فصيلتها الطليعية النصر في سدس الكرة الارضية ، على القوى السوداء للقيصرية والراسمالية ، وبنت مجتمعا اشتراكيا جديدا . والطبقة العاملة العالمية لها مصلحة حيوية في كسر اغلال الاستثمار والعبودية الراسمالية

في العالم كله . وهي العدو اللدود للفاشية ولكل رجعية ، والمناضل الاكثر حزما وثباتا ضد اضطهاد الشعوب واستعبادها ، ضد كل حروب الفتح .

وتمثل الطبقة العاملة العمود الفقري لشعبها وهي خير سند للحرية والاستقلال ، بفضل دورها الحاسم في الحياة الانتاجية للبلاد .

والطبقة العاملة هي الطبقة الوحيدة في المجتمع المعاصر ، المتسلحة بالعلم الاكثر تقدمية ، بالماركسية اللينينية ، بتعاليم ماركس ـ انجلز العظمى ، التي تنير طريق النضال ضد قوى الفاشية والحرب ، ضد البربرية الفاشية والعبودية الراسمالية .

ان هذا يضع المسؤولية التاريخية على عاتق الطبقة العاملة . ولكي تؤدي دورها كمبادرة ومنظمة وقائدة للجبهة الموحدة بين جميع القوى المعادية للفاشية، يتعين عليها ان تدرك قوتها الخاصة ، وان تجيد استخدام هذه القوة الهائلة لرص صفوف الجماهير الكادحة ، وتكتسب اهمية خارقة في هذا الصدد توجيهات لينين العظيم القائلة بان على الطبقة العاملة ان توطد ، قبل كل شيء ، ايمانها بقواها الخاصة ، وان تحطم الوهم المشؤوم الزاعم بان الشعوب لا بد لها من قيادة البورجوازية ، وانها عاجزة بدون ذلك عن تقرير مصيرها . وعلى الطبقة العاملة ان تكون على ادراك عميق لضرورة ان تتزعم بحزم الحركة الشعبية ضد الفاشية .

ان الخيانة حيال تشيكوسلوفاكيا ومؤامرة ميونيخ يدلان مرة اخرى وبكل بلاغة ، على ان الطبقة العاملة لا يسعها ان تترك مسائل السياسة الخارجية والدفاع عن البلاد ، لمشيئة الزمر الامبريالية وطواغيت المال والحكومات البورجوازية . وان الحياة تفرض على الطبقة العاملة مهمة ان تضطلع بنفسها بحل هذه المسألة . فان مسألة الحرب والسلم ، يجب ان تقررها الجماهير الشعبية ولاسيما الطبقة العاملة . لقد كانوا ينظرون الى الجماهير الشعبية كمجرد أداة بيد الطبقات السائدة . وكانوا يلفون بها في دوامة الحروب دفاعا عن مصالح البورجوازية الامبريالية . ويريد حكام البلدان الراسمالية الان من جديد ان يتصرفوا بها كما يشاؤون . غير ان الطبقة العاملة لها مصلحة حيوية في الا تترك تقرير مصيرها ، ومصير البلاد ، بأيدي الطبقات السائدة . وقد آن الاوان لان تدرك الجماهير الشعبية الواسعة ، بأن المجتمع الراسمالي المعاصر لا يحتوي على اية قوة ، ما عدا الطبقة العاملة ، قادرة على ان تضطلع بالدور القيادي ، دور المناضل الثابت المتفاني حتى النهاية في نضاله ضد الغزو الفاشي الاجنبي .

لقد كانت الطبقات الحاكمة وعلى راسها الفئات الامبريالية العليا وما تزال تنطلق من مصالحها الانانية الخاصة . وان التأريخ لحافل بعشرات الامثلة التي باعت فيها هذه الطبقات شعوبها وبلدانها للمستعبدين الاجانب ، بغية الحفاظ على وضعها المهيمن وامتيازاتها التملكية . ومؤامرة ميونيخ مثال واضح اخر في هذا الصدد .

اما الطبقة العاملة فليس لها ولا يمكن ان تكون لها مصالح غير مصالح الشعب في النضال ضد العدوان الفاشي . وذلك نابع من صميم وضع الطبقة العاملة في البلدان البورجوازية . فان كل ضربة تسدد الى البلاد ، والى الشعب من جانب قطاع الطرق الفاشست هي ضربة الى الجماهير الكادحة ، والى الطبقة العاملة . ومثال تشيكوسلوفاكيا مثال بليغ على ذلك. فان الفئات الاستسلامية للبورجوازية التشيكوسلوفاكية التي لعبت دورا لا يستهان به في ترك بلادها لقمة سائغة للفاشية الالمانية ، سرعان ما وجدت لغة مشتركة مع اعداء وطنها البرابرة . وقد انهالت ضربات الفاشية بكل ثقلها على الشعب ، على الكادحين وعلى الطبقة العاملة .

وعلينا ان نستخلص من ذلك كله العبر الضرورية في الوقت المناسب . ولن يألو الشيوعيون جهدا لكي يوضحوا للجماهير ولاسيما للطبقة العاملة ، دورها وواجباتها في النضال للدفاع عن بلادها من العدوان الفاشي .

لكن على الطبقة العاملة ، لكي ترص صفوف الحركة الشعبية المعادية للفاشية وتوطدها ان تحقق قبل كل شيء الوحدة في صفوفها الخاصة . وينبغي فضح اعداء وحدة الطبقة ، اعداء الجبهة الشعبية المعادية للفاشية مهما كانوا ، وبأي قناع تقنعوا ، وطردهم كأعوان للرجعية الداخلية وللمعتدين الفاشست .

وفي اللحظة العصيبة الراهنة ، لا ينبغي لنا ان نقتصر على مجرد التبشير بوحدة الطبقة العاملة . وينبغي ان تحقق الوحدة عمليا منذ الان ، بعد ازالة كل العقبات في طريقها . ولا ينبغي ان نوهم انفسنا بان وحدة الطبقة العاملة يمكن تحقيقها بدون النضال ضد خصومها في صفوف الحركة العمالية ذاتها ، ضد اعداء البلاد الاشتراكية ، ضد مطايا نفوذ البورجوازية على البروليتاريا ، وضد التروتسكيين وسائر عملاء الفاشية .

ويوجد في صفوف الاحزاب الاشتراكية والمنظمات النقابية غير قليل من الناس ، الذين يضبون لوحدة الطبقة العاملة ، والذين يشجبون سياسة التراجع امام المعتدين الفاشست ، وهم مستعدون للنضال ضدهم ، وفقا لما يقتضيه الدفاع عن مصالح الكادحين ومصالح الشعوب ، وعن الحرية والاستقلال المهددين من قبل الفاشية . غير ان هؤلاء المناضلين يعتقدون بان من غير الممكن ان يسيروا بمنظماتهم في طريق الجبهة الموحدة في طريق النضال ضد المعتدين الفاشست وعملائهم في نطاق بلدانهم الخاصة ، الا اذا سلك هذا الطريق اتباع «سيترين» و«سباك» وأمثالهم من الزعماء الذين يناهضون بعناد قضية الوحدة وسياسة النضال ضد العدوان الفاشي . ويعتقدون بانهم سيحملون هؤلاء الزعماء بالوعد او الوعيد على تغيير سياستهم . لكن ذلك وهم ، وهم خطر وضار . فان هؤلاء الزعماء الرجعيين قد ربطوا انفسهم بعجلة البورجوازية الامبريالية ربطا محكما ، لدرجة يعني معها انتظار قيام وحدة عمل الطبقة العاملة ضد الفاشية ، حتى يتفضلوا باعطاء قبولهم لذلك ، تفريطا بالوقت الثمين ، ويعني التضحية بمصالح الطبقة العاملة والديموقراطية والسلم . فان العدو لا ينتظر . وهو يستغل في كل

خطوة فقدان الوحدة في صفوف الطبقة العاملة العالمية .

اما الوضع الدولي بمجمله يفرض على الطبقة العاملة ، ان تجد بأسرع ما يمكن ورغم الخلافات القائمة في صفوفها في مضمار الايديولوجية وشتى التيارات الحزبية السياسية ، لغة مشتركة في النضال ضد الفاشية ، وان تنتهج سياسة دولية موحدة ، من شأنها ان تسد الطريق بوجه الغزاة الفاشيين ومشعلي الحرب، وتضمن قضية السلم بين الشعوب .

وسيكون تحقيق فكرة عقد مؤتمر عالمي دولي لممثلي المنظمات العمالية في جميع البلدان ، تلك الفكرة الرائجة في صفوف الحركة العمالية ، خطوة عملية ذات اهمية بالغة في هذا المجال . فان مثل هذا المؤتمر ضروري للدفاع عن اسبانيا والصين . وهو ضروري لصيانة المكتسبات الاجتماعية للطبقة العاملة والحريات الديموقراطية . انه ضروري لتوحيد كل قوى البروليتاريا العالمية ضد نهج ميونيخ الاجرامي . وسيكون بوسع المؤتمر العمالي الدولي ان يرسم تدابير ملموسة لكي لا تظل التصريحات بشأن نصرة الشعبين الاسباني والصيني مجرد تمنيات جوفاء، بل ان تحقق في الحياة فعلا. وسيكون بوسع ممثلي الجماهير البروليتاريةالواسعة ان تناقش بصورة مشتركة سبل تطبيق الحظر على البضائع المرسلة من قبل الفاشست ، قتلة النساء والاطفال في اسبانيا ، ومقاطعة بضائع المعتدين الفاشست ، وسبل تأمين المؤن الضرورية للشعب الاسباني ، واعادة الذهب العائد الى الحكومة الاسبانية الذي يحتجزه البنك الفرنسي ، واطلاق القروض الاسبانية المجمدة في مختلف البلدان ، وضمان حق الجمهورية الاسبانية لشراء كل ما يلزم لوجودها ، وسبل الحيلولة دون الاعتراف بحق جلاد الشعب الاسباني — فرانكو، كطرف محارب ، وبلوغ وقف التدخل في اسبانيا بصورة فعلية ، وسحب الجيوش الفاشية لكل من ايطاليا والمانيا ، التي تعيث فسادا هناك . وهكذا سينجح المؤتمر بتعبئة كل قوى ووسائل الطبقة العاملة والراي العام العالمي لضمان انتصار سريع لقضية الشعب الاسباني العادلة . واخيرا ، فان مثل هذا المؤتمر بوسعه ان يساعد على اقامة وحدة العمل المنشودة في صفوف الطبقة العاملة ذاتها ، وتقرير سياستها الدولية الصائبة الموحدة ، وان يكون بمثابة دفعة جبارة لتطور الجبهة الموحدة للبروليتاريا العالمية وللشعوب ضد الفاشية ، ضد توسيع الحرب الامبريالية الثانية .

ولندعهم يقولون ان عقد مؤتمر عمالي دولي امر غير ممكن . الواقع ان عملاء الفاشية ، وانصارها ، والعناصر المعادية للشيوعية واعداء وحدة الطبقة العاملة ، سيفعلون كل ما بوسعهم ، لاحباط مثل هذا المؤتمر . غير ان ملايين العمال المنظمين وكل المناضلين العماليين المخلصين لطبقتهم ولشعبهم ، الذين يدركون ضرورة رص صفوف القوى المعادية للفاشية ، سيؤيدون هذا المؤتمر بصرف النظر عن انتماءاتهم التنظيمية والحزبية .

ان الدكتاتوريين الفاشست وممثلي الزمر الامبريالية يتواطأون فيما بينهم

ضد مصالح الطبقة العاملة ، ضد مصالح الشعوب وقضية السلم العالمي . فلماذا يعجز ممثلو الاحزاب والمنظمات العمالية عن الاجتماع والاتفاق لمصلحة الطبقة العاملة ، لمصلحة الشعوب والسلم العام ؟ ولماذا لا تستطيع الحركة العمالية في كل البلدان ان توحد قواها ضد العدو المشترك لجميع الكادحين ، وللبشرية كلها، الفاشية ؟ ولماذا لا يستطيع ممثلو العمال المنظمين في انكلترا وفرنسا واسبانيا والصين واميركا والبلدان الاسكندنافية ان يجتمعوا سوية مع عمال الاتحاد السوفييتي في مؤتمر دولي ، ويمنحوا البروليتاري العالمي قوة فعلية ؟

ان هذه الاسئلة كلها تواجه ، الان بعد ميونيخ ، كل منظمة عمالية ، وكل عامل ، وكل مناضل في الحركة العمالية . وهي تجعلهم يفكرون بعمق ، اما الجواب الصائب الوحيد لهذه الإسئلة فيتلخص ، في رفض الحجج الواهية لمخربي وحدة العمل ، والسعي فعليا لتحقيق الجبهة العالمية للبروليتاريا وللشعوب ضد الفاشية .

ــ ٦ ــ

ولقد سعت الاممية الشيوعية ، انطلاقا من هذا الاعتقاد ، واستنادا الى مشيئة ملايين العمال المنظمين ، لان تستخدم حتى أقل الامكانيات ولم تفوت ولا فرصة مناسبة واحدة ، لتحقيق وحدة عمل الطبقة العاملة العالمية . وقد ينفع التذكير الان بأهم الخطوات الملموسة التي اتخذتها الاممية الشيوعية في هذا الاتجاه .

عندما جاء الفاشست الى السلطة في المانيا ، توجهت الاممية الشيوعية خلال شباط (فبراير) عام ١٩٣٣ الى الاممية الثانية باقتراح لوحدة العمل ضد الفاشية . وعندما هبت البروليتاريا الاسبانية عام ١٩٣٤ شاهرة السلاح بوجه الرجعية الملكية ــ الفاشية ، اقترحت الاممية الشيوعية في تشرين اول (اكتوبر) من نفس العام على الاممية الثانية القيام بحملة مشتركة لنجدة البروليتاريا الاسبانية .

وفي نيسان (ابريل) عام ١٩٣٥ اقترح الكومنترن تنظيم تظاهرة مشتركة في اول ايار (مايو) ضد الفاشية والحرب . وقد كتب آنذاك عن خطر اندلاع حرب امبريالية جديدة ، وعن ضرورة رص قوى البروليتاريا العالمية ضد مشعلي الحرب الالمان واليابانيين .

لقد اقترحت الاممية الشيوعية وشجعت ابرام اتفاقية بين الاحزاب الشيوعية والاشتراكية للنضال المشترك ضد العدو المشترك للطبقة العاملة في سائر البلدان الراسمالية . وها قد طرات في الآونة الاخيرة احداث ، تخطت الأطر الوطنية ، وهي تتطلب بقوة اعمالا دولية موحدة للعمال . وهذه الاحداث هي : اعلان التعبئة العامة من قبل الحكومة الهتلرية ، وتهديداتها الحربية ضد «لتوانيا»

وبقية دول البلطيق ، والنمسا والاتحاد السوفييتي على الاخص ، وتفاقم خطر اندلاع حرب امبريالية جديدة على يد المانيا الهتلرية وحلفائها ، اليابان العسكرية الفاشية ، وبولونيا الفاشية .

وعندما أحدق بالحبشة خطر مباشر لمهاجمتها من قبل ايطاليا الفاشية ، دعت الاممية الشيوعية في ٢٥ من ايلول (سبتمبر) عام ١٩٣٥ الى العمل سوية ضد هذا الهجوم .

وقد جاء في نداء اللجنة التنفيذية للكومنترن الى الاممية الثانية بهذا الصدد:

«ان المؤتمر السابع للاممية الشيوعية كلف اللجنة التنفيذية بأن تتوجه الى قيادة الاممية العمالية الاشتراكية باقتراح لتحقيق وحدة العمل للبروليتاريا العالمية . ومن المعلوم لدينا ان لجنتكم التنفيذية قد قررت دراسة مقررات المؤتمر السابع للكومنترن بامعان ، قبل الادلاء برايها في وحدة العمل ولكي نهيء لكم مثل هذه الامكانية ، اردنا في هذه الاثناء ان نتقدم بمقترحات ملموسة لبدء التفاوض حول هذه المسألة . غير ان توتر الوضع الدولي وخطر اندلاع حرب امبريالية بلغا حدا لا يجوز معه اضاعة ولو ساعة من الوقت» .

وعندما شبت الحرب ضد الحبشة ، اقترح الكومنترن على الاممية الثانية مجددا ، تنظيم اعمال موحدة للبروليتاريا العالمية ضد الحرب .

وبصدد العصيان الفاشي في اسبانيا ، توجهت الاممية الشيوعية خلال تشرين اول (اكتوبر) عام ١٩٣٦ باقتراح لاتخاذ التدابير السريعة للنضال المشترك لنصرة الشعب الاسباني . وبعد قصف «الميريا» الغادر من قبل البوارج الالمانية ، وعند اخذ التدخل الالماني والايطالي أبعاد واسعة ، كلفت اللجنة التنفيذية للكومنترن غير مرة ، ممثليها الرفيقين الفرنسيين «كاشان» و«توريز» ، للشروع بالتفاوض مع رئيس الاممية الثانية «دي بروكير» لغرض تشكيل لجنة دائمة وبذل الجهود المشتركة لتحقيق الجبهة الموحدة للطبقة العاملة العالمية . وفي ٣ حزيران (يونيو) عام ١٩٣٧ ، حددت الاممية الشيوعية ، استنادا الى طلب الحزب الاشتراكي والنقابات والحزب الشيوعي في اسبانيا ، اقتراحها على الاممية الثانية وعلى اممية امستردام لتنظيم الاعمال الموحدة بين منظمات البروليتاريا العالمية ضد العدوان الفاشي . وفي ٢٦ حزيران (يونيو) عام ١٩٣٧ ، وبعد سقوط «بيلباو» كررت الاممية الشيوعية اقتراحها .

وفي الاول من ايار (مايو) عام ١٩٣٨ اقترحت الاممية الشيوعية على الاممية الثانية من جديد تحقيق وحدة العمل في النضال ضد الفاشية .

وقبل ميونيخ بعدة اشهر ، وكذلك قبيل مؤامرة ميونيخ مباشرة ، توجه ممثلو الاممية الشيوعية الى رئيس الاممية الثانية ـ ديه بروكير ، باقتراح حول قيام وحدة العمل من اجل صد الضربة الفاشية ، المسددة الى تشيكوسلوفاكيا والى قضية السلم العام .

بيد ان هذه المقترحات رفضت جميعا . هكذا كانت تعمل قيادة الاممية

الثانية تحت ضغط الجناح الرجعي المعادي للشيوعية ، وتحت ضغط اعداء الجبهة الموحدة .

ولقد حيا المتدون الفاشست هذه السياسة بالطبع ، وما زالوا يحيونها بحرارة . فهي تعينهم في استعباد كادحي بلدانهم ، وفي الهجوم على الشعوب والبلدان الاخرى . وتحمل الينا احداث الحياة الدولية كل يوم المزيد والمزيد من الادلة على وبال سياسة الانشقاق في الحركة العمالية ، التي ما زال ينتهجها بعناد كثير من الزعماء الرجعيين في صفوف الاممية الثانية والاتحاد الدولي للنقابات .

ومن الخطأ القول ، ان الاممية الثانية واممية امستردام ، لم تعنيا رسميا بمسائل النضال ضد العدوان الفاشي ، ومسائل مساندة الجمهورية الاسبانية. فقد اتخذتا غير قليل من القرارات ، والقى مسؤولوهما خطبا ليست رديئة في هذا الصدد . لكن هوة سحيقة تفصل هذه الاقوال عن الافعال الحقيقية .

وهكذا مثلا اتخذ في المؤتمر المشترك للاممية الاشتراكية والاتحاد الدولي للنقابات ، يوم الرابع والعشرين من حزيران (يونيو) عام ١٩٣٧ القرار التالي :

«ينبغي ممارسة الضغط بكل الوسائل على حكومات الدول المنتمية الى عصبة الامم ، بغية مد يد المعونة الى الجمهورية الاسبانية من اجل استعادة استقلالها السياسي والاقليمي !

والمطالبة باستئناف حرية التجارة ، لكي يتسنى للحكومة الاسبانية ان تبتاع الاسلحة بحرية .

وفرض واجبات التضامن الواضحة حيال الجمهورية الاسبانية ، على جميع الاعضاء والمنظمات التابعة لكلتا المنظمتين الدوليتين» .

وخلال اذار (مارس) عام ١٩٣٨ اتخذ في الجلسة الموحدة للجنة التنفيذية للامميتين الاشتراكية والنقابية قرار اكثر حزما ، جاء فيه ان الامميتين :

« تطلبان من جميع فروعهما ان تعمل لتقديم المساعدات الفورية الفعالة للجمهورية الاسبانية ونضالها البطولي ضد العدوان الفاشي . وعليها ان تستعد لدعم الحكومتين الانكليزية والفرنسية في كل تدابيرهما ذات الطابع المعنوي والسياسي والمالي والاقتصادي والعسكري ، التي لا بد منها لوضع حد للعدوان الالماني الايطالي» .

هذه هي اقوال الاممية الثانية واممية امستردام. اما في التطبيق فانالقرار المتخذ في ذلك الاجتماع لعقد الاجتماعات والمظاهرات وغيرها من الاجراءات لتعبئة الجماهير والرأي العام دفاعا عن الشعب الاسباني ، فلم تحقق . اذ ان احزاب الاممية الثانية ومنظمات الاتحاد الدولي للنقابات لم تعبىء الجماهير ، لوضع القرارات المتخذة موضع التطبيق .

ان هذه القرارات تلزم جميع منظمات واعضاء الاحزاب الاشتراكية بتجسيدها في الحياة ، غير ان الحكومات التي يقودها الاشتراكيون ورجالات الاممية الثانية والوزراء الاشتراكيون يعملون في الواقع بما يتناقض مباشرة مع هذه القرارات .

وبينما اتخذت الاممية الثانية واممية امستردام قرارا يتعلق بضرورة فـرض العقوبات ذات الطابع الاقتصادي والسياسي والعسكري، نادى الوزراء الاشتراكيون باسم حكوماتهم في عصبة الامم بالغاء المادة «١٦» من ميثاق العصبة التي تنص على فرض هذه العقوبات . واستغل رئيس وزراء بلجيكا ، الاشتراكي «سباك» ، وجود قوانين مفرطة برجعيتها ، لملاحقة المتطوعين في الفرق الاممية ، ولطـرد اللاجئين الهاربين من الوباء الفاشي في المانيا والنمسا . وهو يخرب باصرار كل مساندة للشعب الاسباني ويناضل من اجل اعتراف بلجيكا بحكومة بورغـوس الفاشية ، ويتزلف بكل الوسائل للسفاكين الفاشست في برلين .

وكان الوزراء الاشتراكيون في حكومات البلدان الاسكندنافية ملزمين بتنفيذ قرارات امميتهم . ولم يكن ثمة من عائق لهذه في ان تبيع الشعب كل ما يحتاجه للدفاع عن نفسه ضد القاصفات الالمانية والايطالية ، ولانقاذ نساء واطفال اسبانيا من القنابل الفاشية المهلكة . غير ان هذه الحكومات التي يتراسها اشتراكيون ، لم تكتف بألا تفعل ذلك وحسب ، بل وجمدت قروض الجمهورية الاسبانية ، التي كان من الممكن بواسطتها انقاذ ملايين الاطفال الاسبان وامهاتهم .

اما في انكلترا ، فان العديد من قادة النقابات وحزب العمال ، الذين يلعبون دورا حاسما في تحديد سياستها ، يتيحون لحكومتهم امكانية تطبيق سياسـة خنق الجمهورية الاسبانية بحجة عدم التدخل ، وذلك خلافا للعواطف المتنامية التي يكنها العمال الانكليز للشعب الاسباني . ويواصل هؤلاء الزعماء العماليـون انفسهم ، الذين تغنوا بآراء «تشمبرلن» عندما طار شطـر «بيرخت ايسغادن» و«ميونيخ» التنكر لوحدة الطبقة العاملة العالمية واعمالها الموحدة للدفاع عـن الشعبين الاسباني والصيني .

كما ان الحزب الاشتراكي الفرنسي الذي كان من اهم احزاب الاممية الثانية وخاصة عندما كان ممثلوه يقفون على راس الحكومة الفرنسية ، فقد توفرت لديه امكانيات واسعة لتنفيذ قرار الاممية الثانية ، غير ان قيادة الحزب لم تستغل هذه الامكانيات .

ويمكننا ان نواصل وصف التناقض الصارخ بين اقوال وافعال الممثلـين المسؤولين للاممية الثانية ولاممية امستردام ، لكن يكفينا ما قلناه حتى الان .

على ان الحقائق تشهد مع ذلك ، بان فصائل الطبقة العاملة الغفيرة العدد تريد نضالا حازما وفعليا ضد الفاشية ، وتصبو حقا الى نصرة الشعبين الاسباني الصيني . وهي تدل زعماء منظماتها كيف ينبغي النضال ضد الفاشية ، وكيف ينبغي توحيد القوى في هذا النضال .

وان فرق المتطوعين الاممية في اسبانيا لمقال رائع وصفحة مجيدة في تاريخ النضال ضد الفاشية ، وفي تاريخ النضال من اجل وحدة الطبقة العاملة . وكانت فرق المتطوعين من الالمان والفرنسيين والانكليز والكنديين والاميركيين والايطاليين والبولونيين والبلقانيين من شعوب كثيرة اخرى ، التي كللت هاماتها بمجد مؤثل

في المعارك ضد الفاشية ، تتألف من الشيوعيين والاشتراكيين وغيرهم من اعداء الفاشية . ولم تكن انتماءاتهم الى مختلف الاحزاب السياسية حائلا دون امتشاق السلاح وخوض المعركة للدفاع عن قضية البشرية التقدمية الواعية جمعاء . ولقد ارادوا النضال حقا ضد الفاشية وهنا سر وحدتهم وسر نجاحهم. وقد بات واضحا للجميع ، ان من يريد خوض النضال عمليا ضد الفاشية ، لا يضع شروطا لا تنتهي، فيحبط بذلك وحدة عمل الطبقة العاملة .

ان ملايين العمال يساندون سياسة التأييد الفعال للجمهورية الاسبانية . وهم يشجبون سياسة «عدم التدخل» ويريدون تغييرها ، ويناضلون من اجل اعطاء الحكومة الاسبانية حق شراء السلاح ويطالبون بانسحاب المتدخلين . وهم يوفرون من لقمة العيش لاعانة الاطفال والنساء في اسبانيا . وتشهد الاموال الكثيرة التي جمعت ولا تزال في مختلف البلدان لاعانة الشعب الاسباني ، شهادة ابلغ من كل الكلمات على التضامن الاممي بين الكادحين .

وعندما رفض بحارة ثلاثة سفن سويدية نقل عتاد العصاة ، ورفض العمال من العديد من الموانيء شحن العتاد الحربي والبضائع للفاشست ، فقد ضربوا بذلك لقادة الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية والنقابات، المثل على السلوك الصحيح. ولا بد ان يكون بين هؤلاء البحارة ، اناس ينتمون الى مختلف الاحزاب السياسية ولهم مواقف مختلفة ازاء الكثير من الامور . غير انهم كانوا يريدون النضال فعلا ، وقد توحدوا على اساس الاعمال المشتركة ضد العصاة والمتدخلين الفاشست ، الذين يشيعون الموت والدمار في الارض الاسبانية .

وبوسعنا ان نورد غير قليل من هذه الامثلة . ولو نظمت هذا العمل ووجهته المنظمات العمالية المعنية ، لكانت هذه الامثلة اكثر بما لا يقاس . فان كل يوم يأتي بمزيد من الادلة الجديدة على الاستعداد المتعاظم لدى فصائل الطبقة العاملة، لاعتماد اساليب اكثر فعالية من اجل وضع حد لسياسة حكوماتها التي تساعد على خنق الشعوب الحرة وتشجع المعتدين الفاشست .

وما زالت حية في ذاكرة الملايين تجربة الكفاح ضد التدخل المعادي للثورة في الاتحاد السوفييتي خلال ١٩١٨ — ١٩٢٠ . آنذاك اجبرت الطبقة العاملة الحكومات البورجوازية على التراجع واضطرتها الى الكف عن ارسال الجيوش والعتاد الحربي وعن تقديم المساندة المكشوفة للحرس الابيض المعادي للثورة . وقد نجحت بروليتاريا الراسمالية بذلك ، بفضل اعمالها الموحدة الحازمة . فان رفض شحن وتسيير وسائط النقل التي تقل الجنود والعتاد ، واضرابات العمال في المؤسسات ، والاحتشادات والمظاهرات ، ورفض الجنود ومحاربة بلد السوفييتات ، وتمردات السفن وقوات الانزال ، ساعدت العمال والفلاحين في الاتحاد السوفييتي في دحر الغزاة نهائيا .

وتدل هذه التجربة التأريخية على مدى ما تتوفر لدى الطبقة العاملة من طاقات جبارة ، وكيف يمكنها ان تحطم التدخل الموجه ضد الشعب ، المكافح من

اجل الحرية والاستقلال .

واستنادا الى مجمل تجربة البروليتاريا العالمية ، وانطلاقا من المهام الخطيرة التي تواجههم ، سيخوض الشيوعيون ، سوية مع جميع انصار الجبهة الموحدة من قواعد الامية الثانية والامية النقابية ، نضالا اكثر اصرارا من اجل الوحدة الكفاحية لقوى البروليتاريا سواء في مختلف البلدان او على النطاق الدولي ، وسيخوضون النضال بلا هوادة من اجل الجبهة الشعبية المعادية للفاشية . ولن تفلح المقاومة العنيدة من جانب مخربي الوحدة بان توقف الشيوعيين وسائر انصار الجبهة الموحدة الاخرين عن اداء هذه المهمة التأريخية ، التي يتوقف على حلها نجاح النضال ضد الرجعية الفاشية داخل البلدان الرأسمالية وضد الهجوم الفاشي من الخارج .

ولا يمكن ان توجد عقبات لا يمكن تذليلها في طريق وحدة العمل التي لا مناص منها للحركة العمالية العالمية . ويكفي ان يكون لدى الطبقة العاملة وعي واضح لضرورة مثل هذه الوحدة ، وعزيمة راسخة لا تتزعزع لتحقيقها بالرغم من كل العقبات . فان المسألة كلها تتلخص في ان تحقق هذه الوحدة بالسرعة الممكنة وتؤمن لها قاعدة متينة . آنذاك سيجابه مشعلو الحرب الفاشست والزمر الرجعية في البلدان الاخرى المقاومة اللازمة وسيمنون بفشل محتوم .

* * *

ان المعتدين الفاشست يطبلون ويزمرون لانتصارهم في «ميونيخ» وهم يتحدثون بصخب مسعور عن مؤامرات ومكائد اخرى . ويساعدهم على ذلك الاعداء الالداء للطبقة العاملة والاشتراكية في بلدان الديموقراطية البورجوازية . اما ضعاف النفوس والاستسلاميون ، فيطأطئون الرؤوس امام نعال الفاشية .

غير ان الفاشست يبتهجون قبل الاوان . اذ ان انتصارهم انتصار اجوف ، انتصار ينطوي على الهزيمة . فلقد ابتلعوا النمسا ، لكن ملايين الشعب النمسوي تزدريهم وتكرههم . واستولوا على منطقة السوديت ، وسحقوا تشيكوسلوفاكيا ، فالبوا شعبها عليهم الى اقصى حد ، وجعلوا جميع الشعوب الصغيرة تحمل السلاح ضدهم . وهم يريقون دماء الشعب الاسباني ، لكن العشرين مليون اسباني يلعنون الغزاة الالمان بحنق شديد . ولقد اثاروا بوقاحتهم العالم كله واثاروا اعمق الاستياء لدى البشرية جمعاء بتعسفهم ، وببعثهم لظلامية القرون الوسطى ومحاكم التفتيش ، وبزوا باستباحتهم لاوروبا اشنع الاعمال الدموية لزمرة «المائة السود» في روسيا القيصرية . وهم يلغمون الارض تحت اقدامهم بما

يقترفون من اعمال النهب والسلب . وان ساعة القصاص لآتية لا ريب فيها . فان الطبقة العاملة الموحدة قادرة على ان تلجم ، مع القوى الديموقراطيـــة الحقة ، المغتصبين الفاشست ومشعلي الحرب ، وان تدحر الفاشية بالتعاون مع شعوب البلدان الفاشية نفسها .

وما من قوة في العالم ، بوسعها ان ترجع عجلة التطور التأريخي الى وراء. والمستقبل لا يعود الى الراسمالية المحتضرة ، المنحدرة الى أسفل ولا لقمامتهـــا المنتنة ـ الفاشية ، بل الى الاشتراكية الصاعدة ، التي تتجه اليها انظار الكادحين جميعا ، وانظار البشرية التقدمية بأسرها .

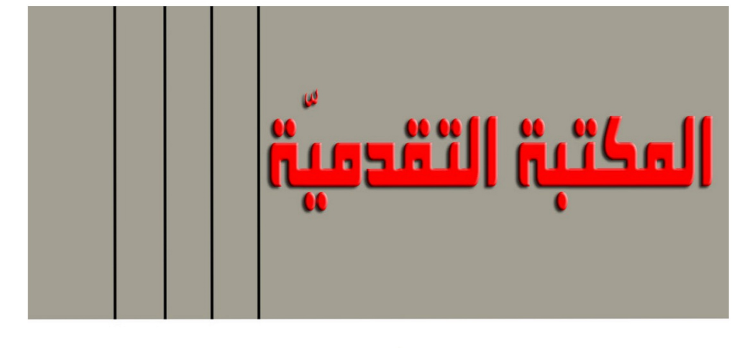
٧ تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٣٨

الفهرست

صدر من سلسلة السياسة والمجتمع

معذبو الارض	فرانز فانون
الرأسمالية المعاصرة	جون ستراتشي
الدولة	هارولد لاسكي
الشيوعية	هارولد لاسكي
الحرية	هارولد لاسكي
النظرية الاجتماعية	ج. د. ه. كول
الاشتراكية والدولة	بوبوفتش وآخرون
التسيير الذاتي	بوبوفتش وآخرون
الثورة الدائمة (طبعة ثالثة)	تروتسكي
الثورة المغدورة : نقد التجربة الستالينية	تروتسكي
الامير الحديث	انطونيو غرامشي
قضايا المادية التاريخية	انطونيو غرامشي
الماركسية والشرق	الياس مرقص
الماركسية في عصرنا (طبعة جديدة موسعة)	الياس مرقص
الماركسية والمسألة القومية	الياس مرقص
الاستراتيجية الطبقية للثورة	جورج طرابيشي

الماركسية السوفياتية (طبعة ثانية)	هربرت ماركوز
في الدولة الاشتراكية (التجربة السوفياتية)	جماعة جان درو
الاسلام والرأسمالية (طبعة ثانية)	مكسيم رودنسون
تطور الفكر الماركسي	د. الياس فرح
الماركسية والدولة الصهيونية	اديب ديمتري
اصلاح اجتماعي ام ثورة ؟	روزا لوكسمبورغ
فلسفة الثورة العالمية	فرانز ماريك
الامبريالية والثورة	دافيد هورويتز
التطور اللامتكافيء : دراسة في التشكيلات الاجتماعية للرأسمالية المحيطية (طبعة ثانية)	د. سمير امين
منابع الشيوعية الروسية ومعناها	نقولا بردياييف
الماركسية والايديولوجيا	جورج طرابيشي
تطور النظرة الواحدية للتاريخ	جورج بليخانوف



« في هذه المرحلة تبرز قضية الجبهة الوطنية التقدمية باعتبارها أكثر القضايا الملحة التي تطرح نفسها ، بكونها حلاً من الحلول الكفيلة بتمكين حركة التحرر الوطني العربية من الوقوف بوجه الهجمة الامبريالية الصهيونيـــة الرجعية ، التي تتعرض لها في هذه الايام العصيبة ، وبكونها مدخلاً وحيداً لتجديد النضال العربي الثوري على أساس يمكن للثورة العربيــة معه أن تتجاوز أزمتها تجاوزاً يدفع بها خطوات الى امام لمجابهة تحديات اعداء الشعب القوميين والطبقيين والتصدي لمهمات الثورة الوطنية الديمقراطية » .

(من المقدمة)

Aram Kerkuky
Mouyn

الثمن :
٩٥٠ق.ل اومايعادلها

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت